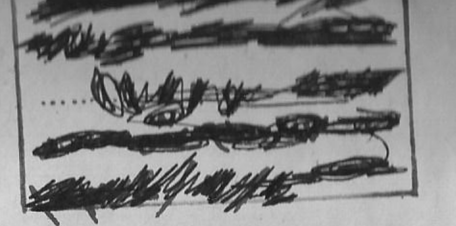


تم عمل المسح الضوئي (سكنر) لهذا الكتاب المهم (الموقع الجغرافي للعراق واثره في سير تاريخه حتى الفتح الإسلامي) من قبلي (زيد حسن حمزه جواد – العراق –كربلاء) ، واقدمه هديه الى كل محبي بلدي الحبيب العراق العظيم .



الموقع الجغرافي للعراق

وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي

الجزء الثاني

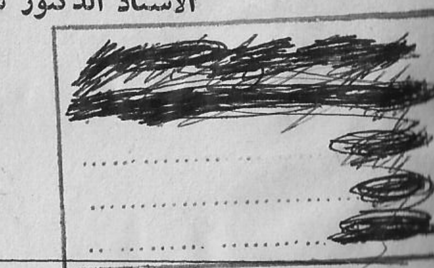
بحث مقدم من ابراهيم شريف للحصول على درجة الدكتوراه

من

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

تحت اشراف

الاستاذ الدكتور سليمان حزين



مطبعة شفيق - بغداد

مقدمة

اتجهت نحو العراق لآخذ من بين نواحيه الجغرافية موضوعا لدراستى لانه قطر عربى شقيق • وقد قويت أخيرا الصلات التى تربط بيننا وبينه ، وعلى الاخص فى النواحى الثقافية منها • ولقد كنت من بين المدرسين المصريين الذين انتدبوا فى سنة ١٩٤١ للتدريس بمدارسه، وكان ذلك عقب حصولى على درجة الماجستير وكنت مشجعا من بعض ذوى الفضل على ، على أن أدرس للدكتوراة ناحية من نواحيه الجغرافية • واننى ، وان كنت لم أوفق وقتئذ فى تحقيق ذلك ، الا أننى قد اكتسبت عن هذه النواحى بعض المعرفة • وقد استمرت الرغبة فى الدراسة عنه تراودنى حتى تهيأت لى فرصتها ثانية فى سنة ١٩٤٧ • وشجعنى على تحقيقها أساتذتى وزملائى بقسم الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية •

والجغرافى اذا زار العراق (وقتئذ) وبحث فى مكتباته يلمس نقصا كبيرا فى الدراسات الجغرافية المتعلقة به• وأذكر أن الاستاذ الكبير الدكتور متى عقراوى ، يوم تشرفت بمقابلته فى مكتبه بوزارة المعارف لالتمس نصحه وتوجيهه ، قد أبان لى بوضوح الصعوبات الجمة التى تكتنفنى من ناحيةهذه الدراسة• الا أنه تفضل مع ذلك ووجهنى وجهتين سليمتين • احداهما أن أتصل بالسيد الفريق طه الهاشمى ، وهو أبو الجغرافيا فى العراق•وكنت سىء الحظ اذ لم يكن سيادته موجودا فى العراق أثناء وجودى فيه • ولكننى وجدت فى كتابه « مفصل جغرافية العراق » ما عوضنى بعض الشيء ، فهو يتضمن مادة تمكن من تكوين فكرة طيبة عن النواحى الجغرافية للعراق • أما الوجهة الثانية ، فهى أن ألتمس تأييدا لى من الجامعة أو من الحكومة المصرية عند الحكومة العراقية ، حتى يمكن أن تفتح لى أبواب المصالح الحكومية وأبواب الهيئات الاخرى • ولقد تفضل سيادة الاستاذ

الجليل الدكتور عبد الرزاق السنهورى وكان وزيرا للمعارف المصرية وقتئذ وزودنى بخطاب توصية كان له أبعد الاثر فى فتح أبواب كانت مغلقة أمامى من قبـــل •

وفى ســبيل ذكر هذا الفضل الكبير أبدى عجزى عن تقدير أمثاله للحكومة العراقية ومصالحها ولابناء الشعب العراقى الشقيق ، وهــم كرماء وذوو شهامة•ولكننى مع ذلك أشعر بوجوب الاشادة بذكر بعض الشخصيات الكريمة التى بفضل معاونتها لى من نواحى مختلفة ذللت أمامى صعوبات كبيرة كانت جديرة بأن تحول بينى وبين اتمام هذا البحث • وأخص بالذكر السيد الاستاذ نجيب الراوى • وكان وقتئذ وزيرا للمعارف العراقيـة • وحسبى أن أقول أن بفضله عمم خطاب الى مصالح الحكومة وهيئاتها فـى المدن وفى الريف بتقديم كل المساعدات الممكنة لى • ولم أذهب الى منطقـة ما نائية فى شمال العراق أو فى جنوبه الا وجدت هذا الخطاب أمامى ، حتى فى قلب البادية وجدته فى مخفر صفوان •

كما أخص بالذكر الاساتذة جورجيس عواد والدكتور جميل سعيد والدكتور عبدالعزيز الدورى • فانهم قد فتحوا أمامى بآرائهم الناضـجة وتوجيهاتهم أبوابا واسعة للبحث فى بعض النواحى • وقد ساعدنى الاستاذ جورجيس كثيرا فى مكتبة دار الآثار التى يديرها • وشاركنى الدكتــور جميل سعيد فى القيام برحلة طويلة وشاقة فى مناطق الاهوار الجنوبيـة ، بدأت من سوق الشيوخ فى هور الحمار وانتهت بالشدة فى هور الجزيرة• كما تفضل الدكتور الدورى وأهدانى أيضا كتابه القيـم « تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى » •

ويقتضينى الاعتراف بالفضل أن أشيد بزوجتى السيدة م• بهجت الجنابى • كانت طالبة بكلية التجارة والاقتصاد وكنت مدرسا منتدبا بهـا • ولم تعثر على خريطة للعراق أو على كتاب عنه الا وأهـدتنى اياها واياه •

وكثيرا ما ساعدتنى فى أبحاثى من نواحى كثيرة أخرى استمرت حتى بعد أن غادرت العراق •

ويبدو عجزى عن تقدير الفضل أكثر وضوحا تجاه أستاذى الدكتور سليمان حزين • فقد تفضل وقبل وضع هذا البحث تحت اشرافه • وكابد المتاعب التى يكابدها الاساتذة الذين يشرفون على الابحاث ويبذلون جهودا خاصة فى كل ناحية من نواحيها •

الى هذه الشخصيات الكريمة والى غيرهم الذين لا أستطيع حصرهـم أقدم شكرى واحترامى وتقديرى •

فى العراق نواحى كثيرة جديرة بالابحاث الجغرافية • وقـد اخترت فى بادىء الامر عنه موضوع موقعه الجغرافى وأثره فى تاريخه الحديث • ثم اضطررت لتركه عندما اضطررت لمغادرة العراق قبل أن تتوفر لـدى الوثائق الكافية • واخترت الموضوع الذى أقدمه الآن عن موقعه الجغرافى وأثره فى تاريخه القديم بعد عودتى الى مصر • لانه موضوع لا يرتبـط بالعراق وحده ، وانما يرتبط أيضا بما يكتنفه من جهات فى الشرق الاوسط ومن جهات أخرى تقع خارج محيط هذا الشـرق من العالم الذى كان معروفا وقتئذ • والكتابات عن الشرق الاوسط القديـم وعن تلك الجهات الاخرى كثيرة من الناحية التاريخية • وتتوفر للباحث فى مصر كما تتوفر له فى العراق • ومن حسن الحظ ، أننى خلال الوقت الذى قضيته فى العراق كنت قد جمعت عنه كثيرا من المعلومات ومن الكتب التى تتناول عنه نواحى مختلفة•وقد ساعدتنى على تكوين آراء خاصة فى بعض نواحى هذا البحث• كما ساعدتنى على مقابلة النقص فى المصادر التى استطعت الحصول عليهـا فى مصر •

والموقع الجغرافى لاى اقليم يمكن التعبير عنه بطرق عـــدة تختلف باختلاف اتجاهات الباحثين • ولعل أشملها هو أن يقال ، « انه مكانه علـى

سطح الارض بين مايكتنفه من ظاهرات طبيعية ومن ظاهرات أخرى بشرية ».

وتمثل هذه الظاهرات بنوعيها المقومات التى تقوم عليها احتمالاته أو خصائصه.

وتنبغى ملاحظة أننا نعيش فى عالم غير ثابت ، متغير دائما وبصورة مستمرة . ومن المعروف أن العالم فى تاريخه الطويل قد مر بتغيرات كبرى طبيعية غيرت من أشكال سطحه ومن العلاقات المكانية بين بعض أجزائه وبين البعض الآخر . كما مر أيضا بتغيرات كبرى بشرية تتمثل فى العصور الحضارية المختلفة التى مر بها وفى تنقل مراكزها الرئيسية من جهة الى جهة أخرى فيه . ولهذا يمكن القول بأن مقومات الموقع الجغرافى وكذلك احتمالاته التى تنبنى عليها ، متغيرة أيضا وبصورة مستمرة . الا أن درجة هذا التغير تختلف بين الظاهرات الطبيعية من المقومات وبين الظاهرات البشرية منها . فهى فى الاولى تكون بطيئة فى الغالب ولا تلمسها الاجيال المعاصرة . ولهذا تأخذ من الناحية النظرية صفة الثبات . أما الظاهرات البشرية فانها سريعة التغير . وقد يشهد أبناء جيل واحد أكثر من تغير واحد منها نحو القوة أحيانا ونحو الضعف أحيانا أخرى .

وتبعا لذلك ، ينبغى لتقدير احتمالات الموقع الجغرافى لاى اقليم بدرجة كبيرة من الصواب أن نتعرف عليها خلال أوقات مختلفة من تاريخه. ونحن فى هذا البحث عن الموقع الجغرافى للعراق قد أخذنا فترة من الزمن تمتد نحو خمسة آلاف سنة مر فيها العراق والعالم الذى يكتنفه بتغيرات أساسية طبيعية وبشرية . وكان أخطرها ثلاث : ١ - حدوث تغير فى أحوال المناخ ٢ - التحضر بحضارة الحصان ٣ - التحضر بحضارة الحديد واستخدام السيف فى الحروب . وسوف نرى فيما بعد الآثار التاريخية الخطيرة التى ترتبت على كل منها .

والدراسات المتعلقة بالموقع الجغرافى حديثة، ولا يبدو أن أبحاثا واسعة قد وضعت عنها. وهى صعبة كذلك لسببين ، أحدهما ، أن الموقع الجغرافى شىء غير ملموس ، والثانى أنه أساس واحد من بين أسس أخرى عديدة تشترك فى تقرير التاريخ العام لاى اقليم . وهى أشد صعوبة اذا كانت متعلقة بالماضى البعيد لقصر المعلومات عنه . والطريقة التى عالجت بها هذه الدراسة عن العراق هى طريقة تلمس الحقائق واستنتاجها من الربط بين ظروف المكان وبين حوادث الزمان . أى من الربط بين الظاهرات الجغرافية للمكان وبين الحوادث التاريخية التى مرت به . وقد بدأت فى البابين الاول والثانى اللذين يتضمنهما « الجزء الاول من البحث » بدراسة الظاهرات الجغرافية ، موجها الجانب الاكبر من اهتمامى لدراسة سطح العراق والاقاليم التى تكتنفه فى الشرق الاوسط ، ومراعيا فى الوقت نفسه الظاهرات الجغرافية الاخرى المتعلقة بالمناخ وموارد المياه والحياة النباتية . وذلك بقصد التعرف على منافذ العراق الى العالم الخارجى عنه وعلى المسالك التى حملت الاتصالات بينه وبين جهات هذا العالم . ولقد وجدت فى ذلك بعض صعوبات تتعلق بنقص الدراسات الجغرافية عن هذا الجزء من العالم ، وعلى الاخص النواحى الطبيعية منها . وقد استعنت على تذليل هذه الصعوبات بالاعتماد لحد كبير على الخرائط من مصادر مختلفة، وبالتوفيق بين مايوضحه بعضها من نواحى وبين مايوضحه بعضها الاخر من نواحى أخرى، وكذلك بالتوفيق بين ما توضحه هذه الخرائط مجتمعة وبين ما ورد فى الكتب الجغرافية وفى بعض كتب أخرى . ومن أهم الكتب التى اعتمدت عليها فى هذه الدراسة ، كتب الادميرالية البريطانية عن أرض ما بين النهرين وعن الجزيرة العربية وعن سوريا . وكذلك بعض كتب تشزنى وأينسورث،

ورولنسون وتشارلس ورث وجرانت وموسيل وغيرها من بعض الكتب الاخرى والتقارير التى اهتمت بدراسة بنية بعض جهات الشرق الاوسط وموارد المياه فيها مع الاشارة الى بعض الظاهرات الجغرافية المرتبطة بها • وهذه الدراسة من مصادرها المختلفة قد مكنتنى من عمل خرائط تفصيلية بعض الشىء عن العراق وعن الجهات التى تكتنفه فى الشرق الاوسط • وقد وجهت اهتمامى الى أن أوضح عليها مسالك الاتصالات على أساس طبيعى • ولم أجد الصعوبة كبيرة فى توضيح هذه المسالك فى المناطق الصحراوية والمناطق الجافة الاخرى • لان موارد المياه فيها ، سواء أكانت سطحية أم كانت باطنية هى التى تتحكم فى توجيه سير الاتصالات خلالها• وكذلك لم أجدها كبيرة فى المناطق الجبلية لان الوديان والممرات فيها هى التى تتحكم كذلك فى سير الاتصالات خلالها • ولا يبدو أن تغيرا كبيرا قد حدث فيها بين الماضى وبين الحاضر • وكانت الصعوبة الكبيرة التى واجهتها عندما أخذت فى وضع خريطة للسهل الفيضى توضح تطوره لغرض التعرف على مداخله من الاتجاهات المختلفة منذ بدأ تعميره بالسكان حول منتصف الالف الخامس قبل الميلاد • وقد استعنت على تذليلها بدراسة بعض الكتب التى تبحث فى تكوين السهول الفيضية وفى المؤثرات التى تؤثر فى هذا التكوين • والخريطة التى توصلت اليها من هذه الدراسة تمكن من تفسير بعض ظاهرات بشرية تبدو غامضة فى تاريخ سهل العراق •

أما الباب الثالث من هذه الدراسة الذى يتضمنه هذا الجزء « الثانى » من البحث ، وهو دراسة أثر الموقع الجغرافى للعراق فى تعميره بالسكان وفى سير حوادثه التاريخية ، فقد واجهت فيه صعوبات أيضا • ويرجع بعض منها الى قصر المعلومات نفسها • بينما يرجع البعض الاخر الى اختلاف آراء

المؤرخين وتشعبها حول تفسير ناحية منها أحيانا وفى اجماعهم تقريبا حول تفسير ناحية أخرى أحيانا أخرى • وكنت فى بعض الحالات أعتنق من بين الآراء المختلفة ما يتفق منها مع الحقائق الجغرافية التى وصلت اليها • أما فى الحالات التى لم أقتنع فيها برأى منها فكنت أكون لنفسى رأيا خاصا وأعمل على تأييده مع الاشارة الى الآراء الاخرى فى الحاشية • وفى ختام البحث ذكرت النتائج الهامة التى توصلت اليها عن احتمالات الموقع الجغرافى للعراق أو خصائصه التى كان لها أثرا قويا فى سير حوادث تاريخه العام فى القسم القديم منه وتطورها فى أدواره التاريخية المختلفة من ناحية تعميره بالسكان ومن النواحى السلمية الاخرى والنواحى الحربية •

ثبت المواضيع

الجزء الاول

الصحيفة

مقدمة
معالم سطح العراق كتمهيد عام لدراسة علاقاته المكانية
مقدمة فى البنية والتكوين الجيولوجى لسهل العراق وحافاته
١ ـ السهل الفيضى .
٢ ـ الهضبة الصحراوية فى غرب الفرات او « البادية » .
٣ ـ ارض الجزيرة .
٤ ـ أقليم الجبال والمقدمات الجبلية .
أ ـ منطقة السهول الموجة .
ب ـ منطقة الهضاب الموجة .
١ ـ القسم الواقع بين نهر دياله وبين الزاب الصغير
٢ ـ القسم الواقع بين الزاب الصغير وبين الزاب الكبير .
٣ ـ القسم الواقع بين الزاب الكبير وبين نهر دجلة .
٤ ـ القسم الواقع بين نهر دجلة وبين نطاق القياره ـ سنجار .
ج ـ منطقة السفوح الجبلية .
د ـ منطقة السهول الجبلية .
هـ ـ منطقة الجبـــال .
العلاقات المكانية بين العراق وبين العالم المحيط به .
مقدمـــة .
١ ـ منافذ العراق نحو السواحل الشرقية للبحر المتوسط .
أ ـ ارض الجزيرة .
ب ـ الصحراء السورية ومنافذ الاتصالات خلالها وخلال نطاق المرتفعات الغربية نحو البحر المتوسط .
١ ـ الحوض الشمالى ومنافذه نحو البحر المتوسط .
٢ ـ نطاق المرتفعات الوسطى .
٣ ـ الحوض الجنوبى ومنافذه نحو البحر المتوسط .
٤ ـ أقليم الحماد ومنافذه نحو البحر المتوسط .
٢ ـ منافذ العراق نحو داخل الجزيرة العربية وحافاتها .
أ ـ صحراء النفوذ .
ب ـ صحراء الدهناء .
ج ـ اتجاهات سير الاتصالات العراقية من حايل .

الصحيفة

د ـ اتجاهات سير الاتصالات العراقية من بريده .
هـ ـ اتجاهات سير الاتصالات العراقية من الرياض .
٣ ـ منافذ العراق نحو عالم الخليج العربى وما وراءه .
٤ ـ منافذ العراق نحو داخل الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط وحافاتها
أ ـ هضبة ايران .
١ ـ الحافة الجنوبية
٢ ـ الوسط الداخلى .
٣ ـ مرتفعات افغانستان وبلوخستان .
٤ ـ الحافة الشمالية .
ب ـ هضبة أرمينية وحافاتها .
ج ـ هضبة الاناضول .

الجزء الثانى

مقدمـــة أ
التطور التاريخى ١
ادوار عصر ما قبل التاريخ ٩
أ ـ حضارة العبيد ٩
ب ـ حضارة الوركاء ١٦
ج ـ حضارة جمدة نصر ٢٢
ادوار العصر التاريخى ٢٥
١ ـ السومريون ٢٦
٢ ـ الاكاديون ٥٢
٣ ـ الجوتيون وحكومات أوروك ، أور ، أيسن ولارسا ٨٦
٤ ـ العموريون ١٠١
٥ ـ الغزو الحيثى والفتح الكاشى ١١٦
٦ ـ الاشوريون ١٣٤
٧ ـ الكلدانيون ١٧٣
٨ ـ الفرس الاخمينيون ١٩٠
٩ ـ الاسكندر والسلوكيون ٢٠٩
١٠ ـ الفارثيون ٢٢٧
١١ ـ الساسانيون ٢٦١
خلاصة ٢٨٢
الختام ـ النتائج المستخلصة من هذا البحث . ٣٠٦

الخرائط

قائمة الخرائط الملحقة بهذا البحث :

١ – الشرق الاوسط : منافذ اتصالات العراق بأقاليم الشرق الاوسط وحافاته .
٢ – سهل العراق وحافاته : الاتجاهات الرئيسية لمداخل سهل العراق الطبيعية ومخارجه .
٣ – أقاليم العراق ومنافذها المحتملة .
٤ – سهل العراق وحافاته : الاماكن ذات الاثر المباشر فى تطور تاريخه السياسى القديم .
٥ – خريطة جيولوجية لسهل العراق وحافاته .
٦ – انحدارات سطح السهل الفيضى .
٧ – أرض الجزيرة فى العراق .
٨ – الهضبة الصحراوية فى غرب الفرات (البادية) : ظاهرات السطح ومسالك الاتصالات خلالها .
٩ – منطقة السهول المموجة .
١٠ – منطقة الهضاب المموجة .
١١ – خريطة تتضمن ثلاث مناطق من أقليم الجبال والمقدمات الجبلية : (أ) منطقة السفوح الجبلية • (ب) منطقة السهول الجبلية • (ج) منطقة الجبال .
١٢ – العالم السورى : مسالك اتصالات وادى الفرات مع العالم السورى .
١٣ – منافذ سهل العراق الى داخل الجزيرة العربية .
١٤ – هضبة ارمينيا وحافاتها : الظاهرات الرئيسية للسطح ومسالك الاتصالات خلالها .
١٥ – خريطة تخطيطية توضح ظاهرات السطح فى أرمينية الصغرى وأقليم القوقاز والقسم الشرقى من الاناضول ومسالك الاتصالات خلالها .
١٦ – هضبة الاناضول وحافاتها : الظاهرات الرئيسية للسطح ومسالك الاتصالات خلالها .

التطور التاريخى

يقسم المؤرخون تاريخ سهل العراق الى قسمين • ويطلقون على القسم الاول منه تسمية عصر ما قبل التاريخ ، كما يطلقون على قسمه الآخر تسمية العصر التاريخى • ويتضمن عصر ما قبل التاريخ ثلاثة أدوار حضارية ، ينسب كل دور منها الى الموقع الاثرى الذى اكتشفت فيه آثاره لاول مرة • أما العصر التاريخى فانه يتضمن أدوارا حضارية أخرى • وينسب كل دور منها الى الاسرة أو السلالة التى كانت تحكم فى أثنائه •

ويرتبط تطور التاريخ القديم للعراق بثلاثة حوادث كبرى مرت به وبالعالم الذى يكتنفه فى الشرق الاوسط • منها حادث طبيعي ، هو الذبذبات المناخية التى حدثت فى نهاية عصر فيرم – Würm ، آخر العصور الجليدية • أما الحادثان الاخران فبشريان • أحدهما معرفة استئناس الحصان وركوبه • والآخر معرفة صنع السيف من الحديد واستخدامه فى الحروب •

رافق حدوث الحركات الارضية فى الزمن الثالث وفى أوائل الزمن الرابع حدوث تغيرات مناخية شملت العالم بأجمعه على ما يبدو ، أو قسم كبير منه على الاقل • واستمرت مدة طويلة قبل أن تستقر أحوال المناخ بشكلها الحالى الذى حدث تقريبا منذ نحو ٣٠٠٠ ق٠م٠ وفى أثنائها فقدت الاحوال المناخية ثباتها • وأخذت تتناوب فى فترات من الحرارة أو البرودة ، ومن الرطوبة أو الجفاف • وقد ترتب على ذلك حدوث تغيرات كبيرة فى الحياتين النباتية والحيوانية تناوبت فيها الحشائش الغابات أو الاعشاب أو التندرا • وترتب عليه كذلك حدوث تغيرات متكررة فى أحجام الانهار وفى خطوط السواحل البحرية • كما ترتب أيضا حدوث هجرات بشرية من الاماكن التى ساءت فيها الاحوال المناخية الى الاماكن الاخرى التى تحسنت فيها •

ويطلق الباحثون على الفترة التى حدثت فيها هذه التغـيرات تسمية العصور الجليدية • ويرى بعض منهم أنها كانت أربعة عصور فصل بـين الواحد والآخر عصر آخر غير جليدى • ويطلقون على كل واحد منهـا اسم المكان الذى درس فيه لاول مرة • فأقدمها جنس Günz والثـانى منـــــدل – Mendel والثـالث ريس – Riss والاخير فيرم – Würm .

كما يرون أن الجليد فى عصر فيرم بعد أن بلغ ذروة تقدمه أخـذ يتراجع نهائيا • ولكن تراجعه لم يحدث بصورة منتظمة مطردة ، وانمـا كان يتذبذب • فأحيانا كان يتوقف بعض الوقت عن التراجع • وأحيانـا كان يسرع فى تقدمه أو يبطىء • وأحيانا أخرى كان يعود الى التقدم • ويطلقون على كل ذبذبة من هذه الذبذبات تسمية خاصة أيضا • فيقولـون ان الجليد فى أثناء عصر فيرم بلغ ذروة تقدمه فى فترة فيرم رقم (١) فيما بين ٢٤٠٠٠ – ١٨٠٠٠ قبل الميلاد • وتلتها فـترة لاوفن – Laufen كان الجليد يتراجع خلالها فيما بين ١٨٠٠ – ١٤٠٠ ق•م• ففترة فـيرم رقم (٢) ، وفيها عاد الجليد الى التقدم فيما بين ١٤٠٠٠ – ١٢٠٠٠ ق•م• ففتـــرة آخن – Achen ، وهى فترة تراجع من ١٢٠٠٠–١٠٠٠٠ ق•م• ففتـــرة بيـل Bühl ، وفيها عـاد الجليد الى التقـــدم لآخر مرة ، مــن ١٠٫٠٠٠ – ٦٠٠٠ ق•م• وأخيرا أخذ يتقهقر بصورة مضطردة مع بعض التـوقف فى فترتـى اشنيتز – Gschnitz وداون – Daun . وبانتهاء فترة داون حول الالف الثالث أو الثانى قبل الميلاد ، انتهت العصور الجليدية وسادت الاحوال المناخية السائدة فى الوقت الحاضر •

وفى أثناء العصور الجليدية كانت درجات الحرارة فى كثير مــن أقاليم سطح الارض أخفض مما هى عليه الآن • وكان الثلـج يتساقط بكثرة ، بدل المطر ، ويتراكم حتى أصبحت العروض العليا فى القـارات الشمالية والنصف الشمالى من عروضها الوسطى حقولا جليدية متصلة •

كما انخفض خط الثلج الدائـــم فى النصف الجنوبى من تلك العروض أكثر من ١٠٠٠ متر عما هو عليه الآن • وكونت بعض مرتفعاته حقــــولا جليدية محلية غطى الجليد سفوحها وامتد وراء قواعدها •

وكان يقابل العصور الجليدية فى تلك العروض عصور مطـــيرة فى العروض الجافة التى تقع حاليا في مهب الرياح التجارية• والتى يدخل ضمنها العراق ووادى النيل ومناطق الصـــحارى التي تكتنفهما فى الشرق الاوسط وفى شمال أفريقية • وفى أثنائها كانت أحـــوال الجو والمنـــاخ شبيهة بالاحوال السائدة فى الاجزاء الجنوبيـــــة من أوروبا • كانت درجات الحرارة فى فصل الصيف معتدلة وكان المطر غزيرا ويسقط فى كل فصول السنة مع أغلبية فى نصف السنة الشتوى • وعلى المطـر كانت تنمو حياة نباتية غنية • وعلى حشائشها الطويلة الغضة كانت تعيش قطعـان من أنواع الحيـــوان •

وفى أثناء تلك العصور أيضا كانت المياه الجاريـــة فى نهرى دجلـــة والفرات قليلة ، بسبب تساقط الثلج بدل المطر عـــلى مرتفعات الاناضول وتجمد مياه منابعها • بينما كانت الامطار الغزيرة التى تسقط على هضـــاب عنيزة وشمر ونجد تجرى متتبعة انحدار السطح نحو وادى الفرات مكونة أنهارا وحاملة معها كميات ضخمة من الرواسب بنت بها مساحات واسعة فى القسم الغربي من سهل العراق الذى يجـرى خلاله نهر الفـرات قبل أن تتوفر أسباب بناء قسمه الشرقى الذى يجرى خلاله نهر دجلة • وربما كان ذلك هو السبب الرئيسى الذى جعل وادى الفرات أسبق من وادى دجلـــة صلاحية للسكنى •

وقد توقف جريان تلك الانهار بعد انتهاء العصور المطـيرة ، وسيادة أحوال المناخ الجاف الحالى • ولكنها مـــع ذلك بقيت ممثلة فى الوديـــان الصحراوية العديدة والتى من أهمها وادى البطن الذى كان يصب فى منطقة

شط العرب ، ووادى حوران الذى يمر بالرطبة ويصب فى الفرات فيما بين خان بغدادى وبين آلوس • ووديان الخر والابيض وغداف وتصـل الى الفرات فيما بين مصبى الواديين السابقين •

ومن الامور الجديرة بالملاحظة أمران هامان• أحدهما أن هذه الوديان، عندما كانت أنهارا فى أثناء العصور المطيرة، كانت تحمل الى مصباتها رواسب كثيرة الخصوبة • وذلك لان المناطق التى تنبع منها مكونة من أنواع مختلفة من الصخور • ويعطى تعدد الصخور واختلاف أنواعها احتمالا أكبر لتوفر أنواع الغذاء المعدنى في التربة • ويعطى هذا التوفر بدوره احتمالا أكبر فى امكان انتاج أنواع أكثر تعددا من الغلات الزراعية • ولم تكن الرواسب التى نقلتها هذه الانهار القديمة غنية بالغذاء المعدنى فحسب ، وانما كانت غنية أيضا بالغذاء العضوى من الحشائش الميتة وجذورها • وليس بعيد الاحتمال أن هـذه الخصوبة الكبيرة التى تتمتع بها التربة فى جانب وادى الفرات كانت أحد الاسباب التى جعلت هذا الجانب أكثر جاذبية للسكنى ولقيام الحضارات واضطراد نموها •

والامر الآخر الجدير بالاعتبار هو أن هذه الوديان قد أصبحت بعد سيادة أحوال المناخ تمثل أفضل المسالك وأوضحها عبر السهول الصحراويه، ضعيفة المعالم ، التى تجتازها • فسالكها لا يضل اتجاهـه • لانها تمثـل ظاهرات طبوغرافية واضحة ومحدودة الاتجاهات • وفضلا عن ذلك ، فانفى قيعانها تتوفر المياه وقتا أطول ، كما تتوفر الحشائش لتغذية الحيـوان ، والاعشاب للوقود • ومن البديهى أن السائر فى الصحراء يوجه اهتمامـه الاكبر نحو المسالك التى تتوفر فيها هذه الضروريات• وبناء على ذلك،يمكن القول بأن هذه الوديان كانت المسالك التي سلكتها الاتصالات التى جـرت فى التاريخ القديم بين سهل العراق وبين داخل الجزيرة العربية وحافاتها • والذبذبات المناخية الاخيرة التى حدثت قبيل نهاية عصر فيرم تتفق

وبدء تعمير العراق بالسكان • وهى ، وان لم يكن لها من التأثير على سهول الشرق الاوسط وهضابه مثلما كان لاى عصر من العصور المطيرة ، الا أن فى اثنائها مع ذلك كان هناك تميز قوى بين مناطق السهول وبين منـاطـق الهضاب • كانت الاحوال المناخية فى المناطق الاولى حسنة ، تسقط بهـا أمطار كافية لنمو حياة رعوية غنية تجتذب اليها كثيرا من أنواع الحيوان • بينما كانت تلك الاحوال فى مناطق الهضاب سيئة • كما كانت هناك حقولا ثلجية ومناطق أخرى كثيرة غير صالحة للسكنى(١) • واذ صح ذلك كان معناه ، أنه عندما بدأ تعمير سهل العراق بالسـكان فى الالف الخامس أو السادس قبل الميلاد كانت الاحوال المناخية السائدة فيه وفى مناطق الصحارى الحالية التى تجاوره في غرب الفرات وفى أرض الجزيرة جاذبة للحيـاة البشرية • بينما كانت الاحوال السائدة فى كثير من أجزاء الهضاب الشمالية تجعلها طاردة لسكانها • ولابد أن يترتب على ذلك خروج هجرات منها تجتذبها مناطق السهول • وليس بعيد الاحتمال أن كان أصحاب حضارات ما قبل التاريخ فى العراق وربما السومريون أيضا قد جاءوا اليه أثناء تلك الهجـرات •

أما بعد أن اخذت الاحوال المناخية تسير فى الاتجاه السائد الآن ، فان الهضاب الشمالية قد اصبحت هى الجاذبة للسكان • بينمـا أصبحـت مناطق السهول طاردة لها • اذ اخذت فيها احوال الصحراء تتقدم من الجنوب وأمامها كانت المراعى تتقهقر نحو الشمال • ولابد أن يتبع المراعى غاليـة الحيوان وغالبية السكان الذين كانوا يتغذون من صيدها • والايبقى متخلفا فى الصحراء من الانسان الا العاجز لسبب ما ، ومن الحيوان الا بطىء الحركة أو الذى يستطيع العيش على حياة نباتية هزيلة كالغنم والماعز والابل •

وحياة الشدة التى أخذ يكابدها السكان الباقون فى الصحراء لابد أن

(1) See, De Morgan, J. ; Prehistoric Man, London, 1924, P. 280.

تقرب بينهم عند موارد الماء • كما لابد أن تحمل الانسان على ترك عادة صيد الحيوان والعمل على استئناسه وتكثير عدده • ولابد أيضا أن يكون الانسان قد اتخذ مقره قرب موارد المياه • كما لابد ان يكون قد هجر عادة جمع الجذور والبذور من النباتات البرية والعمل على تكثير مقاديرها بالزراعة •

والمناطق التي تتوفر فيها المياه فى سهول الشرق الاوسط الجافة فى الوقت الحاضر هى وديان الانهار والنهيرات الصغيرة والاخوار ، وسهولها الفيضية ومناطق دلتاواتها • وكذلك المنخفضات الاخرى التى تتجمع فيها مياه الامطار أو مياه الينابيع • ويبدو سهل العراق من بينها أوفر مياها وأوسع اراضى خصبة صالحة للانتاج • كما تبدو طاقته كبيرة فى قبول السكان واعالتهم • أما المناطق الاخرى فكانت قابلياتها الانتاجية محدودة بالنظر لصغر مساحاتها • ولهذا كانت طاقاتها على قبول السكان واعالتهم محدودة أيضا • والذى يترتب على ذلك هو أنها بعد فترات قصيرة من الوقت تفيض بسكانها • ويتحتم على الاعداد الزائدة منهم ، وهى عادة تكون من الشباب النشط ، أن تهاجر • وأمامها يبدو سهل العراق بطاقته الكبيرة ذو جاذبية كبيرة •

وتاريخ سهل العراق منذ أوائل الالف الثالث قبل الميلاد يتفق وهذا التغير المناخى الذى حدث فى نهاية العصور المطيرة • فقد انقطع عنه نفوذ شعوب الهضاب ودخل تحت نفوذ شعوب الصحارى العربية المجاورة • ولقد استمر خاضعا لهذا النفوذ الاخير حتى أوائل الالف الثانى قبل الميلاد فعاد ثانية اليه نفوذ شعوب الهضاب • وكان ذلك بسبب اسبقيتها فى التحضر بحضارتين حربيتين جديدتين • كانت اولاهما حضارة الحصان ، وكانت الاخرى حضارة الحديد • وقد استمر هذا النفوذ قائما فيه بصورة مضطردة تقريبا حتى حدث الفتح الاسلامى من جانب الصحراء •

وفيما بين شعوب الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط وبين شعوب

مناطق السهول الاخرى فيه ، كان شعب سهل العراق يكافح للتخلص من نفوذ كل منهما • فكان فى اوقات قوته يمد رقعة بلاده الى حدودها الطبيعية، ويسيطر على منافذ الممرات التى تصل بينه وبين تلك الشعوب • بينما كان فى أوقات ضعفه ينكمش داخل رقعته ، ويقوم بتحصينها فى مقابل الاتجاهات المعرض لان يأتيه الغزو منها • كما كان أيضا يستعين على أعدائه بتقوية صلاته مع شعوب أخرى •

وسهل العراق يخلو من بعض مقومات الحضارات القديمة كالمعادن والصخور والاحجار الكريمة وبعض أنواع الاخشاب • وهى عناصر أساسية فى تلك الحضارات وتقوم عليها بصفة خاصة الجوانب الحربية منها • ولهذا كان الشعب العراقى حريصا على أن يقوى جوانب حضارته السلمية بهذه المقومات الحربية • ولقد ساعده موقعه الجغرافى وصلاته المكانية ببعض جهات العالم الذى يكتنفه على أن يكون شعبا تجاريا ، يرسل بعوثه للبحث عن مصادر هذه المقومات • ولما كانت تتوفر فى مناطق الهضاب وفى مناطق المرتفعات فى العالم السورى أكثر مما تتوفر فى المناطق الاخرى السهلية ، كان اتجاهه التجارى وبالتالى كان اتجاهه الحضارى مع المناطق الاولى أكثر منه مع المناطق الاخيرة • وكذلك ، لما كانت هذه المواد كبيرة الحجم كما هى ثقيلة الوزن فأن من المتوقع أن تكون اتصالاته ، قبل ان ترتقى وسائل النقل والمواصلات باستخدام العربات والابل ، متركزة مع الجهات التى يمكن نقل هذه المواد منها بسهولة ، وعلى الاخص بطريق الماء • وتتضمن هذه الجهات القسم الشمالى من سوريا ، كما تتضمن القسم الشرقى من هضبة الاناضول واقليم كردستان وهي المناطق التى يمكن ان تنقل منها هذه المواد اليه بواسطة الارماث فى نهر الفرات أو فى دجلة وروافدهما الهامة • كما تتضمن أيضا منطقة سهول سوسيانا والمناطق المرتفعة التى تكتنفها من حافة هضبة ايران • فان منها يمكن نقل بعض هذه المواد على أرماث فى نهر كارون أو فى نهر كرخه ثم على

نفس الارمات او غيرها أو فى قوارب خلال أهوار سوسيانا الى القسم الجنوبى منه • أما عندما ارتقت وسائل النقل بصفة عامة فى البر وفى الماء فان اتصالات سهل العراق لم تعد قاصرة على هذه الجهات، وانما امتدت الى جهات أخرى، يقع بعضها فى داخل الشرق الاوسط ويقع بعضها الآخر وراء حافاته •

تلك هى العوامل الكبرى التى خطت الخطوط الرئيسية فى التاريخ القديم لسهل العراق • أما التفصيلات الهامة المتعلقة بها فسنشير اليها فيما يلى عند الكلام على أدوار هذا التاريخ •

١ ـ ادوار ما قبل التاريخ

أقر المؤتمر الاركيولوجى الذى انعقد في ليدن سنة ١٩٣١ وجود ثلاثة ادوار حضارية قامت فى سهل العراق قبل العصر التاريخى • واطلق اسم العبيد على الدور الاول منها واسم الوركاء على الدور الثانى واسم جمدة نصر على الدور الاخير (١) • ويرجع بعض الباحثين ظهور حضارة العبيد الى النصف الاخير من الالف الخامس قبل الميلاد ، وحضارة الوركاء الى النصف الاول من الالف الرابع ، وحضارة جمدة نصر الى النصف الاخير من هذا الالف (٢) •

أ ـ حضارة العبيد

اكتشفت هذه الحضارة لاول مرة فى تل العبيد على مسافة نحو ٦ كم غربى اور • ثم عثر عليها فى اور وأروك ولجش وأريدو ، وهى مدن قديمة قامت فى القسم الجنوبي من سهل العراق • كما عثر عليها أيضا فى تل العقير فى القسم الشمالى من هذا السهل (٣) • والآثار التى عثر عليها في هذا الموقع الاخير تدل على أن السكان كانوا يسيرون فى مرحلة حضارية أكثر تقدما من مرحلة نظرائهم فى تل العبيد ، وعلى الاخص فى مدينة البناء (٤) • أما فى خارج سهل العراق فقد عثر عليها بصورة محققة فى سهول سوسيانا والمنطقة المجاورة لها من ساحل الخليج العربى حتى بوشير • كما عثر عليها أيضا

---

(1) See, Lloyd,s ; Twin Rivers, Oxford, 1943, P. 2. and Childe, V.G. ; NewLight on the Most Ancient East, London, 1935. P. 19.

(٢) See, Keith, Sir, A. ; A New Theory of Human Evolution, London 1950. P. 288.

(٣) عن مواقع هذه الاماكن ، انظر الخريطة رقم ٢ •

(٤) Lloyd, S. ; Twin Rivers, ibid., pp. 2-3.

فى داخل هضبة ايران ، فى مناطق برسبوليس وبلوخستان وحوض سستان (سجستان) • وعثر عليها كذلك فى منطقة تلال سنجار وبعض مواقع أخرى فى الحوض الاوسط لنهر دجلة • وأما ما عثر عليه منها فى القسم الشمالى من أرض الجزيرة فانه مشكوك فيه • اذ يحتمل أيضا نسبته الى حضارة أخرى أقدم عهدا من حضارة العبيد ، وهى المعروفة باسم حضارة تل حلف[٥] (نسبة الى مكان أثرى فى أعالى الخابور رافد الفرات) •

ولم يعثر الباحثون فى حضارة العبيد فى سهل العراق على آثار تدل على أن هذا السهل كان مسكونا قبلهم بأصحاب حضارة أخرى[٦] • ولقد

---

(٥) يرجع بعض الباحثين حضارة تل حلف الى النصف الاول من الالف الخامس قبل الميلاد ويرجع حضارة العبيد الى النصف الثانى منه • راجع : Keith, Sir A. ; A New Theory ... ibid. pp. 288, 290 & 292 — 3. ; See also Lloyd, S. ; Twin Rivers ... ibid. pp. 8 et seq., Delaporte, L. ; Les peuples de L'Orient Mèditerranéen, I, Le Proche-Orient Asiatique, Paris, 1948, P. 58. Smith, S.; Early History of Assyria to 1000 B.C., London, 1928, pp. 6-7. & Woolley, Sir L., A Forgotten Kingdom, P. 35 ; In a Pellican Book, A 261, 1953.

(٦) Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 2., Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient ... ibid. p. 58.; Childe, V.G.; New Light .... ibid. pp. 135 & 145. and cf. Keith, Sir A.; A New Theory ... ibid. pp. 291-2.

هذا مع ملاحظة أنه عثر أخيرا فى أريدو على آثار فخارية يراها بعض الباحثين تمثل حضارة أقدم عهدا من حضارة العبيد • وأنها تمثل امتدادا نحو الجنوب لحضارتى تل حلف وحسونة فى أرض الجزيرة •

توفرت لديهم من الادلة عنها ما يكفى لارجاعها الى هضبة ايران[٧] • والمسالك التى يحتمل قدوم أصحاب هذه الحضارة منها خلال نطاق زاجروس ، معروفة • وما يقع منها فى اقليم كردستان يمكن أن ينتهى بهم الى الحوض الاوسط لنهر دجلة والى منطقة تلال سنجار • وطريق خراسان هو المسلك الطبيعى الى منطقة تل العقير ، كما أن سهول سوسيانا ومسالك اتصالاتها مع داخل هضبة ايران ، مدخل طبيعى أيضا الى القسم الجنوبي من سهل العراق[٨] • على أن سؤالا قد يبدو من وراء ذلك ، وهو ، هل أصحاب هذه الحضارة جماعة واحدة قدمت من هضبة ايران فى مسلك واحد معين من هذه المسالك ثم انتشرت ، أم أنهم جاءوا جماعات ، وسلكت كل جماعة منهم مسلكا خاصا حملها الى المنطقة التى عثر فيها على آثارها ؟ • الواقع أن معالم سطح سهل العراق فى ذلك الوقت[٩] تدعو الى القول بأنهم جاءوا جماعات ، أو على الاقل جماعتين • جاءت احداهما عن طريق سهول سوسيانا واستقرت فى القسم الجنوبى من السهل • أما الجماعة الاخرى فقد جاءت الى مواقعها فى الحوض الاوسط لنهر دجلة خلال ممرات كردستان ، أو خلال بوابة زاجروس • وأما أصحاب موقع العقير فانهم ، بالنسبة لظاهرات

---

(٧) See, Delarporte, L.; Les Peuples de, L'Orient .... ibid. p. 58; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 2. See also Thompson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon, in the C.A.H. Vol I, p. 483.; Keith, Sir A.; A New Theory .... ibid, pp. 288-9.; Barton, G.A.; Semitic and Hamitic Odigins, Philadelphia, 1934, pp. 60 et seq. and cf. Woolley, Sir L.; Ur of the Chaldees (Penguin Books), 1950. P. 16.

(٨) راجع فى « الجزء الاول » موضوع اقليم الجبال والمقدمات الجبلية ، وموضوع منافذ العراق نحو داخل الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط وحافاتها •

(٩) راجع فى الجزء الاول موضوع « معالم السطح فى العراق »

سطح سهل العراق ، يبدون أقوى صلة بهذه الجماعة الاخيرة ، ولكنهم من بعض النواحى الحضارية يبدون أقوى صلة بجماعة تل العبيد • وأهم هذه النواحى أنهم كانوا مثلهم على درجة كبيرة من المدنية فى صناعة القــوارب وفى حرفة صيد الاسماك • ولقد عثر لديهم على أفران مملوءة بأصداف بعض القواقع التي تعيش فى المياه العذبة كما وجدت رسوم لانواع مختلفة مــن الطيور المائية التى تعيش فى المستنقعات (١٠)

أما ما يدعو الى القول بأن سهول سوسيانا كانت المدخل الذى دخل منه أصحاب حضارة العبيد فى القسم الجنوبى من سهل العراق (١١) ، أنــه لوحظ وجودتشابه تام بين الاوانى الفخارية التى عثر عليها فى سوسه وفي بعض مواقع أثرية أخرى تجاورها عند سفوح هضبة ايران وبين الاوانــى التي عثر عليها فى تل العبيد وفى بعض المواقع الاخرى فى القسم الجنوبى من سهل العراق (١٢) • وبجانب هذا التشابه في الاوانى الفخارية ، يتشابه الاقليمان بدرجة كبيرة في ظاهرات البيئة الطبيعية ، وعلى الاخص فيمــا يتعلق منها بظاهرات السطح • اذ تتضمن كل منهما بعض أراضى صالحة للزراعة كما تتضمن منخفضات تشغلها أهوار • ومناطق الاهوار فى كليهما،

---

(١٠) See, Lloyd, S. Twin Rivers ... ibid. pp. 2 - 6, Woolley. Sir L.; Ur of the Chaldees ... ibid. pp. 15 - 16.; Childe, V.G.; New Light ...ibid. p. 156.

(١١) See, Keith, Sir A.; A New Theory, ibid. pp. 289 & 292.

(١٢) يتميز بأنه ملون بلون واحد فى شكل خطوط هندسية • راجع طه باقر ، ص ٦٤ • وراجع ايضا :

Lloyd, S.; Foundation in the Dust, Oxford, 1947, p. 213. And Hall, H.R. The Art of Early Egypt and Babylonia, in the C.A.H. Vol. I, p. 578-9.; See also Langdon, S.H.; Early Babylonia and its Cities, in the C.A.H., Vol. I, pp. 360 and 362.; Childe, V.G.; New Light ... ibid. P. 146. And Barton, G.A.; Semitic anl Hamitic Origins ... ibid. p. 58.

وان كانت تصلح لان تكون المدرسة الابتدائية التى تعلم فيها أصحاب حضارة العبيد مدنية صنع القوارب وصيد الاسماك كما سبقت الاشارة ، الا أنــه يلاحظ أن أهوار سوسيانا تتميز بأن بالقرب منها ، عــلى سفوح مرتفعات هضبة ايران ، تنمو بعض الاشجار التى يمكن استخدام أخشابها فى صنع القوارب • حقيقة ان سيقان أشجار النخيل تصلح ، بعد جفافها ، لان تكون وسيلة بدائية لتعلم ركوب سطح الماء فى الاهوار ، الا أن وجود النخيل فى سهل العراق يكتنفه بعض الشك (١٣) • وحتى اذا افترضنا أنه كان موجودا هناك فانه يوجد احتمال كبير فى وجوده أيضا فى سهول ســوسيانا ، لان المشاهد فى الوقت الحاضر أنه ينمو في كلا المنطقتين • ومع ذلك فان نماذج القوارب التى عثر عليها فى مخلفات حضارة العبيد تدل على أنها كانت ذات مقدمات عالية وكذلك مؤخرات بمثل ما هو مشاهد في المشاحيف الحالية فى مناطق الاهوار ، وهذا النوع من القوارب تصعب صناعتــه من ســيقان النخيــل (١٤) •

واذا صح ما ذهبنا اليه من أن جماعة العبيد التى سكنت فــى القسم الجنوبى من سهل العراق قد جاءت اليه من سهول سوسيانا ، فانه يمكــن القول بأن العبيديين قسم من الجماعات التى أطلق عليها بعض الباحثين اسم

---

(١٣) يؤكد ثومبسون : أن النخيل لم يدخل الى سهل العراق الا حول سنة ٢٨٠٠ ق٠م ويتفق هذا التاريخ مع بدأ العهد الاكادى • راجع :
Thompson, R.C.; Babylonia in the Days of Hammurabi, in H's. U.H.W., 5 ,pp. 581-2 and cf. Myres, J.L.; The Dawn of History, London, 1937, p. 88..

(١٤) انظر ص ١٤٠ من كتاب :
Childe, V.G.; New Light ... ibid.
ثم قارن صورة القارب الفضى الذى عثر عليه فى المقابر الملكية بأور فى مقابل ص ١٨٢ من نفس المرجع بالمشحوف المستخدم حاليا فى الاهوار •

ما قبل العلاميين(١٥) والتى كانت لها حضارة تعد من أقدم الحضارات التى عرفت فى العصور السابقة على التاريخ ومن أرقاها(١٦) • ويبدو أن بعض هذه الجماعات قد اضطر الى الهجرة من سهول سوسيانا الى القسم الجنوبي من سهل العراق تحت ضغط جماعات أخرى مهاجرة ، ربما كانت جماعات السومريين(١٧) • لانه يوجد ما يدعو الى الاعتقاد بأنهم قد دخلوا الى سهل العراق من هذا الاتجاه أيضا(١٨) •

والخلاصة أن أصحاب حضارة العبيد قد نشأوا فى هضبة ايران • ويبدو أن بعضا منهم قد اضطر تحت تأثير سوء الاحوال الجوية فى منطقته الى الهجرة الى سهول سوسيانا عن طريق وادى أبى ديز أو عن طريق غيره من المسالك الموصلة الى هذه السهول • وهناك استقر بعض الوقت وانطبعت حضارته بالطابع الذى تفرضه البيئة الجغرافية ، وعلى الاخص ما يتعلق منها بمدنية ركوب سطح الماء • ثم اضطر تحت ضغط هجرة أخرى قادمة من داخل هضبة ايران أو من ساحلها المشرف على الخليج العربى الى الهجرة الى القسم الجنوبى من سهل العراق ، وهناك استمرت حضارته محتفظة بطابعها ، نظرا لمشابهة الظروف الجغرافية فى هذا الموطن الجديد لظروفها فى موطنه السابق • كما يبدو أن بعضا أخر منهم قد هاجر وسلك طريق خراسان أو غيره من المسالك الاخرى فى اقليم كردستان الى

---

(١٥) See, Barton, G.A.; Semitic and Hamitic Origns .... ibid. pp. 33 - 4.

(١٦) Delaporte, L., Les Peuples de L'Orient Mèditeranéen, I., ... ibid. pp. 57 - 8. And Langdon, S.H.; Early Babylonia and its Cities ...... ibid. pp. 360-3.

(١٧) See, Wilson, Lt. - Col. Sir A.T.; The Persian Gulf, Oxford, 1928., P. 26.

(١٨) راجع فيما يلى موضوع « السومريون »

الحوض الاوسط لنهر دجلة • وهناك تأثر بمؤثرات حضارتى حسونه وتل حلف كما أثر فيهما • أما أصحاب تل العقير فى القسم الشمالى من سهل العراق ، فمن المحتمل أن كانوا هجرة من البعض الاول ، وقد ركبوا قواربهم خلال الاهوار البابلية الى هذا الموقع • ومن المحتمل أيضا أن كانوا هجرة من البعض الاخر ، واضطرو تحت ضغط وقع عليهم الى الاحتماء بمناطق المستنقعات عند الحافة الشمالية لهذه الاهوار • وهناك طبعت الاهوار حضارتهم بطابعها بمثل ما طبعت به حضارة أصحاب تل العبيد •

ب – حضارة الوركاء

اكتشفت آثار هذه الحضارة لاول مرة فى تل الوركاء ، وهو موضع أوروك القديمة أو ارك كما وردت فى التوراه • ويقع أيضا فى القسم الجنوبى من سهل العراق على مقربة من السماوة • وقد استنتج الباحثون من دراسة آثار هذه الحضارة ، أن أصحابها غرباء • وأنهم قد وفدوا الى سهل العراق من هضبة الاناضول (١) • ولقد عثر فى أحد التلال الاثرية عند السفوح الجنوبية الشرقية لسلسلة تلال سنجار على آثار لهم تمثل ، على ما يبدو ، مرحلة فى انتقالهم من داخل هضبة الاناضول الى سهل العراق (٢) • وليس من السهل تحديد الطريق الذى سلكوه من تلال سنجار الى هذا السهل • فمن المحتمل أن يكون طريق وادى الثرثار ، ومن المحتمل أن يكون طريق وادى دجلة ، ومن المحتمل أيضا أن يكون طريق وادى الفرات • ومما يزيد فى صعوبات التعرف على المسلك الذى سلكوه ، أنه لم يعثر لهم على آثار فى مراحل أى من هذه الطرق الثلاثة • كما أنه لم تعثر لهم أيضا على آثار بصورة محققة فى القسم الشمالى من سهل العراق (٣) • الا أننا مع ذلك اذا اعتبرنا من جهة ظاهرات سطح سهل العراق فى ذلك الوقت ، واعتبرنا من جهة أخرى موقع مدينة اوروك على نهر الفرات فى القسم الغربى من أرض سومر ، أمكننا القول بأن قدومهم عن طريق وادى هذا

---

(١) Lloyd, S., Twin Rivers ... ibid. p. 6. and Childe, V.G. New Light .... ibid. PP. 147 - 9 and 163. Cf. Keith, Sir A.; A New Theory ... ibid. P. 293.

(٢) Lloyd, S., Twin Rivers ... ibid. PP. 6-7 and 9. & Woolley, Sir L.; A Forgotten Kingdom, ... ibid, P. 35.

(٣) Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient ... ibid. P. 60.; Lloyd, S. Twin Rivers ...ibid. p. 9. and V.G. New Light ...... ibid. p. 156.

النهر الاخير يبدوا أكبر احتمالا •

ومن الملاحظ أنه بينما كانت هذه الحضارة تنمو فى مدينة أوروك ، كانت الحضارة العبيدية مستمرة فى نموها فى بعض المراكز الحضارية الاخرى • ومن الملاحظ أيضا أنه عندما انتهى دور حضارة العبيد تلاه مباشرة دور حضارة جمدة نصر (٤) • والذى يمكن استنتاجه من ذلك ، هو أن حضارة الوركاء لم تكن شائعة فى سهل العراق • وربما كانت قاصرة على مدينة أوروك • ولهذا يبدو محتملا أن تكون هذه المدينة قد أضحت أثناء دور حضارة الوركاء مستعمرة تجارية خلال فترة من الزمن لجماعة من التجار جاءوا اليها من هضبة الاناضول • واذا صح ما يقول به بعض الباحثين من أن أصحاب حضارة الوركاء قد خلفوا بعض آثار لهم فى أور (٥) ، فانه يعزز هذا الاحتمال • ذلك لان أور كانت من أهم الموانى التجارية فى القسم الجنوبى من سهل العراق • ومن المحتمل أيضا أن يكون الوركائيون قد جاءوا الى مدينة أوروك فى هجرة ليست كبيرة العدد • وربما عاشوا فيها بعض الوقت كطبقة أرستقراطية فرضت نفوذها ، كما فرضت حضارتها ، وذلك قبل أن يتأقلموا ويتشربهم السكان الاقدم منهم عهدا هناك • ومما يعزز هذا الاحتمال ، أنه لوحظ أن أبرز ما تتميز به حضارة الهضاب على حضارة السهول هو الذى اختفى سريعا من عناصر الحضارة الوركائية • ومن ذلك مدنية استخدام الصخور فى البناء • فانها لم تلبث الا قليلا ثم اختفت ، وعاد البناؤن الى مدنية استخدام الطين • ومن ذلك أيضا مدنية الفخار المصقول «غير المصبوغ» بألوانه الحمراء أو السوداء أو الرمادية فانها لم تلبث كذلك أن اضمحلت وعاد الفخاريون مرة اخرى الى صناعة الفخار مخضر اللون أو المصبوغ باللون الاسود فى القسم العلوى

---

(٤) Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient .... ibid. P. 60.

(٥) Lloyd, S. ; Twin Rivers ... ibid. P. 9.

منه ، وذى الرسوم الهندسية التى يتميز بها فخار العبيد • والعودة السريعة الى مظاهر حضارة العبيد أمر طبيعى • وذلك لان عوامل قيامها موجودة فعلا فى البيئة المحلية فى سهل العراق • اذ أنه بينما يخلو هذا السهل من الصخور اللازمة للبناء والتى توجد أنواعها بألوان مختلفة ، يتوفر فيه الطين للبناء ولصناعة الاواني الفخارية • ومما هو جدير بالملاحظة أن طين هذا السهل اذا أحرق بدرجة معينة أعطى اللون المخضر الذى يتميز به فخار العبيد • ومع ذلك فانه من المحتمل أن تكون عودة السكان ثانية الى تراث حضارة العبيد ، قد ساعد عليها وصول دماء جديدة لاصحاب هذه الحضارة من سهول سوسيانا • ومن المعروف أن هذه السهول كانت المصدر الذى هاجر منه بعض أصحاب حضارة العبيد الى القسم الجنوبى من سهل العراق • ومن المعروف أيضا أن حضارة العبيد كانت سائدة فيها فى ذلك الوقت • وقد استمرت سائدة فى أثناء الدور الاول لحضارة سوسه ، وهو الدور الذى سبق قيام الاسرات العلامية(٦) ، والذى يتفق أيضا بدرجة كبيرة مع أدوار عصر ما قبل التاريخ فى سهل العراق •

وحضارة الوركاء تختلف عن حضارة العبيد فى أنها حضارة هضاب فعلا • ولهذا أحدث قدومها الى سهل العراق ثورة حضارية فيه • حقيقة أن بعض عناصرها التى لا تتوفر فى بيئة هذا السهل قد اختفي سريعا ، الا ان بعض مظاهره قد استفيد منه بجانب عناصرها الاخرى فى رفع الاسس الحضارية القائمة حتى بدت على جانب كبير من النضوج فى بدء العصر التاريخي • فمثلا صناعة الاوانى الفخارية قد ارتقت كثيرا وازدادت جمالا بتنوع أشكالها وألوانها(٧) • كما أدخلت تحسينات على عملية استخدامها ،

(٦) Langdon, S.H. ; Early Babylonia and its Cities ... ibid. P. 362. And Delaporte, L. ; Les Peuples de L'Orient ... ibid. P. 60.

(٧) Lloyd, S. ; Twin Rivers ... ibid. P. 4.

وذلك بصنع مقابض لبعض أنواعها • ويرى بعض الباحثين احتمال أن يكون كل فخار حضارة الوركاء أو بعض أنواعه قد استخدمت فى صناعته عجلة الفخار • كما يرى أيضا أنه قد أحرق بطريقة فنية صانته من تأثير الدخان(٨) • وهنا تنبغى الاشارة الى أن هناك رأى يقول بأن أقدم ما عرف عن هذه العجلة قد عثر عليه فى سهول سوسيانا(٩) • واذا صح هذا الرأى الاخير يمكن القول بأنه فى عصر حضارة الوركاء كانت الاتصالات لا تزال مستمرة أيضا بين هذه السهول وبين سهل العراق(١٠) • ومع ذلك، فسواء أأدخل الوركائيون معهم معرفة العجلة من بلادهم الاصلية أم أنها قد أدخلت فى عهدهم من سهول سوسيانا ، فانه يبدو أنهم قد عرفوا كيف يستفيدون منها فى صنع العربات واستخدامها في النقل والمواصلات • ذلك لانه قد عثر فى آثارهم على صورة مطبوعة لعربة حربية(١١) •

ولقد ارتقت كثيرا أيضا مدنية البناء • وتدل آثارهم على أن هذه المدنية فى عهدهم قد خلفت على مرحلة طويلة ورائها ، مدنية البناء فى عهد العبيديين • فبينما كان البناء فى هذا العهد الاخير قائما على الطين والغاب

(٨) Childe, V.G. ; New Light ... ibid. P. 149.

(٩) راجع ول ديوانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ، الشرق الادنى « ترجمة محمد بدران » القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٢ • وراجع ايضا : Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. p. 579.

(١٠) Delaporte, L. ; Les Peuples de L'Orient ... ibid. p. 60.

(١١) Keith, Sir A. ; A New Theory, ... ibid. p. 293. and Childe, V.G. ; New Light ... ibid. pp. 149, 161 and 181 - 2.

ويلاحظ أن ول ديورانت فى صحيفة ٢٥ من كتاب قصة الحضارة ، الجزء الثانى وهو المشار اليه سابقا ، يرى ان من اقدم ما عرف من المركبات ذات العجلات قد عثر عليه فى كيش وهى تقع فى القسم الشمالى من سهل العراق ، وليس فى اوروك بالقسم الجنوبى منه •

(القصب) ، أضحى فى عهد الوركائيين يقوم على اللبن والآجر • كما استخدمت أيضا الصخور أحيانا فى اقامة الاسس • وأضحت كذلك بعض الاكواخ قصورا ، ورفعت المعابد كالجبال لسكنى الآلهة ، ونمت حولها المدن•ويلاحظ أن المعابد التى رفعتفى ذلك الوقت سواء أكانت فى أوروك أم كانت فى أور ، قد أقيمت على مصطبة بنائية يراها بعض الباحثين مقدمة لبناء الزاقورة Zigguret ، وهي الصروح المدرجة التى أقيمت على قممها هياكل لسكنى الالهة[١٢] •

ولقد أضاف الوركائيون الى عناصر الحضارة القائمة فى سهل العراق مدنية نحت الصخور والنقش عليها ، ولكنها لم تعمر طويلا على ما يبدو بسبب خلو هذا السهل من الصخور • ولعل أهم ما أضافوه اليه ، هو مبادىء ثقافة الكتابة المسمارية على ألواح من الطين • وبعض الباحثين يرى أنهم أول المخترعين لها • وقد ارتبط بهذا الاختراع اختراعهم أيضا للاختام الاسطوانية[١٣] • وهذه الاختام التى صنعت من الحجر قد أضحت فى عصر الاسرات الحاكمة ضرورة للخاصة وللتجار • واذا أضفنا اليها والى

---

(١٢) See, Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States Before the Rise of Babylon, in H's. U.H.W., 5, p. 513. And Lloyd, S.; Twin Rivers ......ibid. PP. 3 - 6. ; Keith, Sir A. ; A New Theory ...... ibid. P. 239. ; Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient ......ibid. PP. 60-1. And Childe, V.G.; New Light .... ibid.PP. 151-2.

(١٣) See, Lloyd, S. ; Twin Rivers ...ibid. P. 6. Also Lloyd, S. ; Foundation in the Dust ... ibid. P. 148. ; Delaporte, L. ; Les Peuples de L'Orient ... ibid. pp. 61-2. And cf. Keith, Sir A.; A New Theory ... ibid. P. 293. and Childe, V.G.; New Light ... ibid. P. 19.

الكتابة ، وكل منهما ضرورى جدا فى المعاملات التجارية ، معرفتهم للعربات ذات العجلات التى تجرها الثيران والتى لابد ان تكون قد احدثت ثورة كبيرة فى وسائل النقل ، فأنه من الممكن أن يقال بأن أصحاب حضارة الوركاء كانوا تجارا• وربما كانوا أول من ربط ربطا مباشرا بين الشعوب التى تسكن فى سهل العراق وبين الشعوب التى تسكن فى هضبة الاناضول بعلاقات ثقافية واقتصادية • ومن المحتمل انهم هم الذين أقاموا بشكل ما المستعرة التجارية العراقية فى كبادوكيا[١٤] •

والخلاصة أنه في النصف الاول من الالف الرابع قبل الميلاد ، جاء أصحاب حضارة الوركاء من هضبة الاناضول الى سهل العراق ، بحضارة هضبية أقوى من حضارة العبيد التى كانت قائمة فيه • ولقد نشأ عن التقائهما امتزاج بين بعض عناصرهما ، كما تلاشى من عناصر الحضارة الهضبية ما لا تتوفر مقوماته فى البيئة المحلية • ومن هذا الامتزاج نتجت نهضة حضارية فى الداخل وتوسع فى الاتصال مع بعض جهات العالم الخارجى • وقد استمرت هذه النهضة الحضارية قائمة فى عهد حضارة جمدة نصر ثم لمعت على يد السومريين فى بدء العصر التاريخى •

---

(١٤) راجع فيما يلى موضوع (الاكاديون) •

ج ـ حضارة جمدة نصر

عثر على آثار هذه الحضارة لاول مرة فى جمدة نصر بالقرب من كيش فى القسم الشمالى من سهل العراق • ثم عثر عليها فى موقع كيش أيضا • وكذلك عثر عليها فى مواقع اور وشروباك ولجش واوروك وتل العبيد وفى بعض أماكن أخرى فى القسم الجنوبى من هذا السهل (١) • وهذا يدل على انها كانت حضارة دولية شائعة فى سهل العراق ، ولم يقتصر وجودها فى قسم منه دون الآخر • وهذا طبيعى ، لانها تبدو خلاصة الامتزاج الحضارى الذى حدث أثناء دور حضارة الوركاء (٢) • ومع ذلك فان لحضارة جمدة نصر بعض نواحى جديرة بالملاحظة ، ترتبط بالتجارة أكثر مما ترتبط بغيرها من الحرف البشرية الاخرى •

ولم يعثر فى مخلفات حضارة جمدة نصر على آثار تدل على أن اصحابها كانوا غرباء ، وفدوا الى سهل العراق من خارجه واختلطوا بسكانه الاقدم عهدا • فلم يلاحظ مثلا دخول مؤثرات غريبة على طريقة دفن الموتى اوحدوث تغير محسوس فى فن البناء (٣) • ولكن الذى لوحظ هو أن الحضارة العبيدية ـ الوركائية كانت سائرة فى طريق الارتقاء بخطى مضطردة (٤) بالرغم من أن مقومات بعض عناصرها كانت من مواد يفتقر اليها سهل العراق • فقد وجدت أدوات كثيرة مصنوعة من صخور متنوعة ، كما وجد بعض منها مصنوعا من النحاس • أما الاوانى الفخارية فقد ازدادت صناعتها

---

(١) أنظر مواقع هذه الاماكن فى الخريطة رقم ٢ •

(٢) See, Delaporte, L.; Les Peuples de L'Oriet ... ibid. p. 63. and Keith, Sir A.; A New Theory ... ibid. pp. 193 et seq.

(٣) Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 8. and Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient ... ibid. p. 63.

(٤) Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 7.

رقيا • ومن الملاحظ أنها جمعت بين مواد توجد فى سهل العراق وبين مواد أخرى لا توجد فيه ، ولا بد انها كانت تستورد من الخارج • ففخار العبيد المعروف كان هو السائد أيضا فى عهد حضارة جمدة نصر ، الا أن الالوان التى استخدمت فى زخرفته قد تعددت، وكان من بينها اللون الاحمر (٥) • ولا يعرف من اين كانت تستورد هذه الالوان ، وكل ما هو معروف هو أن هضبة الاناضول تحتوى على مادة طبيعية تعطى لونا أحمر ، وقد عرفها الاغريق باسم ملتوس (٦) ـ Miltos

ولما كان سهل العراق يخلو من الصخور ومن المعادن كما يخلو من مواد الصباغة ، بينما وجدت هذه المواد جميعها ممثلة فى حضارته فى عهد جمدة نصر ، فانه يمكن استنتاج أن السكان فى عهد هذه الحضارة كانوا يحصلون عليها من طريق التجارة • وفى الواقع ، ان طرق المواصلات ووسائل النقل قد تقدمت كثيرا ، كما ارتقت الكتابة وارتقى معها الترقيم وصناعة الاختام • ويستدل بعض الباحثين من الثروات التي عثر عليها فى مخلفات هذه الحضارة ، ومن تنوعها ، على أن اتصالاتها لم تكن قاصرة على بعض الجهات فى الشرق الاوسط الاسيوى فحسب ، وانما امتدت من جهة الى وادى النيل ومن جهة أخرى الى وادى السند (٧) •

---

(٥) Childe, V.G.; New Light ... ibid. pp. 161 et seq.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 7-8. and Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient ... ibid. pp. 64-5.

(٦) Glover, T.R.; The Ancient World (in Pelican Books), 1948, p. 73.

(٧) راجع طه باقر ، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة .... ص ٥٣ ـ ٥٤ • وراجع أيضا :

Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient, ibid. pp. 64 and 65.; Childe, V.G.; New Light ... ibid. pp. 158-161., Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 8. and Woolley, Sir L.; A Forgotten Kingdom ... ibid. pp. 45-6.

والخلاصة أن سهل العراق بسبب خلوه من بعض المقومات الاساسية لقيام الحضارات الحجرية يبدو وان سكناه كانت غير مرغـوب فيها ، الا لبعض الجماعات المستضعفة التى تجد فى مناطق مستنقعاته حماية لها • وفى النصف الاخير من الالف الخامس قبل الميلاد، حيث كانت الاحوال المناخية حسنة فى سهول الشرق الاوسط وسيئة فى هضابه الشمالية ، هاجر اليـه من سهول سوسيانا أصحاب حضارة العبيد تحت ضغط وقع عليهم من داخل هضبة ايران ، وقد استقر معظمهم فى القسم الجنوبى منه • وهناك استمرت حضارتهم وازدهرت لمشابهة البيئة الطبيعية فى هذا الموطن الجديد لبيئـة موطنهم السابق • وفى النصف الاول من الالف الرابع قبل الميلاد جاء اليه من هضبة الاناضول أصحاب حضارة الوركاء بحضارة أخرى أكثر رقيـا فى بعض عناصرها من حضارة العبيد • كما فتحـوا أمامه أفاقا جـديدة لاتصالات أوسع ، تمتد خلال أرض ما بين النهرين الى داخل هذه الهضبة• وقد أحدث التقاء حضارة الهضبة مع حضارة السهل فيه ، ثورة حضاريـة نتجت عنها حضارة ثالثة أكثر رقيا منهما ، وهى التي عرفت باسم حضارة جمدة نصر ، وقد قاد أصحابها حركة هـذه الاتصالات[8] • وبعبـارة أخرى أنه فى عهد هذه الحضارة الاخيرة بدأ سكان سهل العراق يستغلون خصائص الموقع الجغرافى لبلادهـم من الناحيـة التجارية ، كما كانـوا يستغلون مياهه وخصوبة أرضه فى الزراعة •

---

(٨) عثر على أختام أسطوانية ترجع الى هذه الحضارة وعلى ألواح مكتوبة بلغتها (السومارية) فى جهات كثيرة من الشرق الاوسط تمتد غربا حتـى سواحل بحر ايجه • كما عثر عليها فى سوسه وفى بعض المواقع الاثريـة فى داخل هضبة ايران • بل ويرى بعض الباحثين أنها أثرت فى صناعـة الاختـام المصرية فى عصر ما قبل الاسرات •

أدوار العصر التـــاريخي

تتضمن أدوار هذا العصر السلالات الحاكمة الآتيـــة كما يوضحها الجدول التـــالى :ـ

السلالات الحاكمـــة	وقت قيامها فى الحكم
الســـومريون •	٣٠٠٠-٢٧٥٠ ق•م•
الاكاديـــــون •	٢٧٥٠-٢٥٤٢ ق•م•
الحوتيـــون وعهـد حكومات المدن التى قامت فى أورك ، أور « الثالثة » ، ايسن ولارسا •	٢٥٤٢-٢٠٩٤ ق•م•
العمـــوريون •	٢٢٢٥-١٩٢٦ ق•م•
الكاشيون وأسرة ايسن البابلية•ثم عصر مضطرب تتنازع فيه على الحكم أسر مختلفة •	١٩٢٦-٦٢٥ ق•م•
الآشـوريون « الامبراطورية الآشورية » •	٩١١-٦١٢ ق•م•
الكلـــدان •	٦٢٥-٥٣٩ ق•م•
الاخمينيـــون •	٥٣٨-٣٣١ ق•م•
الاسكندر والسلوكيـــون •	٣٣١-٢٤٨ ق•م•
الفرثيـــون •	٢٤٨ ق•م - ٢٢٦ م•
الساسانيـــون •	٢٢٦ - ٦٥١ م•

السومريون

بدأ العصر التاريخى (١) فى سهل العراق حول أوائل الالف الثالث قبل الميلاد بوجود شعبين مختلفين ، أحدهما شعب السومريين والآخر شعب الاكاديين • وقد سكن معظم السومريين فى القسم الجنوبى من هذا السهل بينما سكن معظم الاكاديين فى القسم الشمالى منه (٢) • أما فيما بين منطقة السومريين وبين منطقة الاكاديين من أراضى سهل العراق ، فانه يبدو أن دويلة صغيرة قد قامت على نهر الفرات حول نيبور التي تقع بالقرب من قرية نفر الحالية وعلى مسافة نحو ٣٢كم شرقى الديوانية • وكان سكانها خليطا من السومريين ومن الاكاديين مع أغلبية سومرية • وموقع هذه الدويلة فى داخل الاهوار البابلية قد أعطاها قوة فى الدفاع عن نفسها • كما أعطاها جانبا كبيرا من الحماية ضد الغزو الخارجى • وجعلها أيضا هذا الموقع مصدا بين قوة الاكاديين فى شمالها وبين قوة السومريين فى جنوبها • كما جعلها مركزا تستطيع منه أن تقوم بتنظيم سير الاتصالات بينهما • وقد أكسبها هذا الموقع على ما يبدو احترامهما • كما جعل انليل ، الهها ، محايدا ،

(١) يفضل بعض الباحثين أن يطلق على العصر السومرى عصر فجر السلالات • لاعتبار أن سهل العراق كان فى ذلك العهد يسير فى فجر حياته السياسية • فلم تقم فيه الممالك الكبيرة والامبراطوريات التى عرفت فيما بعد • كما أن البلاد فى أثنائه ما كانت تكون وحدة سياسية ، وانما كانت تتكون من عدد من حكومات المدن • راجع طه باقر ، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ••••• ص ٨٠ وما بعدها •

(٢) See, H's. U.H.W., 4, Chronicle 1, Twilight. 4000-1580 B.C., p. 430. Childe, V.G.; New Light ... ibid. p. 179. and Woolley; C. L.; Mesopotamia's City States before the Rise of Babylon, in H's. U.H.W., 5, p. 512.

يعترف به السومريون كما يعترف به الاكاديون (٣) •

وبجانب دويلة نيبور ، يبدو أن دويلة أخرى قد قامت عند رأس الخليج العربى • وكانت الاهوار الكلدانية تفصل بين ارضها حديثة التكوين وبين أرض السومريين • كما تفصل فى الوقت الحاضر بقاياها المعروفة حاليا باسم هور الحمار – سناف ، بين منطقة البصرة وبين باقى أرض العراق • والتاريخ القديم لهذه الدويلة لا يعرف شيء عنه الى الان • الا ان موقعها الجغرافى بين السومريين من جهة وبين العناصر السامية فى الجزيرة العربية من جهة أخرى ، يعطى احتمالا في أن يكون سكانها خليطا من السومريين ومن الساميين • كما تعطى صلاتها المباشرة بالعالم السامى ترجيحا فى أن تكون غالبية سكانها من العناصر السامية • ولقد نما شعب هذه الدويلة بمضى الزمن وباتساع رقعة أراضيها على حساب المياه التى تكتنف بعض جهاتها • واستطاع أن يثبت وجوده أثناء حكم العموريين (٤) • وقد عرف منذ ذلك الوقت باسم شعب القطر البحرى (٥) حتى أقام دولة الكلدان أو اشترك فى قيامها فعرف بالشعب الكلدانى •

أما فيما يتعلق بالسلالتين الكبيرتين فى القسم الجنوبى من سهل العراق وفى القسم الشمالى منه ، فهناك جدل حول أيهما سبق الآخر فى

(٣) Cf. King, L.W.; A History of Sumer and Akkéd, London, 1923, pp. 13, 52 and 85-6.; Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire, London, 1926, pp. 205-6.; Langdon, S.H.; Early Babylonia.... ibid. p. 393. and Thompson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. p. 466.

(٤) راجع فيما يلى موضوع « العموريون » •

(٥) See, Delaporte, L.; Mesopotamia, London, 1925, pp. 17 and 43.; Thompson, R.C.; The Golden Age of Hammorabi, in the C.A.H. Vol. 1, p. 496.; See also Thompson, R.C.; The Kassite Conquest, in the C.A.H. Vol. I, p. 555 and Cook, S.A.; Chronology, in the C.A.H., Vol. I, p. 153.

السكنى[٦] .

والسومريون فى القسم الجنوبى ، بالرغم من شهرتهم المدوية ، فأن أصلهم من ناحية الجنس غير محقق ، وكذلك موطنهم الاصلى . كما أن لغتهم فريدة بذاتها بين اللغات المنقرضة والحية.وهم لا يبدون من السلالات السامية ، كما أنهم لا يبدون من السلالات الآرية . ويختلفون كثيرا عن العلاميين المجاورين لهم فى سهول سوسيانا وفيما يكتنفها من مرتفعات هضبة ايران[٧]. وينسبهم بعض الباحثين الى السلالات الطورانيةفى هضابوسط أسيا وفى سهول التركستان . وينسبهم بعض ثان منهم الى السلالات الدرافيدية فى الهند[٨] . بينما يرى بعض ثالث أنهم خليط مكون من أصحاب حضارات عصر ما قبل التاريخ فى سهل العراق وقد ظهروا على مسرح التاريخ بهذه التسمية التى عرفوا بها[٩] . الا أنه توجد بعض أدلة

(٦) See, H's U.H.W.; 4, Chronicle 1 ... ibid. p. 430.; Moret, A. and Davy, G.; From Tribes ... ibid. pp. 201-2. and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 16. and cf. Wilson, Lt-Col. Sir A.T.; The Persian Gulf, Oxford, 1928, p. 22.

(٧) Cf. Woolley, Sir L.; Ur of the Chaldees (Penguin Books), 1950, p. 91. and Keith, Sir A.; A New Theory ... ibid. p. 294.

(٨) See, Moret, A. and Davy, G.; From Tribes ... ibid. p. 200.; Schneider, H.; The History of World Civilisation, Vol. 1, London 1931, pp. 119-20 and H's. U.H.W., 4, Chronicle 1 ... ibid. pp, 429-30.

(٩) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 12.; See also Keith, Sir A.; A New Theory ... ibid. pp. 292-4. and Woolley, C.L. Mesopotamia's City States ... ibid. p. 512.

ومما يؤيد هذا الرأى ما يلاحظ من أن السوماريين لم يشيروا فى كتاباتهم الى وجود موطن أصلى لهم قبل مجيئهم الى سومر . ويدل ذلك على أن وقتا طويلا قد مضى على مغادرتهم ذلك الموطن حتى نسيته الاجيال المتعاقبة.ويؤيده أيضا ما ورد فى كتاباتهم منأنهم سكنوا أرض سومر منذ بدأ الخليقة .

تعزز احتمال كونهم عنصرا دخيلا على السكان القدماء . من ذلك،أنه لوحظ أن ظهورهم فى سهل العراق قد صاحبه حدوث تغير فى طريقة دفن الموتى. كما لوحظ أن قوالب الطوب الرقيقة التى كانت شائعة فى عهد جمدة نصر قد حلت محلها قوالب غريبة الشكل ، فهى منبسطة من جانب ومقبية من الجانب الآخر . ولوحظ أيضا ظهور تغيرات واضحة فى فنى النقش والنحت[١٠] .

واذا سلم بأن السومريين عنصر دخيل على سكان عصر ما قبل التاريخ، فينبغى عند البحث عن موطنهم الاصلى ألا يوجه اهتمام كبير نحو داخل الجزيرة العربية . وذلك لانهم يختلفون كثيرا عن سكان هذا الداخل من السلالات السامية[١١]. وانما يوجه هذا الاهتمامنحو الجانب الشرقىلسهل العراق ونحو جانبه الشمالى ، حيث يوجد نطاق مرتفعات زاجروس - طوروس . ففيه توجد مسالك تربط بين هذا السهل وبين الجهات الداخلية فى الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط . ويسكن فى هذا النطاق وفى داخل هذه الهضاب شعوب غير سامية . وهى ، وان لم تعرف نسبتها على وجه محقق الى سلالة من السلالات البشرية المعروفة ، الا أنها تتكلم لغة يطلق عليها الباحثون اسم أنزانيت . وهى فى رأى بعض الباحثين تشبهلحد ما اللغة التى كان السومريون يتكلمون بها فى بدء تاريخهم[١٢] . وكذلك لانه يوجد فى هذا النطاق وفى هضبة ايران بعض مسالك ، ويمكن أن تنتقل خلالها بعض السلالات الطورانية من سهول التركستان ومن وسط

(١٠) Childe, V.G.; New Light ... ibid. pp. 169-70.

(١١) See, Smith, S.; Early History of Assyria to 1000 B.C., London, 1928, p. 10 and Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. pp. 363 et seq.

(١٢) Moret, A. and Davy, G.; From Tribes ... ibid. p. 199.; Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. pp. 361 and 364. and cf. Myres, J.L.; The Dawn of History, London, 1937, pp. 91-2.

أسيا • كما توجد فيها بعض مسالك أخرى ويمكن أن تنتقل خلالها بعض السلالات الدرافيدية من الهند •

ومن المحتمل أن يكون السومريون قد جاءوا الى سهل العراق من جهة الجنوب[١٣] • ربما بتسميتهم التى عرفوا بها من قبل ، وربما اكتسبوا هذه التسمية بعد استقرارهم فيه • اذ يبدو أن تسمية سومر تسمية اقليمية ، عرف بها القسم الجنوبى من هذا السهل[١٤] ، كما عرف القسم الشمالى منه بتسمية أكاد • ومما تجدر الاشارة اليه أن كلا من هاتين التسميتين قد استمر مستعملا فى عهد السلالات الحاكمة التى تلت عهد السومريون وعهد الاكاديين الى عهد كورش الفارسى[١٥] • وتعزز معالم سطح سهل العراق فى ذلك الوقت احتمال قيام هذه التسميات الاقليمية[١٦] •
ومما يعزز احتمال مجىء السومريين من جهة الجنوب ، ما هو معروف من أن القسم الجنوبى من سهل العراق ، وليس القسم الشمالى منه ، كان المكان الذى بزغت فيه شمس الحضارة السومرية • كما يعزه أن سلطان

(١٣) See, King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. p. 50.

(١٤) تفسير بعض المصادر تسمية سومر بمعنى أرض القصب (الغاب) • راجع : –
Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. p. 356. and cf, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 16 et seq. and Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 154.

(١٥) See, H's. U.H.W., 6, Chronicle 2, Dawn : 1580-900 B.C. p. 676.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 286.; Ragozin, Z.A.; Chaldea, London, 1900, p. 154 and Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire (Achaemanid Period) Chicago, 1948, pp. 52-3. and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 17.

(١٦) راجع فى هذا الجزء الاول موضوع « معالم السطح فى العراق »

السومريين فى عهد حكومات المدن لم يتعد نطاق ذلك القسم الا نادرا[١٧] •
وفى جنوب سهل العراق يوجد اتجاهان، يحتمل أن يكون السومريون قد جاءوا من واحد منهما • أحدهما اتجاه الخليج العربى ويعززه كنج[١٨] • كما تعززه أسطورة برحوشه[١٩] (بروسس – Berossus) وهو مؤرخ بابلى عاش حول سنة ٢٥٠ ق • م • وعدا اتجاه الخليج العربى، يوجد اتجاه سهول سوسيانا ، وهى ذات احتمال كبير فى أن تكون الموطن المباشر الذى جاء السومريون منه[٢٠] • ويتصل الساحل الشمالى للخليج العربى بهذه السهول • ويعتبره لا نجدون الموطن الاول الذى نمت فيه الحضارة السومرية[٢١] • ومن الملاحظ أن هذا السهل يتضمن ، كما تتضمن سهول سوسيانا ، بعض مساحات من الارض اليابسة وبعض مساحات أخرى من المستنقعات • ولهذه السطوح المائية أهمية كبيرة فى تعلم ركوب سطح الماء ، وعلى الاخص لان على سفوح المرتفعات التى تكتنفها تنمو بعض الاشجار ويمكن استخدام أخشابها فى صناعة القوارب • ومن الملاحظ

(١٧) Barton, G.A.; Semitic and Hametic Origins ... ibid. p. 36.

(١٨) See, King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. p. 3.

(١٩) راجع عن هذه الاسطورة :
Ragozin, Z.A.; Chaldes ... ibid. pp. 184-5. King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. p. 53. and Woolley, Sir C.L.; The Sumarians, Oxford, 1930, p. 189.

(٢٠) See, Keith, Sir A.; A New Theory ... ibid. pp. 289 and 292 et seq.

(٢١) Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. pp. 358 and 361 et seq. also Langdon, S.H.; The Sumarian Revival: The Empire of Ur, in the C.A.H. Vol. I, pp. 448-49 and 452. and cf. Thompson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. p. 469.

أيضا أن السومريين عندما جاءوا الى سهل العراق كانوا على درجة لا بأس بها فى معرفة الملاحة[٢٢] .

ويبدو أن السومريين قد اضطروا تحت ضغط العلاميين ، وهم سكان سفوح المرتفعات التى تكتنف سهول سوسيانا ، الى الهجرة الى القسم الجنوبى من سهل العراق . كما يبدو أنهم اختاروا هذا القسم لمشابهة ظروف بيئته الطبيعية لظروف بيئة تلك السهول ؛ وتؤيد الابحاث الاركيولوجية حدوث صراع معاصر لهذه الهجرة . فقد عثر الباحثون فى سهول سوسيانا ، فى طبقات ترجع الى الفترة الاخيرة من العهد الاول لحضارة سوسه ، وهى المعروفة باسم ما قبل العلامي ، على أوانى فخارية راقية الصنع وتشبه تماما أوانى أخرى عثر عليها فى بعض المدن السومرية القديمة مثل لجش وأريدو وأور . كما وجدوا أن هذه الحضارة الراقية قد انقطعت بسبب تخريب حدث لها ، وتوجد آثار تدل عليه . وعندما بدأ العهد الثانى لحضارة سوسه ، وهو العهد العلامى الذى يتفق وظهور الحضارة السومرية فى أرض سومر ، وجدت أوانى فخارية أخرى رديئة الصنع كما هى رديئة النقش والتلوين[٢٣] . والذى يمكن أن يستنتج من هذا هو أن العلاميين بعد أن أبعدوا السومريين واستقروا مكانهم فى سهول سوسيانا ، اعتنقوا مبادىء حضارتهم وأخذوا يقلدونها،ولهذا صاحب هذا العهد الجديد لحضارة سوسه ظهور أوانى فخارية رديئة الصنع . كما صاحبه أيضا ظهور أوانى أخرى مصنوعة من الحجارة[٢٤] .

---

(٢٢) Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States ... ibid. pp. 511-12.

(٢٣) See, Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. pp. 362-3. See also, O'Leary, De L.; Arabia Before Mohammad, London, 1927, p. 34.

(٢٤) Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. p. 363. and O'Leary, De L.; Arabia Before Mohammad ... ibid. p. 34.

ولقد وصف السومريون فى كتاباتهم العلاميين ، بسبب ذلك ، بأنهم وحوش الجبال وأعداء الآلهة ، ونحو ذلك من الصفات التى تدل على أنهم جماعة همجية من سكان الجبال[٢٥] . كما قام بينهما عداء تقليدى . وكان أحدهما يغير على الآخر كلما شعر بقوته . ومع ذلك تنبغى ملاحظة أن العلاميين بعد أن استقروا فى سهول سوسيانا وقفوا مصدا يحمى سهل العراق من غزو الشعوب التى تسكن المناطق الجبلية التي تكتنفهم . وقد استمروا كذلك حتى قضى عليهم آشور بانيبال الاشورى فانهار هذا المصد وانفتح بابه أمام الاخمينيين من سكان حوض برسبوليس لغزوه .

أما الموطن الاصلى الذى خرجت منه هجرات السومريين نحو سهول سوسيانا ونحو القسم المجاور لها من ساحل الخليج العربى ، فلا توجد عنه معلومات محققة . ويقول وولى ، اننا لا نعرف الموطن الاصلى للسومريين . وكل ما نعرفه أنهم جاءوا من اقليم تللى في مكان ما من جهات آسيا ، ثم انتشروا فى مساحات واسعة . فبينما نجد بعضا منهم قد سكن فى أرض ما بين النهرين ، نجد أقارب لهم قد سكنوا فى الولايات الشمالية الغربية للهند . ولا نعرف كذلك الطريق الذى سلكه من ذهب منهم الى سهل العراق . من المحتمل أن يكونوا قد سلكوا اليه طريقا خلال مرتفعات علام ، ومن المحتمل أن يكونوا قد سلكوا اليه المياه الاقليمية لهضبة ايران فى الخليج (الفارس) العربى[٢٦] . ويبدو كنج كذلك مترددا، فهو يشير تارة الى

---

(٢٥) See, Hays, C.J. and Moon, P.T.; Ancient History, New York, 1940, p. 57.

(٢٦) Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States ... ibid. pp. 511-12. See also, Haddon, A.C.; The Races of Man, Cambridge, 1929, p. 100.

وراجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ١٤ ـ ١٥ .

أسطورة برحوشة واحتمال مجيئهم من جهة الخليج(الفارسى) العربى • ويشير تارة أخرى الى الزاقورة واحتمال مجيئهم فى موجات من منطقة جبلية تقع الى الشرق فى وسط آسيا(٢٧) • أما موريه وديفى، فيرجعان موطنهم الاصلى الى التركستان حيث عثرت بعثة بمبللى — Pumpelly على آثار لحضارتهم بالقرب من مرو(٢٨) ، وهى واحة فى الاراضى السوفيتية تقع أمام مدخل بوابة خراسان • وتقوم عند دلتا نهر مرغب الذى ينبع من جبال هندكوش فى الاراضى الافغانية •

والسومريون عندما جاءوا الى سهل العراق كانوا على درجة كبيرة من الحضارة فى نواحى الزراعة • ولهم أيضا معرفة بالملاحة وباستخدام المعدن • وثقافتهم فى هذا الاستخدام الاخير تفوق كثيرا ثقافة المصريين فيه(٢٩) • وفى وسط أسيا وغربها تتوفر بعض نواحى تؤيد الآراء القائلة بأن هذه الجهات هى الموطن الاصلى للسومريين • فهناك تسود العناصر الطورانية ، والسومريون يشبهونهم فى بعض مميزاتهم الجنسية كالرأس العريض والعيون المنحرفة(٣٠) • كما أن تراكيب اللغة السومرية تشبه

(٢٧) King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. pp. 3,53-5 and 351.

(٢٨) Moret, A. and Davy, G. Frim Tribes ... ibid. p. 200.

(٢٩) الدكتور ابراهيم أحمد رزقانه ، الحضارة المصرية فى فجر التاريخ ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٢١٠ و ٢١٢-٢١٣ وراجع أيضا :
Woolley, Sir C.L.; The Sumarians ... ibid. pp. 42-3.
See also Ragozin, Z.A.; Chaldea ... ibid. p. 147.

(٣٠) Myres, J.L.; Primitive Man in Geological Times, in the C.A.H. Vol. 1, pp. 21 et seq.; Moret, A. and Davy, G.; From Tribes ... ibid. p. 200.; King, L.W.; A History of Sumar and Akkad ... ibid. p. 49. and Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. p. 364.

بدرجة كبيرة تراكيب اللغة المغولية(٣١) • ومناطق الواحات هناك ، بسبب سهولة التحكم فى موارد المياه فيها ، تصلح أن تكون موطنا لنشأة حضارة تقوم على الاستقرار الزراعى • وهى ، لما كانت محدودة المساحة فانها تمتاز عن مناطق السهول الفيضية الواسعة بأنها تضيق بسكانها بعد فترة من الزمن• وتخرج منها هجرات بعد كل جيل أو أكثر تتجه غالبا نحو السهول الواسعة لتعمير بعض جهاتها • كما أن فيها ، أو فيما يكتنفها من مرتفعات ، توجد بعض المعادن التى تساعد السومريين على معرفتها ومعرفة استخدامها قبل غيرهم من بعض الشعوب القديمة والمتحضرة كالمصريين • ومن الملاحظ أن بعض الباحثين يرجع أول معرفة للنحاس الى منطقة أناو — Anau وما يجاورها من أراضى التركستان(٣٢) • كما توجد أسطورة طورانية تشير الى معرفة قديمة لسكان بعض الواحات هناك للحديد وطريقة صهره(٣٣) • والحديد ، وان كانت حضارته متأخرة عن حضارة غيره من بعض المعادن ، الا أنه كان معروفا فى عصر ما قبل التاريخ • فقد عثر عليه فى مخلفات حضارة جرزا فى مصر كما عثر عليه فى أور فى آثار ترجع الى أوائل الدور

(٣١) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ١٥ وراجع أيضا :
Myres, J.L.; The Rise of Ordered Civilisation, in H's. U.H.W., 4, pp. 450-52.; Ragozin, Z.A.; Chaldea ... ibid. pp, 137 et seq, and Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. p. 4.

(٣٢) Windle, Sir B.; Europe in the Ages of Stone and Bronze, in H's. U.H.W., 6, p. 634.

(٣٣) راجع هذه الاسطورة فى :
Ragozin, Z.A.; Chaldea ... ibid. pp. 147-8.

السـومرى[٣٤] .

ويرجع بعض الباحثين سبب هجرة السومريين من هـذه الجهات الى زيادة الجفاف[٣٥] . على أن هـذا الرأى كان يبدو أكثر قبولا لـو كان السومريون شعبا رعويا . أو لو كان يعنى التأثير غير المباشر لهذه الزيـادة من الجفاف . فانها تحدث عادة اضطرابا بين جماعات الرعاة وقلقلات . وقد يغير بعض منهم على الزراع من سكان الواحات فيستولى على أملاكهم فيها ويطردهم منها . ولعل الاكثر احتمالا أن تكون هجرة السومريين قد نتجت عن تحسن الاحوال الجوية . ويتفق هذا التحسن مع ميل الاحوال الجوية فى سهول الشرق الاوسط الى الجفاف أثنـاء الذبذبات الاخـيرة لعصر فـيرم[٣٦] . فقد أدى هذا التحسن على ما يبدو الى ذوبان الجليد الذى كان متراكما على بعض المرتفعات . وهذا ترتب عليه من جهة تدمير تربة الاجزاء السفلى من السفوح وتجمع المياه في الاحواض المنخفضة بـين المرتفعات وغمرها لبعض الاراضى التى كانت تشغلها حقول الزراعة . وأدى من جهة أخرى الى تفتح بعض المسالك الجبلية أمـام سكان هـذه الاحواض التى كانت محاصرة بالجليد والتى كانت قد ضاقت بسكانها أثناء هذه المحاصرة . فاندفعت منها جماعات الى العالم الخارجى للبحث عن مناطق أخرى واسعة

(٣٤) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٢٤ وراجع أيضا :

Peet, T.E.; Life in Egypt during the Middle Kingdim, in H's. U.H.W. 5, p. 554.; Childe, V.G.; New Light ... ibid, pp, 114 and 189. also Childe, V.G.; The Growth of Culture in Barbarian Europe, in H's. U.H.W., 8, p. 922.

(٣٥) See, King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. See, King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. pp. 53-5 and 351. and Moret, A. and Davy, G.; From Tribes ... ibid. p. 200.

راجع فيما سبق موضوع « التطور التاريخى » .

تستقر فيها . ولقد أحدث هذا على ما يبدو اضطرابات واسعة النطاق ، أدت ببعض الجماعات الى تغيير أماكنها والهجرة الى جهات أخرى بحثا عن مناطق تصلح لان يمارسوا فيها نشاطهم القديم . ومن المحتمل أن السومريين كانوا من بين هذه الجماعات . ومن المتوقع أن تكون حياة الشدة التى كابدوهـا خلال الوقت الذى كانوا فيه محاصرين بالجليد فى بيئتهم الصغيرة ، كفيلة بأن تخرجهم الى العالم بحضارة على جانب كبير من الرقى فى كثير مـن نواحيها المادية والمعنوية[٣٧] .

وهجرة السومريين من وسط آسيا أو من غربها نحو سهل العراق ، لها فى الحافة الشمالية لهضبة ايران منفـذان رئيسيان . أحدهما بوابـة خراسان الى داخل هضبة ايران ثم خـلال مسلك أو آخـر فى نطاق زاجروس الى سهول سوسيانا أو الى سهل العراق . والآخر ممر باميان أو غيره من ممرات هندكوش الى وادى السند عن طريق ممر خيبر . ثم من هذا الوادى عن طريق ممر بولان وخلال بلوخستان . أو عن طريق ساحل مكران الى سهول سوسيانا . أو عن طريق المياه الشاطئية لهضبة ايران الى هذه السهول ، أو الى القسم الجنوبي من سهل العراق مباشرة خـلال مصب نهر دجلة أو مصب نهر الفرات . ويرى بعض الباحثين أنهم سلكوا المنفذ الاول . وأنهم فى داخل هضبة ايران قد انقسموا الى قسمين . قسم منهم اتجه نحو الغرب ونحو الجنوب الغربى واستقر في المناطق التى عرفت فيما بعد باسم كباد وكيا وباسم آشور ، أما القسم الآخر منهم وهو الاكبر عددا فانه اتجه نحو سهل العراق[٣٨] . واذا صـح هـذا الرأى يكون قسـم

(٣٧) See, East, G.; The Geography Behind History, London, 1945, p. 172. See also, Myres, J.L.; The Rise of Ordered Civilisation ... ibid. p. 438.

(٣٨) See, Moret, A. and Davy, G.; From Tribes ... ibid. p. 200. and Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. pp. 364-5.

السومريين الذى اتجه جنوبا قد سلك مسلكا أو اخر فى داخل هضبة ايران وفى نطاق زاجروس الى سهول سوسيانا ومنها الى أرض سومر خلال المنفذ البرى أو المنفذ المائى الذى يصل بينهما • أو أن يكون قد سلك أهم مسلك لسير الاتصالات فى داخل هضبة ايران ، وهو طريق خراسان الذى يصل بين بوابة خراسان وبين بوابة زاجروس • وينتهى به هذا المسلك عن طريق وادى دياله الى القسم الشمالى من سهل العراق مباشرة•ومن الممكن أيضا أن ينتهى بهم الى سهول سوسيانا • وذلك عن طريق اليابس الممتد بين سفوح هضبة ايران وبين النطاق الاول من النطاقات الطولية للمنخفضات فى سهل العراق[٣٩] • على أنه اذا صح أن السومريين قد دخلوا من بوابة زاجروس الى القسم الشمالى من سهل العراق ، فسيتبادر سؤال عن الاسباب التى دفعتهم الى الهجرة من هذا القسم الى أرض سومر ، وهو ليبوسة أرضه نسبيا أكثر شبها بيئتهم الاصلية وأكثر صلاحية لسكناهم من أرض سومر التى تكتنفها مناطق مستنقعات واسعة• كما أن قسما كبيرا من أراضيها سيء الصرف • ولا يبدو مقبولا أن يقال بأن النخيل هناك قد أغراهم[٤٠] ، لان البيئة فى القسم الشمالى تلائم نموه أيضا • ولا يبدو مقبولا أيضا أن يقال بأنهم عندما دخلوا من بوابة زاجروس كان القسم الشمالى من سهل العراق خاليا من السكان ، فاستقروا فيه بعض الوقت حتى جاءت العناصر الاكادية السامية فأبعدتهم عنه • وذلك لما هو معروف من أن أقدم حكومة عرفت فى القسم الشمالى من سهل العراق في عصر ما قبل التاريخ ، وهى التى قامت فى كيش ، كانت سامية[٤١] • ومن الملاحظ أنه لم يرد فى

(٣٩) راجع فى الجزء الاول موضوع « السهل الفيضى »

(٤٠) See, Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. p. 361. and cf. Woolley Sir L.; Ur of the Chaldees ... ibid. pp. 91-2.

(٤١) See, H's. U.HW., 4, Chronicle 1 ... ibid. p. 430 and Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States ... ibid. pp. 514 and 516.

النصوص السومرية أو فى النصوص الاكادية ولا فى الاساطير ما يدل على أن السومريين قد جاءوا الى أرض سومر من أرض أكاد[٤٢] •

وجغرافية سطح العراق كانت فى ذلك الوقت تضع صعوبات أمام وصول السومريين من القسم الشمالى منه الى القسم الجنوبى ، الا اذا كانوا متمدنين بمدنية ركوب الماء وكانت لديهم القوارب التى تمكنهم من اجتياز الاهوار البابلية • ولا يبدو أن فى بيئتهم الاصلية تتوفر عوامل تساعد على تمدنهم بهذه المدنية • ولما كان من المعروف أن السومريين كانوا على درجة كبيرة من التقدم فى مدنية ركوب الماء عند وصولهم الى أرض سومر ، فانه يبدو محتملا أن يكونوا قد تمدنوا بهذه المدنية فى مكان ما قبل وصولهم اليها • وتبدو سهول سوسيانا والمناطق التى تجاورها من الساحل الشمالى للخليج العربي أكثر احتمالا لهذا من بعض النواحى • والمسالك الموصلة اليها من داخل هضبة ايران معروفة ، ويمكن أن ينتقل السومريون خلالها • الا أن الابحاث الاركيولوجية التى أثبتت وجود صلات قديمة للسومريين بوادى السند[٤٣] ، توجه الاهتمام عند البحث عن مرحلة

(٤٢) See, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 16.

(٤٣) Grundy, G.B.; The Persians and the Empire of the Great King, in H's. U.H.W., 10, p. 1127.; Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient ... ibid. p. 67.; Wilson, Lt-Col. Sir A.T.; The Persian Gulf ... ibid. p. 28.; Barton, G.A.; Semitic and Hametic Origins ... ibid. pp. 37 and 59.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 49-50.; Sykes, Sir P.; A History of Exploration, London 1949, p. 2.; Childe, V.G.; New Light ... ibid. pp. 170, 182 and 187. Myres, J.L.; The Rise of Ordered Civilisation ... ibid. p. 450. Lowie, R.H. (Editor); An Introduction to Cultural Anthropology, New York, 1947, p. 156. and Swanton, J.R.; The Primary Centers of Civilization. United States Government Printing Office, Washington, 1948.

انتقالهم من موطنهم الاصلى الى سهول سوسيانا الى هذا الوادى والى المسالك التى تصل بينه وبين هذه السهول •

وعدا الادلة الاركيولوجية التى تؤيد صلات السومريين بوادى السند، توجد بعض أدلة أخرى تؤيدها أيضا • ومنها أنه لوحظ أن السومريين فى صورهم وفى تماثيلهم كانوا يتركون النصف الاعلى من أجسامهم عاريا ، كما كانوا يتعرون تماما أمام آلهتهم • ويستنتج بعض الباحثين أنهم قد اعتادوا على ذلك من قبل فى اقليم أشد حرارة من سهل « بابل »[٤٤]• ومن المعروف أن وادى السند ، وعلى الاخص القسم الادنى منه ، من أشد جهات العالم حرارة فى معظم فصول السنة•وقد لوحظ أيضا أن السومريين كانت تطلق عليهم تسمية ذوى الرؤوس السوداء • كما كان بعض ملوكهم يلقب نفسه بلقب راعى ذوى الرؤوس السوداء[٤٥] • والمقصود بذلك سواد البشرة ، لان السومريين كانوا على ما يبدوا يحلقون رؤوسهم كما كانوا يحلقون لحاهم[٤٦] • ومن المشاهد أن الهنود سمر البشرة ، ويزداد لونهم

---

(٤٤) Barton, G.A.; Semitic and Hametic Origins ... ibid. p. 65. Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. p. 364. and cf. Woolley, C.L; Mesopotamia's City States ... ibid. p. 512.

(٤٥) راجع ول ديورانت،قصة الحضارة الجزء الثانى ٠٠٠٠ المرجع السابق ص ١٥ وراجع أيضا :

Llyod. S.; Twin Rivers ... ibid. p. 24.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 72.; Bartn, G.A.; Sometic and Hametic Origin ... ibid. p. 60. and Schneider, H.; The History of World Civilisation, Vol. 1 ... ibid. p. 119.

(٤٦) راجع ول ديورانت،قصة الحضارة الجزء الثانى ٠٠٠٠ المرجع السابق ص ١٥ وراجع أيضا :

King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. p. 49.; Moret, A. and Davy, G.; From Tribes ... ibid. pp. 200 and 202, and Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. p. 364.

استمرارا بزيادة نسبة الدماء الزنجية فيهم من العناصر القديمة كالدرافيديين ومن قبلهم • ولهذا يكون من المحتمل أن يكون السومريون بعد أن اجتازوا ممرات هندكوش الى وادى السند قد انتشروا في الهند بعض الانتشار واختلطوا هناك ببعض هذه الدماء الزنجية فتأثر لون بشرتهم بسبب هذا الاختلاط ، كما تأثر بالاشعة القوية للشمس فى الهند • ومما يلاحظ أن العناصر الزنجية كانت سائدة فى الهند قبل أن تصل اليها العناصر الآرية الشقراء ، ولهذا كان تأثر السومريين باللون الاسود قويا وسريعا •

ومن المحتمل أن تكون هجرة السومريين كلهم أو بعضهم من وادى السند الى سهول سوسيانا أو الى القسم الجنوبى من سهل العراق قد حدثت تحت ضغط العناصر الزنجية ، أو تحت ضغط هجرة من الشعوب الآرية• ومن المعروف أن وسط أسيا وغربها كان مسرحا للشعوب الطورانية كما كان مسرحا لبعض الشعوب الآرية • واذا صح أن بعض الآريين قد تبع مسلك السومريين الى وادى السند ، فلا شك أن هذا الوادى كان مسرحا لصدام بين السومريين الزراع وبين لآريين الرعاة[٤٧] • ومثل هذا الاصطدام قد تكرر حدوثه خلال أدوار التاريخ بين الزراع وبين الرعاة وأينما التقت حضارتان متنافرتان • ويتفق وما نريد أن نذهب اليه ، وكما يحدث أيضا فى غالب الاحوال ، أن تكون الغلبة للآريين الرعاة • وعلى الاخص لانهم كانوا محاربين أشداء • كما كانوا على ما يبدو يعرفون الحصان كما يعرفون العربات ذات العجلات[٤٨] • واذا صح ذلك يمكن

---

(٤٧) See, Myres, J.L.; The Rise of Ordered Civilisation ibid. pp. 450-2.; Macalister, R.A.S.; The New Peoples: A study of Race Movements, in H's U.H.W., 7, pp. 792 and 806. and H's U.H,W., 4, Chronocicle 1 ... ibid. p. 429.

(٤٨) See, Myres, J.L.; The Rise of Ordered Civilisation ibid pp. 439 and 448 et seq. and Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. pp. 10-11.

القول بأن السومريين ، بعد أن تغلب الآريون عليهم وأبعدوهم عن وادى السند ، قد نقلوا معهم العجلة الى سهول سوسيانا • وقد سبقت الاشارة الى أن هذه المعرفة قد انتقلت من هذه السهول الى سهل العراق أثناء دور حضارة الوركاء[٤٩] •

والمسالك التى يمكن أن يسلكها من هاجر من السومريين من وادى السند الى سهول سوسيانا معروفة ، ومنافذها فى نطاق سليمان – كرثار هى ممر خيبر وممر بولان• وغيرهما ، يوجد طريق ساحل مكران ، كما يوجد طريق المياه الشاطئية لهضبة ايران•وليس من المحتمل أن يكون السومريون قد سلكوا ممر خيبر لانه هو الممر الذى تقدم منه الضغط الآرى • وممر بولان أكثر منه احتمالا • لانه ، من جهة يقع الى الجنوب من المنطقة التى تقدم منها هذا الضغط ، ومن جهة أخرى لانه قد عثر فى بلوخستان التى يجتازها مسلك هذا الممر على آثار للحضارة السومرية تشبه نظائر لها عثر على بعض منها فى وادى السند وعثر على البعض الآخر فى سومر[٥٠] • وطريق ساحل مكران محتمل أيضا • لان دلتا السند التى يتصل بها هذا الطريق تعتبر أخر مرحلة لتقهقر السومريين نحو الجنوب • أما اذا كانوا قد ركبوا المياه الشاطئية لهضبة ايران فلا بد أن يكونوا على درجة كبيرة من المدنية في معرفة الملاحة • والواقع أن بعض الباحثين لا يستبعد قدومهم فى هذا الطريق المائى[٥١] • على أن قدومهم فى هذا الطريق يحتمل أن ينتهى بهم الى سهول سوسيانا عن طريق مصب نهر كارون ، كما يحتمل أن ينتهى بهم الى أرض سومر عن طريق مصب نهر الفرات •

---

(٤٩) راجع فيما سبق موضوع حضارة الوركاء •

(٥٠) See, East, G.; The Geography Behind History ... ibid. p. 169. and Barton, G.A.; Semitic and Hamitic Origns...ibid. p. 59.

(٥١) See, Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States ... ibid. pp. 511-12. and Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 51.

والسومريون بعد دخولهم الى أرض سومر استمروا أكثر من قرنين يعيشون تحت نظام حكومات المدن ، حتى جاء سرجون الاكادى وكون فى سهل العراق دولة واحدة من الدويلات التى كانت قائمة فى أرض سومر وفى أرض أكاد • ومن الملاحظ أن العمران فى أرض سومر كان يتركز فى القسم الغربى منها • وقد دلت الابحاث الاركيولوجية على أن أعظم المدن السومرية وأكثرها أهمية قد قامت فى وادى الفرات[٥٢] وذلك مثل أور – تل المقير ، أريدو – أبوشهرين ، لارسا – سنكره ، أوروك – الوركاء، شاروباك – فاره ، أدب – بسماية • أما نهر دجلة الذى كان يأخذ اتجاه شط الغراف الحالى مجتازا أرض سومر ، والذى كان يلتقي بنهر الفرات فى منطقة أور ، فلم تقم عليه الا مدينة لجش « تلـو»[٥٣] • وبعض الباحثين يرى أن النصوص السومرية القديمة لم يرد فيها ذكر لاى مدينة أخرى قامت فى الوادى الادنى لنهر دجلة فوق أوبيس[٥٤] • بل انه لم يرد فى نصوص السومريين أو فى أساطيرهم أى ذكر لآشور[٥٥] • والذى يستنتج من ذلك هو أن القسم الادنى من وادى دجلة لم يكن بيئة صالحة

---

(٥٢) See, King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ibid. pp. 8-11.

(٥٣) عن مواقع هذه المدن ، أنظر الخريطة رقم ٢ •

(٥٤) موقع هذه المدينة على نهر دجلة غير محقق • ويرى ستن لويد أنها قامت فى موضع تل عمر الحالى أى فى المكان الذى قامت فيه سلوكيا المدينة الاغريقية ، راجع :

Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 23 and foot-note

(٥٥) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 60 and cf. Langdon, S.H.; The Sumarian Revival: The Empire of Ur, in the C.A.H. Vol. 1, p. 452. also Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. pp. 360-1.; Thompsin, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. p. 464. and Childe, V.G.; New Light ... ibid. p. 183,

لقيام الحضارة السومرية فيه وازدهارها • وترجع بعض أسباب ذلك عـلى ما يبدو الى رغبة السومريين فى الابتعاد بقدر الامكان عن أعدائهم العلاميين•

وكانت تتفوق أهمية بعض المدن السومرية على البعض الآخر لبعض عوامل ، ومن بينها الموقع الجغرافى وما يعطيه لها من بعض المزايا(٥٦) • اذ أنه لما كانت ثروة سومر الطبيعية تتكون من الماء والطين ونباتات المستنقعات ومن بعض الغلات الزراعية وربما من التمور أيضا ، وتفتقر فيما عدا ذلك الى كثير من المواد التى كانت أساسية لنمو الحضارات القديمة(٥٧) كأنواع الحجارة والاخشاب والمعادن والاحجار الكريمة ونحوها ، لهذا يكون قيام الاتصالات بينها وبين العالم الخارجى ضرورة ملحة سواء أحدثت بطريق اليابس أم بطريق الماء(٥٨) • ويكون من الطبيعى أن تقـوم أعظم المـدن السومرية وأكثرها أهمية عند منافذ هذه الاتصالات • ولما كانت كل هذه المدن أو معظمها تقع فى هذا الجزء من وادى الفـرات ، فانه يستنتج أن أوسع اتصالات لسومر كانت مع الاجزاء الاخرى من هذا الوادى ومـع الجهات الاخرى فى الشرق الاوسط التي تتصل بها خلال مسالك طبيعية • أما وادى دجلة ، فانه بسبب العداء الذى كان قائما بين السومريين وبـين العلاميين ، قد فقد أهميته كعامل ربط بين أرض سومر وبين جهات الشرق الاوسط التي تدخل ضمن حوضه أو التى تتصل به • بينما زادت أهميتـه كعامل فصل بينها وبين تلـك الجهات • وبعبارة أخـرى ، أنه بينما جاء السومريون من جانب وادى دجلة فان اتصالاتهم اتجهت نحو وادى الفرات والجهات التى تتصل به •

---

(٥٦) See, Keith, Sir, A.; A New Theory ... ibid. p. 293. and King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. p. 85.

(٥٧) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 48-9.

(٥٨) See, Childe, V.G.; New Light ... ibid. pp. 184-5.

ومما زاد فى ارتباط السومريين بوادى الفرات وبالبيئات المتصلة به ، انهم يستطيعون أن يحصلوا منها على معظم ما يحتاجون اليه من مواد تفتقر اليها بلادهم • فهم يستطيعون أن يحصلوا على بعض المواد الغذائية من سهل أكاد ، وعلى القار من منطقة هيت ، وعلى الاخشاب وبعض أنواع الصخور والمعادن من سوريا ولبنان ومنطقة كيليكية وكذلك من كبادوكيا وأرمينيـه والقوقاز • كما يستطيعون أيضا عن طريق هذا الوادى وعن طريق سوريا وفلسطين أن يتصلوا بمصر ويحصلوا منها على الذهب ، كما يحصلوا منهـا أيضا عـلى النحاس وحجر اللازود من مناجـم شبه جزيرة سينا(٥٩) • ويستطيعون عن طريق مصب نهر الفرات أن يتصلوا بعالم الخليج العربى وما وراءه • ويحصلوا على النحاس وعلى حجر الدايوريت من عمان ، وعلى البخور التوابل من ظفار وحضرموت(٦٠) ، وعلى الاخشاب من الهند• ومن المحتمل أن خشب الصاج الذى عثر عليه فى خرائب أور كان مستوردا من هناك(٦١) • ولا يبعد أن يكونوا قد حصلوا أيضا عن طريق وادى السند على حجر اللازورد من هضبة بامير(٦٢) • كما كان باستطاعتهم أن يحصلوا من قاع الخليج نفسه عـلى الاصداف واللآلىء(٦٣) • وأما من جانب الجزيرة العربية فقد كانوا يحصلون على منتجات البدو وعلى بعض أنواع الصخور

---

(٥٩) See, Suess, E.; The Face of the Earth, Vol. 1, Oxford, 1904. p. 371.

(٦٠) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash, in the C.A.H,. Vol. 1, pp. 415-416.

(٦١) See, Eldridge, E.B.; The Background of Eastern Sea Power, London, 1948, p. 26. and cf. O'Leary, De L.; Arabia Before Mohammed ... ibid. p. 67.

(٦٢) See, Woolley, Sir C.L.; The Sumarians ... ibid. pp. 45-6.

(٦٣) See, Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid p.. 585.

وعلى الاخص المرمر من الكهوف والمغارات التى توجد فى بعض جهاتها • وكذلك على بعض الاعشاب ذات الرائحة العطرية أو ذات المنافع الطبية ، وقد كانت ضرورية للمعابد(٦٤) • وقد قوت صلات السومريين بوادى الفرات من اتصالاتهم بالشعوب السامية • ودراسة الجماجم التى عثر عليها فى أور وفى العبيد قد دلت على حدوث اختلاط كبير بينهم وبين بعض هذه الشعوب(٦٥) • كما يشير القسم الاول من قصة جلجامش وأنجيدو ، وهى من أشهر القصص فى الادب السومرى ، الى قصة هذه الاتصالات(٦٦) •

والحضارة السومرية من ألمع الحضارات التى ظهرت فى التاريخ القديم ، وتدل مخلفاتها على ثراء كبير • فقد عثر فى القبور الملكية على كنوز ضخمة من المعادن النفيسة ومن بعض الاحجار الكريمة ، كما أن القبور العادية لبعض أفراد الشعب السومرى لم تخل من آلات من النحاس ومن البرونز كذلك من بعض قطع اللازورد(٦٧) • وذلك بالرغم من أن سومر صغيرة المساحة وبعض أراضيها سىء الصرف • وكانت لهذا محدودة

---

(٦٤) Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. p. 583. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 37.

(٦٥) See, Barton, G.A.; Semitic and Hamitic Origins ... ibid. p. 39.

(٦٦) أنظر هذه القصة فى ول ديورانت ، قصة الحضارة الجزء الثانى ٠٠٠ المرجع السابق ص ٢٣٩ وما بعدها • وراجع أيضا :
Thompson, R.C.; The Influence of Babylonia, in the C.A.H., Vol. 3, pp. 227-32. also Thompson, R.C.; Babylonia in the Days of Hammurabi, in H's U.H.W., 5, pp. 373-4. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 21-2.

(٦٧) راجع الدكتور ابراهيم أحمد رزقانه ، الحضارات المصرية ٠٠٠ المرجع لسابق ص ٢١٤ • وراجع أيضا :
Childe, V.G.; New Light ... ibid. p. 180 and Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States ... ibid. p. 514.

الانتاج من الناحية الزراعية ومن الناحية الرعوية • وفضلا عن ذلك ، تخلو من معظم مقومات نمو الحضارات القديمة وازدهارها • ولقد فرضت هذه الظروف غير الملائمة على الشعب السومرى أن يشتغل أيضا بالتجارة(٦٨) وبالصناعة • فهو يستورد الاصواف والجلود من البدو المجاورين له فى غرب الفرات ويصنعها ويستخدم بعضا منها فى ملابسه وأغطيته ويصدر البعض الآخر(٦٩) • كما يستورد المواد الخام وهى عادة ثقيلة الوزن ، من الجهات الاخرى وينقلها على أرماث فى نهر الفرات ثم يصنعها ويستخدم بعضا منها فى بناء حضارته ويتاجر فى البعض الآخر • ولقد انتشرت بسبب ذلك عناصر الحضارة السومرية الى جهات واسعة في الشرق الاوسط والى جهات تقع وراء محيطه(٧٠) • ومما ساعد على انتشارها أن السومريين قد اهتموا بوسائل النقل والمواصلات. واستخدموا عربات كبيرة

---

(٦٨) راجع الدكتور ابراهيم أحمد رزقانه ، الحضارات المصرية ٠٠٠ المرجع السابق ص ٢١٣–٢١٤ ، ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ٠٠٠ المرجع السابق ص ٢٠٥ و ٢٤٩ • وراجع أيضا :
King L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. p. 7.; Woolley, Sir C.L.; The Sumarians ... ibid. pp. 45 et seq.; Smith. S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 48 et seq. and Thompson, R.C.; Babylonia in the Days of Hammurabi ... ibid. p. 578.

(٦٩) See, Myres, J.L.; The Rise of Ordered Civilisation ... ibid. p. 458.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 13 and 48-9. and Historian's History of the World, Vol. 8, p. 108.

(٧٠) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and the Sown, Oxford, 1928, p. 28.; Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 14-15.; Woolley, Sir C.L.; The Sumarians ... ibid. pp. 45-6.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 48 et seq. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 29.

الحجم نسبيا ، كان يجرها زوج أو أكثر من الثيران أو من الحمير (٧١) .
وتسمح ظاهرات السطح فى سهول الشرق الاوسط بسير هـــذه العربات خلالها الى سفوح طوروس من جهة والى نهر النيل من جهة أخــــرى . وكذلك الى سهل البقاع وساحل البحر المتوسط خلال بعض ممرات فـــى نطاقات المرتفعات السورية ـ اللبنانية .

ويبدو أن اتصالات سومر مع وادى النيل لم تكن قاصرة على المسالك البرية وحدها،وانما استخدم أيضا الطريق البحرى حول شواطىء الجزيرة العربية . ومن المحتمل أن يكون هذا الطريق قد افتتح قبل ذلك فى عصر ما قبل التاريخ . ذلك لانه قد عثر فى مخلفات عصر ما قبل الاسرات فى مصر على بعض أوانى مرسوما عليها نوعا من القوارب لا نظير له فى كل ما عرف من أنواع القوارب والسفن التى استخدمها المصريون سواء فى النيل أم فى البحار ، ولكنه يشبه أنواعا وجدت منقوشـــة على الاوانى البابلية (٧٢) . حقيقة ، يحتمل أن تكون هذه الرسوم تقليدا لرســوم عـلى بعض الاوانى البابلية التي انتقلت الى مصر بطريق التجارة البرية ، الا أنه ليس بعيـــد الاحتمال أيضا أن يكون رسام مصرى قد نقلها عن سفينة عراقية وجدت فعلا فى احدى الموانىء المصرية على ساحل البحر الاحمر (٧٣) .

---

(٧١) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 27 and 28.; Delaporte, L. Les Peuples de L'Orient ... ibid. p. 64. and Childe, V.G.; New Light ... ibid. pp. 181-2.

وراجع أيضا أولمستد الذى يقول بأن السومريين قد استخدموا الحصـــان أيضا .

Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. p. 4.

(٧٢) راجع الدكتور ابراهيم أحمد رزقانه ، الحضارات المصرية ... المرجع السابق ص ٢٠٦ـ٧ وراجع أيضا :

Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 32-3.

(٧٣) See, Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. pp. 581 and 582-3.

ومن الملاحظ أن بعض المصادر ترى أن سومر قد أعطت مصر أكثر مما أخذت منها ، وهذا يبدو صحيحا بدرجة كبيرة . ذلك لان مصر لم تكن بحاجة كبيرة الى العالم الخارجى ، فهى غنية بانتاجها الزراعى ومعظم مقومات الحضارات القديمة من الصخور ومن بعض المعادن والاحجار الكريمـة ، وربما من بعض الاخشاب أيضا (٧٤) . أمـا سـومر فقد كانت ، فيما عدا التمور والسمك وبعض الشعير أو الدخن،تخلو من معظم المقومات الاخرى للحضارة . ولهذا كان شعبها مضطرا أن يكون جوابا (٧٥) يبحث عن موارد المواد الخام ويستوردها ثم يصنعها ويرســلها بطرق البر وبطريق الماء الى أسواق العالم المتحضر فى الشرق الاوسط ومصر (٧٦) . وقد ساعدها عـلى ذلك موقعها الجغرافى وسهولة اتصالها بهذه الاسواق .

والادلة على حدوث اتصالات بين وادى الفرات وبين وادى النيــل كثيرة ومتنوعة ، وهي لا تقتصر على الدور السومرى فحسب ، وانما ترجع

---

(٧٤) راجع الدكتور ابراهيم أحمد رزقانه ، الحضارات المصرية ... المرجع السابق ص ١٣٨ و١٣٩ وراجع أيضا :

Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History. Oxford, 1949, pp. 211-212. See also, peat, T.E.; Life of Egypt During the Middle Kingdom, in H's. U.H.W., 5, pp. 553-558.

(٧٥) See, Landone, B. (Editor-in-Chief), Prehistoric Man and the Ancient World, Vol. 1, New York, 1942, pp. 177-8.; Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States ... ibid. p. 521. and Delaporte, L.; Mesopotamia's ... ibid. p. 115.

(٧٦) See, Childe, V.G.; New Light ... ibid. pp. 175 and 182. and Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. pp. 582-3.

أيضا الى أدوار عصر ما قبل التاريخ (٧٧) . وبعض الباحثين يحاول أن يجد لها تفسيرا على أساس جنسى (٧٨) . بمعنى أن المصريين من أصل سومرى . واما أن تكون مصر هى الموطن الاصلى للسومريين وأن الهجـرة التـى خرجت منها نحو سهل العراق قد حملت معها عناصر الحضارة السومرية ـ المصرية . واما أن يكون السومريون من موطن أخر ، وأن بعضا منهم اتجه نحو سهل العراق حاملا عناصر الحضارة السومرية ، كما اتجه بعض أخر الى مصر وحمل اليها نفس العناصر .

والخلاصة أنه بالرغم من أن السومريـين قد نشأوا في مكان ما فى وسط أسـيا أو في غربها ، ثم اسـتقروا بعض الـوقت فى وادى

---

(٧٧) راجع عن هذه الاتصالات ، الدكتور ابراهيم أحمد رزقانـه ، الحضارات المصرية فى فجر التاريخ .... المرجـع السابق ، ص ١٩٤ و٢٠٦ ـ٠٨ ، ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ، المرجـع السابق ص٤١ . وراجع أيضا :

Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. pp. 574, 579, 580-2 and 584. also Hall, H.R.; The Union of Egypt and the Old Kingdon, in the C.A.H.; Vol. I, pp. 262-3., Childe, V.G.; New Light ... ibid. pp. 138, 170-2 and 175-6.; Peet, T.E,; Egypt: The Predynastic Period, in the C.A.H., Vol. I, pp.252-3.; Langdon, S.H.; Early Babylonia and its Cities ... ibid. pp. 363, 372 and 376.; Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient Mediterranéen, 1 ... ibid. pp. 62 and 64.; Woolley, Sir C.L.; The Sumarians ... ibid. pp. 46-7.; Moret, A and Davy, G.; Form Tribes to Empire ... ibid. pp. 209-10, Breasted, J.H.; Ancient Times, A History of the Early World, Boston, 1944, p. 145. and O'Leary, de L.; Arabia Before Mohammed ... ibid. p. 44.

(٧٨) راجع الدكتور ابراهيم أحمد رزقانه ، الحضارات المصرية ... المرجع السابق ص ٢٠٩ ، ٢١٢ وراجع أيضا :

Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. pp. 462-3 and Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 52.

السـند وفى سـهول سـوسـيانا قبل وصولهم الى القسـم الجنوبى من سهل العراق ، الا انه بسـبب عدائهم للعلاميين الذين أبعدوهم عـن هذه السهول ، قد ابتعدوا عن وادى نهر دجلة لقربه منهم وتركزوا عـلى جانبى نهر الفرات . ولقد ترتب على ذلك أن اتجهت اتصـالاتهم نحـو الجهات التى يتضمنها حوض هذا النهر وكذلك نحو الجهات الاخرى التى يمكن الوصول اليها عن طريقه سواء بالوسائل البرية للنقل والموصلات أم بالوسائل المائية لها .

الاكاديون

جمهور العلماء على أن الاكاديين من العناصر السامية • ويرى بارتون أنهم أوثق اتصالا بالساميين الشماليين[١] • ووقت قدومهم الى سهل العراق غير محقق ، وان كان الاكثر احتمالا أن يكون قد حدث بعد أن سادت أحوال الجفاف فى سهول الشرق الاوسط ، وتميزت فيها الجهات التى تجتذب اليها البدوى عن الجهات الاخرى التى تجتذب اليها بعض الزراع من سكان الواحات ونحوها من البيئات الزراعية الصغيرة • ويرى بعض الباحثين أنهم قد جاءوا الى سهل العراق من جهة الغرب والشمال الغربي فى حالة بدوية ، ثم تحضروا بعد وصولهم اليه بسبب تأثرهم بالحضارة السومرية[٢] • ولكن هذا الرأى لا يبدو سليما • ذلك لان القسم الشمالى من سهل العراق ، وهو الذى استقروا فيه ، لا يتضمن الاشياء التى تجتذب البدو اليه • فأمطاره قليلة ، لا تساعد على نمو الحشائش فى بعض السنين الا لعدة أيام قليلة • ولا تزيد فى أغزر السنين عن نحو شهر واحد أو شهر وبضعة أيام[٣] •

---

(١) See; Barton, G.A.; Semitic and Hamitic Origins ... ibid. pp. 69 et seq.

(٢) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 31 and 47., King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. p. 55., Peake, H. and Fleure, H. J.; Peasants and Potters, Oxford, 1927, p. 81., Hays, C.J.H. and Moom, P.T.; Ancient History ... ibid. p. 55., Myres, J. L.; The Rise of Ordered Civilization ... ibid. pp. 457-8. and cf. Smith, S., Early History of Assyria ... ibid. pp. 108 et seq. and Hogarth, D.G.; The Ancient East, London 1939, p. 23.
Meteorological Service; Climatological Means for Iraq, Baghdad, 1950
East, G.; The Geography Behind History ... ibid. p. 161.
and Peake, H. and Fleure, J.H.; The Steppe and Sown ... ibid. p. 8.
and cf. Griffith, F.L.; The Egyptian Empire, Its Splendour and Decline, in H's. U.H.W., 6, p. 683.

(٣) راجع الفريق طه الهاشمى ، مفصل جغرافية العراق ، بغداد ، ١٩٣٠ ص ٣٤ •

اما فى فصل الصيف ، فأن سطحه يكون قاحلا محترقا من أشعة الشمس القوية[٤] • واذا تركنا الارض اليابسة فى هذا القسم من سهل العراق ، لا نجد حشائش المستنقعات التى يتضمنها تصلح لرعى حيوانات البدوى ، سواء أكانت صغيرة كالغنم والماعز أم كانت كبيرة كالابل[٥] • وتفضله فى هذه الناحية أرض الجزيرة والصحراء السورية وأرض آشور ، بل وكثير من الجهات فى داخل الجزيرة العربية وحافاتها[٦] •

واذا تدبرنا من جهة هذه الظروف الطبيعية التى لا تجتذب اليها البدو الا لفترة قصيرة • وتدبرنا من جهة أخرى أن المحاولات التى بذلتها الحكومات القائمة فى بغداد منذ عهد مدحت باشا فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر فى سبيل جذب القبائل البدوية الى الاستقرار لم تنجح الا نجاحا جزئيا • بل ويعزى جانب كبير من هذا النجاح الى أن حرية البدوى فى الصحراء لم تعد مطلقة كما كانت • وذلك بعد أن أصبحت السيارات المسلحة تسلك فيها المسالك التى كانت قاصرة على الابل • وبعد أن أصبحت الطائرات تستطيع من الجو أن تراقب أعماله وحركاته أينما يكون فيها[٧] • اذا تدبرنا كل ذلك ، وتدبرنا أيضا ان البدو يكرهون حياة المدن ويأنفون

---

(٤) ترتفع درجة الحرارة أحيانا فى بغداد وعلى الاخص فى شهرى يوليو وأغسطس (تموز وآب) الى ٤٨ درجة مئوية ، راجع Meteorological: Service; Climatological Means for Iraq, Baghdad. 1950.

(٥) يرى جوردن ايست ان الجمل ذو السنام الواحد كان معروفا فى أرض ما بين النهرين منذ فجر التاريخ • كما يرى بيك وفلير ان الجمل اصلى فى بلاد العرب وانه كان معروفا فى مصر فى عهد الاسرة الاولى • East, G.; The Geography Behind History ... ibid. p. 161. And Peak, H. And Fleure, J.H.; The Steppe and Sown ... ibid. p. 8. And cf. Griffith, F.L, The Egyptian Empire : Its Splendour and Decline. In H'S. U.H. W. 6, p. 683.

(٦) بسبب قلة المراعى فى سهل العراق حتى فى فصل المطر يضطر الزراع لتغذية حيواناتهم ، الى حش بعض الغلات الشتوية كالشعير والقمح • ويحش الشعير أحيانا ثلاث مرات قبل أن يترك لتتكون سنابله •

(٧) See, Fedden,; Syria, London, 1947, pp. 157-8.

من سكانها(٨) ، فانه يصعب تصور أن يجيء هـؤلاء البدو وبرضائهم من الصحراء الى هذا القسم من سهل العراق ليحيوا فيه هـذه الحياة التي لا يحبونها ، والتي لا توجد صلة قوية بينها وبين حياتهم البدوية • هذا ، ومع ملاحظة ان الصحراء تجاور مباشرة الارض المزروعة فيه ، ولا توجـد بينهما منطقة انتقالية • الامر الذى يجعل التباين حادا بينهما ، سواء مـن الناحية الطبيعية أم من الناحية البشرية • ويحمل هذا التباين فى طبيعتـه حاجزا يمنع بدو الصحراء من اتخاذ سهل العراق دار اقامة لهم • وفـى الواقع ان ذلك الرأى خطير ، ويبدو تقليديا • وقد جرى بين بعض المصادر على أن الجزيرة العربية لا تخرج منهـا هجرات الا مـن جمـاعات البدو(٩) غير المتحضـرة ، كهجـرات الاكاديين والعمـوريين والفينقيين والارامين والنبطيين • وينبغى لذلك دحضه ، لانه لو كان صحيحا لكان تاريخ سهل العراق سلسلة من غزوات البدو • ولا يوجد فى تاريخ هذا السـهل ، سواء فى عصوره المتوسطة أو فى عصوره الحديثة ، ما يدل على أنه قـد خضع لجماعات من بدو الصحراء • ولا تبدو حاجة الى تأكيد أن قـادة الفتح الاسلامى وزعمائه لم يكونوا بدوا • فقد كانوا مـن أهل الحضـر يسكنون المدن ويشتغلون بالتجارة بين الجماعات المتحضرة من العالم الذى يكتنفهم • ومن المعروف أن النشاط التجارى فى مكة قبيل الاسلام قـد اجتذب اليه بيوتا تجارية رومانية(١٠) • وحتى بعد أن تكونت الامبراطورية الاسلامية وامتـدت رقعتها بين المحيط الاطلسى وبـين الصين ، لم يثبت أن

(٨) راجع حافظ وهبه ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ، القاهرة، ١٩٤٦ ، ص ١٠ • والدكتور جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الاول « القسم السياسى » بغداد ١٩٥٠ ، ص ٣٧٠ •

(٩) See, King, L.W.; A History of Babylon, London, 1919, pp. 119-20. and cf. Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 108-9.

(١٠) راجع فيما يلى موضوع « الساسانيون »

عددا يستحق الذكر من القبائل البدوية قد خرج من الصحراء العربية وانتشر فى جهاتها(١١) • وكل ما لمس خلال الادوار المحققة من تاريخ هذا السـهل من صلات بشرية بينه وبين الصحراء ، انما كان تسللا سـلميا لافراد او جماعات قليلة العدد من سكان المدن أو القرى ممن لهم صلات بالاعمـال المربحة فيه كالزراعة والتجارة أو الصناعة • أما ما يحدث أحيانا من هجرات بعض القبائل البدوية من الصحراء لسبب أو لآخر ، فأنها لا تتجه اليه ، وانما تتجه نحو بعض الجهات ذات المراعى التي تكتنفه مثل أرض الجزيرة أو الصحراء السورية • وذلك مثلما حدث من قبائل عنيزه ومن قبائل شمر • وأما ما يحدث أحيانا أخرى من غزو بعض القبائل البدوية لبعض مراكز العمران التى تجاور الصحراء فى وادى الفرات ، فأن ذلك (الفـرهود) يكون عادة فى أوقات ضعف الحكومات القائمة عليه وشـيوع الفوضى • وكل النتائج المترتبة على مثل هذا الغزو تشير الى أن الدافع اليـه محض سلب حيوانات الزراع وبعض حاجياتهم • ولا يبدو أن تغيرا ملموسا قـد حدث فى طبائع البدو بين الماضى وبين الحاضر •

وفضلا عما تقدم ذكره ، فأن سـهل أكاد الذى اختاره الاكاديون لسكناهم ، وان كان ليبوسة أرضه نسبيا أكثر شبها بأرض الصحراء مـن أرض سومر التى استقر فيها السومريون ، الا أنه لا يصلح لنشأ حضـارة تقوم على الاستقرار الزراعى • وذلك لان قيام الزراعة فيه يتطلب جهـودا شاقة وخبرة سابقة • فأرضه ليست كأرض مصر يبذر زراعها الحب فـى الاحواض بعد الفيضان فى الخريف وينتظرون ثمارها من الرب • وذلك لحقيقة ملموسة وهى أن الزراعة الحوضية التى أمكن قيامها فى مصر لا يمكن أن تقوم في أكاد(١٢) • فمن المشاهد أن فيضانات دجلة والفرات تبلغ

(١١) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 108-9.

(١٢) See, Willcocks, Sir W.; The Irrigation of Mesopotamia, London, 1917, pp. XII and V.

ذروتها فى الربيع ثم يحدث الانخفاض فى أوائل الصيف • ويصحب هذا الانخفاض ارتفاع كبير فى درجة الحرارة • وعند ما يأتى الخريف يكون مستوى المياه فى دجلة والفرات قد بلغ أقصى درجات انخفاضه • ومعنى ذلك أنه لا يمكن أن تقوم فى سهل أكاد زراعة فى الصيف أو فى الخريف الا اذا أقيمت لها مشاريع للرى[١٣] ، ترمى الى خزن قسم من مياه الفيضان كما ترمى الى رفع مستوى المياه في الانهار وتوزيعها فى قنوات الى الحقول • وكذلك لا يمكن أن تقوم فى هذا السهل الزراعة على أساس اقتصادى فى فصل الشتاء[١٤] الا اذا استعين بمثل هذه المشاريع • لانه فى الوقت الذى ينبغى فيه أن تعد الارض لزراعة الغلات الشتوية وبذر البذور فيها وذلك فى فصل الخريف أو فى اوائل الشتاء ، يكون مستوى المياه فى الانهار لا يزال منخفضا • كما أن كمية الامطار الساقطة فى هذه الاوقات ، فصلا عن كونها غير مؤكدة وغير منتظمة ، فأنها لا تكفى لنمو الغلات[١٥] • وعند ما تتوفر المياه في فصل الربيع يكون الوقت المناسب للزراعة قد فات • وبالأضافة ، تنبغى الاشارة أيضا الى عنف الفيضانات فى سهل العراق ، والى أن سطح هذا السهل ليس مستويا

(١٣) See Brown, Sir H.; Irrigation, London, 1907, pp. 3-4. See also Myres, J.L.; The Dawn of History ... ibid. pp. 22-3.

(١٤) راجع الدكتور احمد سوسه ، تطور الرى فى العراق ، بغداد ، ١٩٤٦ ، ص ٢١ • گوردن هستد ، الاسس الطبيعية لجغرافية العراق «تعريب جاسم محمد الخلف» بغداد ، ١٩٤٨ ، ص ٩٢ وما بعدها ، راجع ايضا :
Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History ... ibid. p. 179.

(١٥) يبلغ متوسط سقوط المطر السنوى فى بغداد ١٣٫٤سم • وفى الحلة « منطقة بابل » ١٢٫٥ سم راجع •
Meteorological Service; Climatological Means of Iraq ... ibid. p. 43. and Breasted, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 140.

راجع ايضا الدكتور احمد سوسه ، تطور الرى فى العراق ٠٠٠ المرجع السابق ص ١٤ ــ ١٦ •

بالدرجة المعروفة فى سطح وادى النيل والدلتا[١٦] • وتتطلب الاعمال المتعلقة بتوقى غوائل الفيضانات فيه وبشق الترع وحاجتها المستمرة الى التطهير جهودا كبيرة ، كما تتطلب خبرة فى هندسة الرى[١٧] • وهذه الصعوبات المتعلقة بالزراعة فى أرض أكاد لاتتمثل فى أرض سومر • لان مياه الانهار فيها تتوزع فى عدد من الجداول الصغيرة • ويمكن أن يتحكم الزراع فيها باقامة سداد بسيطة عليها • كما يمكنهم بسهولة أن يزرعوا الارز فى المستنقعات التى تكتنفها ، والدخن أيضا فى الاراضى الرطبة والغنية بالغرين عند حافات هذه المستنقعات •

والخلاصة ان الظروف الطبيعية المتعلقة بسهل أكاد لاتجعله من جهة موضع جذب للجماعات البدوية ، ولا تجعله من جهة أخرى صالحا لنشأة الزراعة فيه • وما دامت الزراعة قد قامت فيه فعلا ، فلابد أن يكون سكانه من الاكاديين قد جاءو اليه عارفين الزراعة من جهات صالحة لنشأتها فيها • وربما كانوا أيضا على درجة كبيرة فى النواحى الاخرى من الحضارات ، اذا راعينا أن مواطنهم التى جاؤا منها ، وهى كما يراها بعض الباحثين تقع فى غرب سهل العراق وفى شماله الغربى ، تدخل ضمن الاقليم الذى خلاله كانت تتركز اتصالات سكان القسم الجنوبى من هذا السهل مع عالم شرق البحر المتوسط ومع مصر •

(١٦) راجع فى الجزء الاول موضوع « السهل الفيضى » •

(١٧) See, Willcocks, Sir W.; The Irrigation of Mesopotamia ... ibid. pp. xi-xiii; Rostovtzeff, M.; A History of the Ancient World, Vol. I, The Orient and Greece, Oxford, 1929, p. 18.; Landone, B. (Editor in Chief); Prehistoric Man and the Ancient World, Vol. I ... ibid. pp. 205-6.; Thompson, R.C.; Babylonia in the Days of Hamurabi ... ibid. p. 567.; Myres, J.L.; The Dawn of History ... ibid. pp. 94 et seq.; Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States Before the Rise of Babylon ... ibid. p. 511. and Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History ... ibid. p. 179.

وراجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ٠٠٠ المرجع السابق ص ١٨٨ •

والعالم السامى ، وهو يقع جنوب نطاق طـوروس – زاجروس ، يتضمن بعض مناطق أكثر من غيرها احتمالا لان تكون الموطن الذى هاجر منه الاكاديون الى القسم الشمالى من سـهل العراق • وهى تمتاز ببعض مميزات • منها أنها بيئات صغيرة وموارد المياه فيها محدودة يسهل التحكم فيها • وهى لهذا تصلح لنشأة الزراعة • كما أنها بسبب صغر مسـاحتها تكون معرضة لان تضيق بسكانها بعد فترات قصيرة فتخرج منها هجرات • ومنها أنها تقع على مسالك طبيعية تطرقها قوافل التجارة كما تطرقها الجيوش الغازية والهجرات البشرية • وهذا من جهة يساعدها على التحضر ، ولكنه يؤدى من جهة أخرى الى جعل الحياة فيها مقلقة • وتبعا لذلك فان الهجرات التى تخرج من هذه البيئات مجذوبة بفرص النشاط فى سهل العراق تكون على درجة حضارية متقدمة • ومن بين المناطق الكثيرة الصالحة لتغذية سهل العراق بهجرات متحضرة ، منطقة الحسكة وأعالى الخابور حيث قامت من قبل حضارة تل حلف • وبعض أجزاء القسم الاوسط من وادى الفرات • ومناطق الواحات فى الصحراء السورية وفى داخل الجزيرة العربية •

تأتى منابع الخابور ، وهى عديدة ، من منطقة تكفى أمطارها لانتاج الحبوب الشتوية • كما تكفى لنمو حياة نباتية طبيعية من الحشائش الغنيـة نسبيا لتغذية قطعان من الحيوان • وتقع على الطريق الرئيسى لسير الاتصالات المارة فى وادى دجلة بين سهل العراق وهضبة ايران من جهة وبين العالم السورى الشمالى وسهول كيلكية من جهة اخرى •• وتتزود بعض منابع الخابور بمياه دائمة من عيون • وكلها جداول صغيرة يسهل التحكم فـى مياهها لاغراض الرى ، بينما تكون وديانها مسالك طبيعية لسير الاتصالات المارة بين حوض ديار بكر وأعالى دجلـة وبين وادى نهر الفرات والعالم السورى • وهناك تمثل منطقة الحسكة ، بين جبل سـنجار وبين جبل عبدالعزيز ، عنق الزجاجة التى تتفرع منها هذه الاتصالات • كما انها تكون

السوق لمنتجات تلك الوديان • وتوفر هذه الظروف الطبيعية الفرص لقيام حضارة متقدمة في الزراعة وهندسة الرى وفى تربية الحيوان وفى النشاط التجارى •

وفى شمال البو كمال بقليل ، حيث يتسـع وادى الفـرات وتتوفر تكوينات دلتاوية أخرى عند مصبات بعض الوديان كوادى راتقا (راتجا) والصـواب ، وحيث تلتقـى الاتصـالات المنقولة من حوض دجـلة الاوسـط فى وادى عجيج بالاتصـالات الصـاعدة والنـازلة في وادى الفرات ، وبالاتصالات المنقولة فى ممر تدمر بين هـذا الوادى وبين موانىء الساحل السورى عن طريق دمشق ، قامت دولة مارى (أو ماثر)[١٨]• وهى دولة سامية توفرت لها من أسباب الحضارة والقوة ما مكنها من أن تغير على سهل العراق فى اواخر عهد السومريين وأن تحكم بعض اجزائه •

وفى جنوب دولة مارى من وادى الفرات ، توجد منطقة أخرى تمتد الى هيت وتتوفر فيها ايضا اسباب قيام حضارة ساميـة متقدمة • وهناك عثر أوليفيه – Olivier فى اوائل القرن التاسع عشر على بعض أنواع من الشعير والقمح نامية نموا طبيعيا[١٩] • ووصفها السير وليم ويلكوكس بأنها جنة عدن الآكادية[٢٠] • والواقع أنها تتمتع بمعظم المميزات التى تتطلبها حياة الاستقرار الزراعى • ففيها تتوفر الاراضى الخصبة ومعهـا بعض العوامـل التى تساعدها على الاحتفاظ بهذه الخصوبة • كما تتوفر أيضا الميـاه للرى ومعها بعض العوامل التى تسهل عملية الاستفادة منها فى رى الاراضى القابلة

(١٨) See, Langdon, S.H.; Early Babylonia ... ibid. p. 370. and.
Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 14 and 23.

(١٩) Delporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 13.

(٢٠) راجع السير وليم ويلكوكس ، بين عدن والاردن ، نقله الى العربية الدكتور أحمد سوسه ومحمد الهاشمى ، بغداد ، ١٩٤٣ ، ص ١٨ • ويوسف رزق الله غنيمة ، نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق ، بغداد ، ١٩٢٤ ، ص ٣ • وراجع ايضا :
Musil, E.; The Middle Euphrates, New York, 1927, pp. 280-3.

للزراعة • وفضلا عن ذلك يتوفر عامل الحماية ، وهو من العوامل الاساسية لقيام هذا النوع من الحضارة • أما الاراضى الخصبة فتوجد فى جزر عديدة فى مجرى الفرات[٢١] ، وفى بعض هذه الجزر توجــد أطــلال لقلاع وحصون تشير الى عمران قديم • وهى تبدو فى الوقت الحاضر بأراضيهــا الغنية بحقول الزراعة كنطاق من أرض السواد يمتــد فى مجرى الفرات • وكذلك يبدو النطاقان الضيقان من التربة الفيضية على جانبى المجرى[٢٢] • وتروى مياه الفرات هذه الاراضى وتجدد برواسبها فى أوقــات الفيضــان خصوبتها • وهناك على جانبى الوادى توجد تــكوينات من الحجر الجيرى الفراتى • وتعلو بعض أجزائها وتكون تلال قليلة الارتفاع وحافات • وقــد شق نهر الفرات مجراه خلال هذه التكوينات ، وفى الاجزاء الكبيرة المقاومة منها تكونت نطاقات من الجنادل[٢٣] • وتزداد عندها سرعة ميــاه النهر • ويستخدم السكان فى الوقت الحاضر قوة المياه المندفعةأمام تلك الجنادل ، أو أمام جنادل صناعية يقيمونها ، فى ادارة نواعيرهم • ومن المحتمل ان يكون السكان القدماء قد عرفوا هذا الاستخدام أيضا • أما ناحية الحماية ، فتتوفر بالنسبة لسكان الجزر من موقعها فى مجرى الفرات ومما يكتنفها من نطاقات الجنادل • كما تتوفر بالنسبة لسكان ضعاف النهر ، مما يكتنف هذه الضفاف

---

(٢١) See Myres, J.L.; The Dawn of History ... ibid. p. 85.

(٢٢) وصف ابن بطوطه وادى الفرات بين هيت وبــين عنــه بالغنى الزراعى • وذكر أنه لايجد لهذا الغنى نظيرا الا فى نهر الصين• أنظر الاشارة الى هذا المرجع فى: Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. pp. 70 and: 198-9. and Musil, A.; The Middle Euphrates ... ibid. pp. 256-7.

(٢٣) See, Ainsworth, W.; Researches in Assyria, Babylonia and Chaldaea, London, 1838, pp. 79-86.; Chesney, Lt-Col. F.R.; The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris, Vol. I, London, 1868, pp. 53-4.; A Handbook of Mesopotamia, Vol. 3, 1917, pp. 94 et seq. and East, G.; The Geography Behind History ... ibid. pp. 159-161.

من تلال ومن نطاقات منها • وكذلك من أراضى صحراوية • وهى شديدة الجفاف، لانها من تكوينات الحجر الجيرى الفراتى وهو كبيرالمسامية• ودوران النواعير ، الذى يمكن الا يتوقف ، يؤدى الى توفر المياه اللازمة لزراعــة غلات متنوعة خلال فصول السنة • وتوفر المياه بهذه الطريقة ، يجيز القــول بدرجة قليلة من الشك ، ان السكان القدماء فى هذه المنطقة قد عرفوا زراعة غلات كثيرة قبل أن يعرفها سكان سهل العراق • ومن المحتمل أنهــم هــم الذين أدخلوا اليه معرفة القمح والشعير كما أدخلوا اليه معرفة الزراعة • فأن هذا السهل الذى تتوفر فيه الاراضى الخصبة كما تتوفر فيه المياه مــن نهرين كبيرين كما يبدو من النظرة الاولى ، لا يمكن أن تقوم فيه الزراعــة مالم تتوفرالايدى الخبيرة بشئونها وبشئون الرى•ومنطقةعنهـهيتلصغرمساحتها تعتبر من الاقاليم الطاردة لسكانها • كما ان اتصالها المباشــر بسهل أكاد يوجه اليه العدد الزائد من سكانها •

وفى جنوب هيت توجد منطقتان ، وتصلح كل منهما أيضا لان تغذى سهل أكاد ببعض السكان • وتقع احداهما فى وادى نهر قديم عرف باســم فيشون أو (بيشون) • كان يخرج من الجانب الايمن لنهر الفرات جنــوب هيت ويمتد عند حافة الصحراء حتى يصب فى الخليج العربى • وقد ذكر رولنسن أن سابور ذو الاكتاف قد قام بحفره فى القرن الرابع الميــلادى بعد ان طمرته الرواسب • كما أعيد حفره مرة أخرى فى العصر الاســلامى بعد أن انطمر ، وعرف باسم كرى سعيد[٢٤] • وتصلح الرواسب الفيضية التى كونها هذا النهر لان تكون مركزا من مراكز الاســتقرار الزراعى • كما تصلح أيضا لان تكون مركزا يشب منه بعض السكان الى داخل ســهل أكاد • أما المنطقة الثانية فأنها تقع فى منخفض بحيرة الحبانية • اذ يبــدو أن هذا المنخفض كانت تنصرف اليه فى الماضى ، كما تنصرف فى الــوقت

---

(٢٤) Rawlinson, G.; The Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World, Vol. I, New York, 1870, pp. 13-14 and foot-note.

كوثى ، وهو مجرى متطرف نحو الشرق • ويتحول من المجرى الحالى لنهر الفرات(٢٩) فيما بين هضبة الفلوجة وبين هضبة ظهر المجصة(٣٠) • ومما ترتب على هذا التحول أن أصبح قسم كبير من سهل أكاد يتصل بالصحراء العربية اتصالا مباشرا • ومن المحتمل أن يكون الاكاديون قد استقروا بعض الوقت فى هذا القسم الغربى من هذا السهل قبل أن يمتد نشاطهم الى القسم الشرقى منه • على أن هذا لا يمكن الجزم به بدرجة كبيرة فى الوقت الحاضر بسبب نقص الدراسات المتعلقة بمراكز العمران الاكادى • فمدينة أكاد

---

(٢٩) خصص الدكتور أحمد سوسه من كتابه وادى الفرات ومشروع سد الهندية ، وهو المشار اليه سابقا ، خمسة فصول « من الفصل الخامس ص ١٦٠ الى نهاية الفصل التاسع ص ٢٨٥ » لبحث التطورات التى حدثت فى مجرى نهر الفرات منذ أقدم العصور التاريخية الى الوقت الحاضر • وقد خلص من دراسته الى أن هذا النهر قد مر فى خلال خمسة آلاف سنة الماضية فى خمسة أطوار ، وقد لخصها فى صحيفة ٢٨٥ كالآتى :ـ

الطور	الزمن على وجه التقريب	الاتجاه الذى سلكه النهر
الاول	عهد السومريين والاكاديين (حوالى الالف الثالث ق٠م)	مجرى كوثى القديم
الثانى	عهد البابليين (بين الالف الثانى ق٠م وحوالى القرن السادس بعد الميلاد) •	مجرى بابل القديم أو شط الحلة الحالى •
الثالث	العهد العربى (بين القرن السابع وحوالى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى)	مجرى كوثى القديم •
الرابع	عهد المغول والاتراك (بين القرن الرابع عشر وحوالى اواخر القرن التاسع عشر الميلادى) •	مجرى بابل القديم أو شط الحلة الحالى •
الخامس	الدور الاخير (بين حوالى اواخر القرن التاسع عشر الميلادى والوقت الحاضر) •	مجرى بالاكوباس القديم « أو شط الهندية الحالى » •

(٣٠) راجع فى الجزء الاول مواضع « السهل الفيضى » •

عاصمة سرجون « ومنف العراق » لا يعرف موقعها حتى الآن على وجه محقق(٣١) • ومع ذلك فقد لوحظ أن المدن الاكادية الاخرى التى كشف عنها كانت ، كالمدن السومرية ، متركزة فى وادى الفرات •

ولا يبدو أن الاكاديين قد وجدوا صعوبات كبيرة فى استغلال أرض أكاد فى الزراعة • وذلك بسبب تحضرهم السابق بحضارة رفع المياه ، سواء أكانوا من سكان جنة عدن الاكاديين (منطقة عنة ـ هيت) حيث عرفوا مدنية رفع المياه بواسطة النواعير أم كانوا من سكان الواحات حيث عرفوا أيضا طريقة رفع المياه من العين بواسطة القرب ونحوها • الا انه يلاحظ أن هذا الاستغلال لا يتطلب رفع المياه الى الحقول بهذه الوسائل فحسب ، وانما يتطلب أيضا مشاريع أخرى كاقامة السداد وحفر القنوات•ولما كانت الاراضى الاكادية تعتمد اعتمادا كليا على مياه نهر الفرات فأنه من الطبيعى أن تؤدى مشاريع الرى التى أقامها الاكاديون على هذا النهر الى تقليل موارده المائية التى تعتمد عليها الحقول السومرية • ومن المعروف ان فصل الصيف هو فصل الانخفاض فى مستوى مياه انهار العراق ، وتقع الفترة الحرجة فى فصل الخريف • وفى مثل هذه الاوقات تحتاج الزروع الصيفية التى تحترق بحرارة الشمس الى كميات كبيرة من المياه • كما تحتاج ايضا الاراضى الخالية من الزراعة الى كميات أخرى منها حتى يمكن اعدادها لزراعة الغلات الشتوية •

ويبدو أن هذا التضارب بين مصلحة الاكاديين وبين مصلحة السومريين حول التوسع فى استغلال مياه الفرات ، هو الذى أدى الى توتر العلاقات بينهما ، ووضع نهاية لدور العزلة والمسالمة الذى كان قائما بين المدن السومرية

---

(٣١) ليس بعيد الاحتمال أن تكون مدينة أكاد قد قامت على الضفة اليمنى لنهر الفرات ثم أكلتها التعرية المائية • لان الانهار فى نصف الارض الشمالى تأكل فى جوانبها اليمنى أكثر مما تأكل فى جوانبها اليسرى •

وبين المدن الاكادية(٣٢) • وبدأ بذلك دور للصراع • وكانت لهذا الصراع عواقب وخيمة ، فقد ولد فى سهل العراق مطامع بعض القوى التى تكتنف جهاته • فتقدم العلاميون اليه من سهول سوسيانا وسيطروا على بعض أجزائه • كما تقدم الماريون، وهم ساميون، من الوادى الاوسط لنهر الفرات وسيطروا أيضا على بعض أجزاء أخرى منه • ثم انتهى هـذا الدور من الصـراع بتفوق الاكاديين • ويبدو أن لهذه النتيجة ارتباطا بالموقع الجغرافى لسـهل العراق وعلاقاته المكانية بالمناطق المغذية للقوات المتصارعة فيه • فمن الملاحظ أن سهل أكاد يتفتح الى العالم السامى فى الجزيرة العربيـة ، ويمكن أن يتغذى منه بدماء جديدة وبحالة مستمرة • بينما يلاحظ فيما يتعلق بالعلاميين أن خطوط مواصلاتهم بين سهول سوسيانا وبين سـهل العراق ، ليست سليمة • لانها ليست كلها بطريق الماء أو بطريق البر ، بل تجمع بينهما • ومن المعروف أن مناطق المستنقعات توجد فرصا حسنة لصد الغزو وعرقلة سير امدادات العدو • وفيما يتعلق بالماريين يلاحظ أن خطوط مواصلاتهم طويلة نسبيا • ويستطيع الاكاديون من سهل أكاد أن يقطعوا عنهم الامدادات من مارى على الفرات الاوسط • وفضلا عن ذلك فانه لا يبدو أن الماريين كانوا على درجة كبيرة من القوة • لان منطقتهم محدودة الكفاية كما أنها مكشوفة • وفى مثل هذه الظروف لا يكون السكان على درجة كبيرة من الحضارة(٣٣) تؤهلهم لان يسيطروا ويحتفظوا بنفوذهم مدة طويلة فى بيئات أرقى منهم حضارة • والسومريون كانوا أسوأ حالا من غيرهم • فقد وقف العلاميون فى شرقهم وفى جنوبهم الشرقي ، كما وقف الجوتيون وغيرهم من بعض

---

(٣٢) See, Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 205. See also, King, L,W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. p. 53.

(٣٣) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; Priests and Kings, Oxford, 1927, p. 44.

القبائل الجبلية فى نطاق زاجروس وفى أرض آشور حائلا دون وصـول دماء جديدة اليهم من موطنهم الاصلى • وكذلك وقفت هذه الشعوب ، كما وقفت أكاد، فى وجه تجارتهم الى أسواق المواد الخام التى تعتمد عليها حضاراتهم فى نموها (٣٤) •

وتفوق العنصر الاكادى السامى مكن سرجون الاكادى (**٢٥٨٤ - ٢٥٣٠ ق•م•**) من القيام بثورة قاد فيها الساميين وطرد بهم الغزاة من العلاميين ومن الماريين ، كما أخضع السومريين وأخذ كبيرهم لوجالز اجيزى - Lugalzaggiz أسيرا • وكون فى سهل العراق مملكة متحدة من أرض أكاد ومن سومر ، امتزجت فيها حضارة السومريين مع حضارة الاكاديين • والاثار التى ترتبت على عمل سرجون فى سهل العراق كانت بعيدة المدى مـن بعض نواحى أخرى • فأن الآكاديين ، كعنصر منتصر ، قد سودوا لغتهم الساميـة كما سودوا آلهتهم(٣٥) • ولعل من أهم الاعمال التى قام الاكاديون بها وكان لها أثرا كبيرا فى صبغ سهل العراق بالصبغة السامية ، أنهم كتبوا بلغتهم آداب السومريين وعلومهم(٣٦) • وبذلك لم تتميز اللغة الاكادية السامية بأنهـا أصبحت لغة الطبقة الحاكمة ولغة الاعمال الرسمية فى الدولة(٣٧) فحسب ، بل انها اصبحت أيضا لغة العلم والثقافة • وقد ساعد هذا من جهة على نشرها ،

---

(٣٤) See, Thompson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. pp. 464-5. and King, L.W.; A History of Babylon, London, 1919, p. 119.

(٣٥) See, Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire... ibid. p. 202. and Langdon, S.H.; Early Babylonia and its Cities ... ibid. p. 364.

(٣٦) See, Thompson, R.C.; The Influence of Babylonia, in the C.A.H. Vol. 3, p. 226. and Schneider, H.; The History of World Civilization, Vol. 1 ... ibid. p. 120.

(٣٧) Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. p. 403.

بينما ساعد من جهة أخرى على تقلص نفوذ اللغة السومرية تدريجيا فــى النواحى الثقافية •

وتعرض سهل العراق للغزو من الجهات التى تكتنفه ، دفع سرجون الى العمل على أن يمد رقعته الى حدوده الطبيعية • وهى تمتد فى شرق وادى نهر دجلة مع قمم مرتفعات نطاق زاجروس – طوروس • كما تمتد خـلال أرض الجزير والصحراء السورية الى قمم خطوط المرتفعات التى تحدد هذه الصحراء من جهة الغرب • أما من جهة الجزيرة العربية فأنها تمتد مــع حافة الصحراء أو مع قمم الكثبان فى الاجزاء المقابلة له من صحراء النفود ومن صحراء الدهناء • وأما من جهة الخليج العربى فيمكن أن تعتبر هــذه الحدود جنوب أرض سومر ، متمشية مع الحافة الشمالية لمنطقة الاهــوار الكلدانية • ولكن من الافضل أن تمد وراء ذلك الى السواحل الفعلية للخليج العربى حتى يدخل ضمن المجال الاستراتيجى لهذا السهل منطقة الاهوار الكلدانية وكذلك الاجزاء الدلتاوية التى كانت قد تكونت فى منطقة شــط العرب الحالية •

وفى داخل هذه الحدود الطبيعية كون سرجون الامبراطورية الاكادية ، كما تكونت غالبا معظم الامبراطوريات التى قامت فى سـهل العراق • والامبراطورية الآشورية لم تجر على ذلك • ولكنها ، وان جرى العرف على ادخالها فى تاريخ العراق واعتبارها من الامبراطوريات العراقية ، الا انهــا فى الواقع لم تنشأ فى داخل هذا السهل • كما أن لمكانها الذى نشأت فيــه ظروفا جغرافية خاصة •

على أن الحدود الطبيعية المشار اليها ، وان كانت ترضى سكان هــذا السهل من الناحية العسكرية ، الا أنها لا ترضيهم تماما من بعض النواحى الاقتصادية • حقيقة انهم يستطيعون من داخل هذه الحدود أن يحصلوا على بعض ما يحتاجون اليه من الاخشاب والصخــور والمعادن ، الا أن البعض

الاخر منها ، وكذلك بعض الاسواق الكبيرة لتجارتهم ، تقع وراءها نحــو مصر والساحل الفينيقى من جهة ونحو مناطق الشعوب المتحضرة فى داخــل الهضاب الشمالية من جهة أخرى • ولهذا يلاحظ أن سرجون قد تعــدى تلك الحدود من بعض الجهات• كما تعداها بعض القواد العظام الذين جاءوا من بعده • الا ان هذا التعدى لم يكن فيما يبدو لغرض الاستيلاء على أراضى جديدة تبدو صعوبة المحافظة عليها واضحة ، وانما كان لغرض ارهاب القبائل التى تمر بأراضيها مسالك التجارة العراقية • كما كان لتوطيــد أقدام بعض التجار العراقيين فى أراضى أجنبية (٣٨) •

وتدل النصوص المتعلقة بسرجون على أنه قاد حملات (٣٩) أخضع بها العلاميين والاشنانوين (سكان دولة اشنونان–تل اسمر)• كما أخضع الجوتيين وغيرهم من القبائل فى شرق نهر دجلة وفى القسم الشمالى من أرض الجزيرة وفيما يكتنف هذه الجهات من سفوح المرتفعات • وكذلك قاد حملات سار بها فى وادى الفرات وأخضع دولة مارى • كما أخضع القسم الشمالى من سوريا ووصل الى ساحل البحر المتوسط • ويبدو أنه اجتاز أحد ممرات أمانوس الى سهول كيليكية وأخضع سكانها • كما يبدو أيضا أنه اجتاز بوابة كيليكية وقاد جيشه فى داخل هضبة الاناضول لارهاب ملك كبادوكيا الذى كان قد اعتدى

---

(٣٨) See, H's U.H.W., 8, Chronicle 3, Daylight: 900-550 B.C. p. 875. Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. pp. 453 and 464.; Childe, V.G.; Newight ... ibid. p. 183. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 32.

(٣٩) عن حروب سرجون وفتوحاته ، راجع :
Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 404 et seq. and Smith, S.; Early Histpry of Assyria ... ibid. pp. 80-4. and cf. Hogarth, D.G.; The Antcient East ... ibid. p. 22,

على مصالح بعض التجار العراقيين فى مملكته (٤٠) .

وفتوحات سرجون قد أعطت سهل العراق الحماية الطبيعية ، وصانت خطوط مواصلات تجارته خلال الاراضى التى امتدت اليها هذه الفتوحات . كما أنها أعطته مصادر للاخشاب من سفوح طوروس وأمانوس وجبال لبنان . وتتضمن هذه المرتفعات أيضا أنواعا من الصخور التى يحتاج اليها، كما تحتوى على بعض المعادن، وعلى الاخص الفضة من سفوح طوروس المشرفة على سهول كيليكية (٤١)، والذهب والنحاس من الحوض الادنى لنهر العاصى حول أنطاكية . ولسهولة الاتصال بين سهل العراق وبين الجهات التى امتدت اليها هذه الفتوحات ، قد لوحظ انها تأثرت بسرعة بمؤثرات الحضارة الاكادية . كما لوحظ أيضا أن الصبغة السامية قد بدت فيها (٤٢) . وبسبب وجود شبه

---

(٤٠) يوجد جدل بين بعض الباحثين حول نشأة هذه المصالح ، راجع عنه :

Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 147-167.; Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. pp. 453 et seq.; Delaporte, L.; Les Peuples de l'Orient Mèditerranèen ... ibid. pp. 91-2.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 31-2.; Garstang, J.; The Empire of the Hittites, in H's U.H.W., 7, p. 730. and Weech, W.N., (Editor); History of the World, London, Adham's Press, pp. 62-3. "Date is not Indicated". Woolley, Sir L.; A Forgotten ... ibid. pp. 58 - 9 & 60. And cf. Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 24-6.

(٤١) See, Moreet, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. pp. 206-7.

(٤٢) See, Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. pp. 437, 438-9, 440-1, 447, 450-1 and 455 et seq.; Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient Mèditerranèen ... ibid. pp. 93-4. and Macalister, R.A.S.; Survey of Early Mediterranean Cultures, in H's. U.H.W.; 6, p. 591. and cf. Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. p. 11. and Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. p. 25.

كبير فى الاحوال المناخية بين سهل العراق وبين بعض هذه الجهات ، استطاع سرجون أن ينقل منها اليه بعض نباتات لم تكن معروفة فيه من قبل مثل الكروم وبعض أنواع التين وشجيرات الورد (٤٣) .

ولعل من أهم النتائج التى ترتبت على فتوحات سرجون أنها ربطت ربطا مباشرا بين حضارة سهل العراق وبين الحضارات القائمة فى هذه الجهات وفيما يتصل بها من جهات أخرى مثل قبرص وكريت مركز الحضارة المنوية المنتشرة فى بحر ايجة ، وكذلك مثل مصر (٤٤) . حقيقة ، أن فتوحات سرجون لم تمتد الى حدود مصر ، الا أن امتداد هذه الفتوحات فى الاراضى السورية لابد أن يؤدى بطريق مباشر أو غير مباشر الى اعادة فتح طريق الاتصالات بين وادى الفرات وبين وادى النيل (٤٥) . وقد كانت سوريا معروفة لمصر قبل عهد سرجون . اذ كانت لها اتصالات قديمة مع ببلوس

---

(٤٣) See, Llyod, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 32.; Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States ... ibid. p. 521.; Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 13 and 29.; Weech, W.N. (Editor); History of the World ... ibid. p. 63. and cf. Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History ... ibid. p. 180 and foot-note.

(٤٤) See, King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. pp. 253 et seq.; also King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. pp. 127-8.; Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. pp. 207 and 209-12.; O'Leary, De L. Arabia before Muhammad ... ibid. p. 28. and Macalister, R.A.S.; Survey of Early Mediterranean Cultures ... ibid. p. 597.

(٤٥) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 44. Hall, H.R.; The Union of Egypt and the Old Kingdom ... ibid. pp. 261-2. also Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. p. 571.

(جبيل) وغيرها من موانيء الساحل الفينيقي (٤٦) •

ولقد أدرك سرجون مزايا الموقع الجغرافى للامبراطورية التى كونها بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط ، كأقصر معبر برى تنتقل خلاله الاتصالات بين شرق العالم القديم وبين غربه • فامتدت مطامعه وراء حدودها فى هذين الاتجاهين ، لكى يؤهل لها وسائل الاستفادة الكاملة من هذا الموقع • واستغل ما فيها من أخشاب فى أنشاء أسطولين ، حمله احداهما من جهة فى البحر الاعلى (٤٧) (البحر المتوسط) الى أرض كوجا – كى : Kuga-Ki أو كو – كى : Ku-Ki ، وكذلك الى أرض كبتارا : Captara • كما حمله الاخر من جهة أخرى فى البحر الاسفل (الخليج العربى) الى أرض دلمن : Dilmun والى أرض مجنا أو مجان : Maganna, Magan ، وكذلك الى ارض ذوى الرءوس السوداء • ويرى بعض الباحثين أن كبتارا هي جزيرة كريت • أما كوجا – كى فأنها موضع جدل • فمنهم من يرى أن كو معنا قصدير ، وبهذا تكون أسبانيا هى المقصودة بهذه التسمية • ومنهم من يرى أن كو معناها نحاس ، وبذلك تكون قبرص هى المقصودة بها •

ولقد أثارت أيضا التسميات التى ورد ذكرها فى نصوص سرجون مرتبطة بالبحر الاسفل (الخليج العربي) جدلا آخر بين بعض الباحثين •

---

(٤٦) See, Cook, S.A.; The Semites, In the C.A.H., Vol. I, p. 226; O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. pp. 28 and 45.; Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. pp. 209-12.; Peet, T.E.; Life in Egypt During the Middle Kingdom, in H's. U.H.W., 5, p. 561.; Hall, H.R.; Egypt in the Brilliance of Decay, in H's. U.H.W., 9, pp. 1011 and 1012.; Myres, J.L.; The Rise of Ordered Viviliza-tion ... ibid. p. 767. and Fedden, R.; Syria, 1947, p. 62.

(٤٧) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; Priests and Kings ... ibid. pp. 36-7. See also Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. p. 587. and Windle, Sir B.; Europe in the Ages of Stone and Bronze, in H's. U.H.W.; 6, p. 635.

كما أثارته بعض تسميات أخرى ورد ذكرها معها فى نصوص أخرى ترجع الى بعض خلفاء سرجون ، مثل تسمية ملخا Malukhkha التى تكرر ذكرها مرتبطا فى أغلب الحالات مع ذكر مجان • وقد اتسع أفق البحث حول هذه التسميات حتى شمل الجزيرة العربية وسواحلها • كما شمل شبه جزيرة سيناء ومصر وبلاد النوبة والسودان والحبشة وبلاد الصومال (٤٨) • ويميل بعض الباحثين الى وضع دلمن فى موضع منطقة الاحساء وجزر البحرين • ويخالف لانجدون ذلك ويضعها دون تحديد على الساحل الشرقى للخليج العربي (٤٩) • وليس ببعيد الاحتمال أن يكون موضعها فى الاجزاء التى كانت فى ذلك الوقت قد تكونت من منطقة شط العرب الحالية (٥٠) • أما مجان فقد أوضحتها بعض الايضاح نصوص أخرى ذكرت أنها مشهورة بالماعز ، وأن الهها ندلا Nidulla اله للقطعان ، كما أن لسكانها شهرة فى بناء السفن • وأشارت اليها أيضا بأنها أرض جبل النحاس وصخور الديوريت (٥١) • وهذه الصفات تتفق بدرجة كبيرة مع

---

(٤٨) O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. pp. 45-51; Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 415-16. and Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 207 and foot-note.

(٤٩) Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 415 et seq.

(٥٠) يرى دلتزه F. Delitzseh ان دلمن جزيرة تقع عند مصبات دجلة والفرات فى الخليج الفارسى انظر الاشارة الى هذا المرجع فى : Suess, F.; The Face of the Earth ... p. 25.

(٥١) Wilson, Lt.-Col. Sir, A.T.; The Persian Gulf ... ibid. pp. 26-7.; Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 415-16.; King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. pp. 41-2.; H's. U.H.W., 4, Chronicle 1 ... ibid. p. 431. and see also Stark, F,; The Southern Gates of Arabia, London, 1944, p. 261.

عمان • لان تكوينها الجبلى يجعلها اكثر صلاحية لرعى الماعز من غيرها من الحيوانات الاخرى • كما أن جبالها تحتوى على النحاس وعلى صخور الديوريت • وكذلك تكون سواحلها بيئة بحرية جيدة ، ويمكن أن تقوم فيها حرفة بناء السفن من أخشاب الاشجار التى تنمو على سفوح الجبل الاخضر أو من أخشاب تستورد من الهند • وأما أرض ملخا ، وقد ورد ذكرها كثيرا مع مجنا ، فيبدو أنها تجاور عمان أيضا • ومن المحتمل أن المقصود بها ، السواحل الجنوبية للجزيرة العربية أو قسما منها • وربما امتدت هذه التسمية وشملت بلاد بنت وعالم البحر الاحمر • وأما أرض ذوى الرؤوس السوداء ، فيبدو أن المقصود بها ساحل مكران حيث كانت تنتشر العناصر الدرافيدية (٥٢) • على أنه من المحتمل أيضا أنها تعنى الهند أو الحبشة وما يكتنفها من الاراضى الافريقية حيث توجد العناصر السوداء •

واذا صحت هذه التفسيرات لاسماء الاماكن التى وردت فى النصوص الآكادية ، جاز القول بأن سهل العراق قد أصبح فى عهد الامبراطورية الاكادية يتصل بكثير من الجهات فى الشرق الاوسط وبما يتصل بها من جهات أخرى فى آسيا وأفريقية وأوربا • حقيقة أن الابحاث الاركيولوجية لا تزال قاصرة ولم يكشف بعد عن آثار هذه الاتصالات في كثير من الجهات، الا أن ذلك ليس بعيد الاحتمال • لان أى قوة تستطيع السيطرة على الشرق الاوسط وتتحكم فى ممراته الجبلية ومعابره المائية عند حافاته ، تنفتح أمام طموحها اراضى اخرى تقع وراء تلك الحافات من القارات الثلاث • وقد لوحظ أن علام قد انصبغت بالصبغة السامية • فهجرت كتابتها القديمة كما هجرت لغتها ، واعتنقت كتابة الاكاديين (البابليين) ولغتهم (٥٣) •

---

(٥٢) See, Wilson, Lt.-Col. Sir A.T.; The Persian Gulf ... ibid. p. 26.

(٥٣) See, King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. p. 1.

كما لوحظ أن الكتابة المسمارية قد أخذت تنتشر فى سوريا وفى بعض جهات هضبة الاناضول • ويبدو أنها وصلت أيضا الى قبرص • وفى هذه الجزيرة كان نرام-سن، وهو أحد الملوك العظام الذين خلفوا سرجون،مقدسا (٥٤) • وقد عثر له فيها ، كما عثر فيها أيضا على أختام أخرى كثيرة من صناعةسهل العراق • وبعض الباحثين يرى أن قبرص كانت سوقا لتجارة الاختام العراقية • كما يرى أن هذه الاختام قد أدخلت تأثيرات على صناعة الاختام فى كبادوكيا وفى جزيرة كريت (٥٥) •

ولقد لوحظ أيضا وصول مؤثرات أجنبية على الفن القائم فى سهل العراق بصفة عامةوعلى صناعة الاختام فيه بصفةخاصة (٥٦) • فقد ظهرت عليها لاول مرة نقوش تمثل أشجارا وتلالا وبعض مناظر طبيعية أخرى (٥٧) تشير الى تأثيرات جبلية • ويبدو أن انتشار ثقافة الكتابة السمارية قد صاحبه أيضا انتشار بعض المعارف السومرية - الآكادية • فقد لوحظ أن الاداب والفنون وكذلك الديانات قد أخذت تتكون فى بعض الجهات التى امتد اليها النفوذ الاكادى ، وعلى الاخص بين شعوب هضبة الاناضول (٥٨) • وبروز التأثيرات العراقية فى هذه الهضبة أمر طبيعى بسبب وجود جالية عراقية

---

(٥٤) See, Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 207.

(٥٥) See, Macalister, R.A.S.; Survey of Early Mediterranean Cultures ... ibid. pp. 591 and 610.; Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 405 and 406. and Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. pp. 587-8.

(٥٦) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 165.

(٥٧) Llyod, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 33.

(٥٨) Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 166.

فيها(٥٩) • وعلى الاخص لان هذه الجالية كانت على درجة كبيرة من النشاط ومن النضج فى التعامل التجارى • فقد كون أفرادها من بينهم بيوتا تجارية ومالية كانت تمول القوافل وترسل بعضا منها للاتجار مع سهل العراق وترسل بعضا أخر الى جهات أخرى • ومن بينها قوافل كانت ترسل الى جهات هضبة الاناضول لجلب الصوف والمعادن ونحوها من بعض السلع • ومن المحتمل أن يكون بعض هذه القوافل قد سلك المسالك الطبيعية الموصلة الى ساحل بحر ايجه لجلب بعض السلع الهامة التي اشتهرت فيها بيئة هذا البحر كالزخام والزجاج الطبيعى (٦٠) • ومن المحتمل أن تكون ضفاف البسفور قد شهدت تبادل التجارة الشرقية التى تحملها هذه القوافل مع تجارة البلقان ووسط أوروبا تحملها قوافل أخرى • وليس بعيد الاحتمال أن يكون هؤلاء التجار العراقيين قد سلكوا أيضا بعض ممرات بنطس الى ساحل البحر الاسود ، وهو يعتبر من أمهاد الملاحة(٦١) ، واتصلوا خلاله بتجار سهوب روسيا • وجغرافية هضبة الاناضول تمكن من سير كل هذه الاتصالات • وخلال تلك المسالك انتقلت الآداب الدينية العراقية والاساطير المتعلقة بها مثل أسطورة نشأة الخليقة وأسطورة الطوفان ونحوهما • كما انتشرت أيضا فنون العراقيين وخصائص بعض صناعاتهم • ففى وادى كوبان الذى يصب فى شمال شرق البحر الاسود ، وهو من أصعب الجهات اتصالا بسهل العراق،قد عثر في بعض المقابر القديمة فيه على آثار تشبه بدرجة كبيرة

(٥٩) Macalister, R.A.S.; Survey of Early Mediterranian Cultures ... ibid. p. 591. and Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 206.

(٦٠) See, Macalister, R.A.S.; Survey od Early Mediterranian Cultures ... ibid. pp. 606 et seq.

(٦١) يرى ولسون ان البحر الاسود كان المدرسة الاولى التى تعلم الفينيقيون فيها حضاراتهم البحرية راجع
Wilson, Lt.-Col. Sir A.T.; The Persian Gulf ... ibid. p. 29.

مصنوعات معاصرة فثر عليها فى سهل العراق • ويرى بعض الباحثين أن هذه الاثار عراقية الصناعة • ومن المحتمل أن تكون قد انتقلت بطريق التجارة • ومن المحتمل أيضا أن تكون قد صنعت هناك تحت اشراف بعض الصناع العراقيين(٦٢) •

على أن هذه الاتصالات الواسعة لسهل العراق لم يستمر طريقها ممهدا ، فقد اعترضتها صعوبات فى بعض الاتجاهات • ويستدل من مجرى الحوادث التاريخية (٦٣) على ان هذه الصعوبات قد اخذت تتولد فى اواخر عهدسرجون فى شكل ثورات قامت فى بعض المدن فى داخل سهل العراق ، كما قامت فى بعض جهات أخرى من الامبراطورية الاكادية • وكانت أشد هذه الصعوبات خطرا هي التى سببتها بعض الشعوب التى تسكن السفوح الجنوبية لنطاق زاجروس – طوروس الجبلى • وذلك لانها هددت اتصالات هذا السهل مع داخل الهضاب الشمالية من جهة ومع سوريا والبيئة البحرية على السواحل الشمالية الشرقية للبحر المتوسط من جهة اخرى •

ولم يتوان سرجون ، وهو فى أواخر أيامه ، عن العمل على القضاء على هذه الصعوبات • فقاد قواته وأخضع بها المدن الثائرة فى سهل العراق• كما أخضع بها مدن علام • وسار عند سفوح زاجروس طوروس لصد هجمات بعض قبائل متبربرة بدأت تظهر فى أرض جو وفى أرض سو (٦٤) •

(٦٢) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and the sown ... ibid. pp. 80-90; Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. pp. 587-8. and Childe, V.G.; New Light ... ibid. pp. 184-5.

(٦٣) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 408 et seq.

(٦٤) يبدو أن المقصود بأرض جو أو جوتيم ، هى المنطقة الواقعة بين نهر دياله وبين الزاب الصغير والتى قامت فيها دولة الجوتيين • أما ارض سو أو سوبارتو فتتضمن قسما من الاقليم الواقع فى شرق المجرى الاوسط لنهر دجلة وكذلك القسم الشمالى من ارض الجزيرة ومناطق السفوح الجبلية المشرفة عليها •

وفى عهد خلفائه تكرر حدوث هذه الصعوبات(٦٥) • وتشير بعض النصوص المتعلقة بنرام – سن Naram-Sin وهو اشهر خلفاء سرجون ، الى انه حارب عشرة ملوك وكان من بينهم ملك مارى على الفرات الاوسط وخمسة أخرون من ملوك الاقاليم الواقعة فى شرق نهر دجلة • ولعل أهمهم كان ملك لولوبو • فقد سجل نرام – سن انتصاره عليه فى لوحة سماها لوحة النصر(٦٦) • ويمكن ان يستنتج من اهتمام نرام – سن بتسجيل هذا النصر ، أن أرض لولوبو Lullubu كانت ذات أهمية خاصة ، كما أن الانتصار عليها لم يكن سهلا • ومع ذلك فأن موقع هذه الارض غير محقق • ويدخلها بعض الباحثين ضمن اقليم واسع يقع فى شرق نهر دجلة جنوب الزاب الصغير ، ويتضمن بجانب ما هنالك من سهول وهضاب قليلة الارتفاع ، مناطق المرتفعات التى تكتنفها من جهة الشرق ومن جهة الشمال(٦٧) • ولكن أهم أجزاء هذا الاقليم من الوجهة الاستراتيجية وكذلك من وجهة نظر المواصلات الخاصة بسهل العراق ، هو المنطقة الواقعة فى حوض المجرى الاوسط لنهر ديالى ، وهى التى تتضمن عند مقدمات جبال زاجروس ، نطاقات من التلال تتحدد بينها مسالك اتصالات سهل العراق نحو داخل

---

(٦٥) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; Priests and Kings ... ibid. pp. 57-60.; Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 30-2. also Delaporte, L.; Les Peuples De L'Orient Mèditerranèen ... ibid. pp. 94-5.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 94 et seq. and Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 407 et seq.

(٦٦) Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 417-18.; Delaporte, L.; Les Peuples De L'Orient Mèditerranèen ... ibid. pp. 92-3. and H's. U.H.W., 4, Chronicle 1 ... ibid. p, 431,

(٦٧) Sykes, Sir P.; A History of Exploration from the Earliest Times to the Present Day, London, 1949, p. 2.; Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 92. and Smith, S.; Early History of Assyria, ... ibid. pp. 96-8.

هضبة ايران من جهة ونحو أرض آشور وما يتصل بها من جهات الى الحوض الشمالى الشرقي من البحر المتوسط من جهة اخرى(٦٨) • أما فيما يتعلق بباقى الملوك الذين حاربهم نرام – سن فقد ورد من بينهم مانيوم ملك مجان • وتشير بعض نصوص أخرى الى ان هذا الملك لاكادى قد غزا سوريا ومنطقة سهول كيليكية وأخضع سكانها ، كما غزا شرق الاناضول وكوردستان وخلد انتصاراته على نصب حجرى فى منطقة قرية بير حسين الحالية ، وهى تقع على مسافة نحو ٣٢ كم الى الشمال الشرقى من ديار بكر(٦٩) •

ومما تقدم يمكن القول ، أن نرام – سن ، وهو رابع الملوك الذين خلفوا سرجون وأعظمهم شهرة فى التاريخ ، قد استطاع بحروبه أن يحافظ بدرجة كبيرة على الامبراطورية الواسعة التى كونها سرجون(٧٠) • على أن هذا ليس دليلا على أن الاوضاع قد استقرت فى جهات الامبراطورية ، وان خلالها قد تحسن سير الاتصالات • وذلك بدليل الحملات العسكرية الكثيرة التى قادها الملوك السرجونيين قبل عهد نرام – سن وبعده لاخضاع الثورات التى كان يتكرر حدوثها فى بعض جهات الامبراطورية ، ولصد الهجمات التى كانت تقوم بها بعض القبائل على حافاتها • ومما هو جدير بالملاحظة أنه فى خلال هذه الصعوبات التى تعرضت لها مسالك الاتصالات العراقية مع البيئات البحرية في القسم الشمالى الشرقى من البحر المتوسط ، قويت اتصالات مصر معها ، وعلى الاخص مع الحضارة المنويه(٧١) •

---

(٦٨) راجع عن هذه المنطقة ومسالك الاتصالات فيها موضوع « أقليم الجبال والمقدمات الجبلية » فى الجزء الاول •

(٦٩) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 414-18. and De Laporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 31.

(٧٠) See, Breasted, J.H.; Ancient Times, Boston, 1944. p. 160.

(٧١) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and the Sown ... ibid. p. 90.

ومن حسن حظ العراق أن مسالك اتصالاته لا تقتصر على الاتجاهات نحو الهضاب الشمالية وحافاتها ، بل ان لها اتجاهات اخرى يمكن الحصول منها على بعض المواد الخام التى يفتقر اليها ، كما أنها تتضمن أسواقا لتجارته • وقد سبقت الاشارة الى أنه يستطيع أن يحصل على صخور الديوريت من عمان كما يستطيع أن يحصل من الجزيرة العربية على الصخور البركانية من مناطق الحرار ، وعلى المرمر وبعض أنواع الحجر الجيرى والحجر الرملى من جهات أخرى فيها • وكذلك يستطيع أن يحصل من الرعاة فى عمان وفى الجزيرة العربية على ما يحتاج اليه من الحيوانات ومن جلودها وأصوافها • أما من جهة المعادن فأنه يمكنه الحصول على النحاس من عمان ومن شبه جزيرة سينا ، وعلى الذهب من مصر وبلاد النوبة ومن بعض الجهات فى داخل الجزيرة العربية(٧٢) • وأما من جهة الاخشاب فقد كان فى امكانه أن يحصل عليها من عمان ومن بعض الجهات على سفوح مرتفعات هضبة ايران المشرفة على الخليج العربى ، أو من الهند أو اليمن •

ومما تقدم يلاحظ أن لسهل العراق منافذ نحو اتجاهات متعددة من الشرق الاوسط • وأنه حينما أصبح فى عهد سرجون مركزا لقوة سياسية كبيرة أخذ يمد اتصالاته نحو هذه الاتجاهات ونحو ما يتصل ببعضها من اتجاهات أخرى خارج محيط هذا الشرق • وكذلك يلاحظ أنه عند ما كان يتعرقل سير اتصالاته مع بعض هذه الاتجاهات ، كان يوجهها نحو اتجاهات اخرى ، كان يجد فيها لحد ما أسواقا لتجارته ومصادر لبعض ما يحتاج اليه من مواد خام كانت ضرورية لاستمرار نشاطه ونمو حضارته •

واذا اعتبرنا التفسيرات المتعلقة بأجزاء الامبراطورية الاكادية نجد

(٧٢) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. pp. 49-50. See also, Geology of Mesopotamia and Its Borderlands, compiled by the Geographical Section of The Naval Intelligence Division, Naval Staff, Admirality, London, 1916 pp. 53-4 and 71.

أنها كانت تتضمن أقليما واسعا يمتد بين دلتا النيل وبين دلتا الفرات ، كما تتضمن البيئات البحرية التى تقع بين مصب الفرات وبين مصب السند من جهة وبين مصب نهر جوبا فى جنوب بلاد الصومال من جهة أخرى • أما اتصالاتها فكانت تمتد وراء ذلك الى بعض الجهات فى داخل الهضاب الشمالية وكذلك الى البلقان وجنوب روسيا • ولا يوجد من الناحية الجغرافية الطبيعية ما يمنع الاكاديين من تكوين هذه الامبراطورية الواسعة أو يمنعهم من مد اتصالاتهم وراء حدودها من بعض الاتجاهات • ومن الملاحظ أن الشرق الاوسط لا يتضمن العناصر السوداء التى ورد ذكرها فى نصوص سرجون • وأن هذه العناصر توجد فى الوقت الحاضر في الهند والحبشة وبلاد الصومال • ولكننا اذا اعتبرنا أن هذه الامبراطورية عظيمة الاتساع ، وتتعدد نحو أجزائها الاتجاهات • كما ان بيئاتها متنوعة وكذلك مسالك الاتصالات المتجهة اليها • فأنها ، لهذه العوامل ، تبدو معرضة للانهيار ، ما لم تتوفر لدى الاكاديين المقومات العسكرية التى تمكنهم من المحافظة على أجزائها • ولا يبدو أن الاكاديين كانت تتوفر لديهم هذه المقومات • لان سهل العراق فى ذلك الوقت ما كان يتحمل عددا كبيرا من السكان يكفى لتجنيد القوات العسكرية اللازمة • ولانه فى أساسه أقليم زراعى ولسكانه نشاط فى النواحى الاقتصادية الاخرى ، وهذا يضعف فيهم الروح الحربية بعض الشيء • كما يضعفها انه يفتقر فى داخله الى عناصر القوة الحربية فى الحضارات القديمة • ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه العناصر ، كالمعادن والاخشاب وبعض أنواع الصخور ، تتوفر فى مناطق الهضاب وفى سفوحها الجبلية أكثر مما تتوفر فى غيرها من مناطق السهول التى تتضمنها الامبراطورية • ويبدو أن هذا كان من بين الاسباب التى جعلت سكان هذه المناطق المرتفعة أول من رفض الخضوع طويلا لنفوذ الاكاديين وانتقض عليهم • ولقد ترتب على ذلك أن تعرقلت اتصالات سهل العراق معها وامتنع

على سكانه الحصول منها على مصادر القوة الحربية • ولقد كافح الاكاديون فى سبيل الاستمرار على الامساك بحبل قوتهم فى هذه الجهات ، كما كافحوا فى سبيل الاستحواذ على مصادر هذه القوة من جهات أخرى • ولكن هـذه الجهود كما تدل النتائج ، لم تكن موفقة • ومن المحتمـل أن كان من بـين أسباب عدم التوفيق ، أن انتشار الحضارة العراقية فى عهد سرجون وقبـل عهده ، قد ولد لدى بعض الشعوب الجبلية التى تمتلك هـذه المصادر وعيا قوميا مكنها من مقاومة النفوذ الاكادى المفروض عليها •

ومما تجدر الاشارة اليه أنه قد عاصر اتساع أفـق الامبراطوريـة الاكادية التى كونها سرجون ، اتساع أفق مصر من الناحية التجارية • فقد عاصر سرجون أوسركاف ملك مصر كما عاصر ساحورع ، وهما من ملوك الاسرة الخامسة • ولقد اهتم هذان الملكان المصريان بالبحرية المصرية وقويا نشاط أساطيلها فى البحر المتوسط وفى البحر الاحمر • وكان أسطول البحر المتوسط يتاجر مع الموانىء الفينيقية ومع جـزيرة كريت وما تتضـمنه امبراطوريتها المنوية من موانىء • وكانت مصر تنافس هناك النشاط التجارى الاكادى • ثم تفوقت عليه بعد أن أخذت اتصالات الاكاديين تتعرقل مـع هذه البيئات البحرية فى أواخر عهد سرجون • أما أسطول البحر الاحمر فكان يتاجر مع موانىء ساحل هـذا البحر ومـع بلاد بنت (٧٣) لجلب

(٧٣) See, H's. U.H.W., 4, Chronicle 1 ... ibid. p. 426.; Macalister, R.A.S.; Survey of Early Mediterranian Cultures ... ibid. p. 598. and Peet, E.T.; Life of Egypt in the Middle Kingdom ... ibid. pp. 561-2.

وبلاد بنت تتضمن سواحل بلاد الحبشة والصومال كما تتضمن موانى القسم الجنوبى من بلاد العرب ومدنه التجارية • راجع :

Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East, Cairo, 1942, pp. 85-86.; Griffith, F.L.; The Egyptian Empire: Its Splendour and Decline ... ibid. p. 680. and Stark, F.; The Southern Gates of Arabia ... ibid. p. 262.

منتجاتها ، وعلى الاخص أنواع البخور التى كانت بلاد العرب ، كما هى فى الوقت الحاضر ، أكبر منتج له ومصدر (٧٤) •

وبلاد بنت ، كما سبقت الاشارة ، تدخل ضمن امبراطورية الاكاديين او ضمن الاقليم الواسع الذى امتد اليه نفوذهم • ولهذا فمن المتوقع أن تلتقى فيها الحضارة المصرية بالحضارة العراقية كما التقت بها فى سـوريا وفى بعض جهات امبراطورية كريت • ومن المحتمل أن تكون الحضارتان قد التقتا أيضا فى داخل الجزيرة العربية وعلى الاخص فى منطقة المدينة المنـورة • لانها تمثل مركزا يلتقى عنده بعض طرق الاتصال من جانب وادى النيـل ومن جانب وادى الفرات ، فضلا عن وقوعها على طريق رئيسى أخـر للاتصال بين جنوب الجزيرة العربية وبين شمالها • ومنطقة المدينة خصبة • وتعطيها هذه الخصوبة بجانب العوامل الاخرى المتعلقة بموقعها الجغرافي ، مميزات تجارية تشبه من بعض النواحى المميزات التى تمتعت بها منطقـة بطرى أو منطقة تدمر فى الصحراء السورية • الا انه لا يعـرف فيمـا اذا كانت قد قامت فيها ايضا دولة تجارية (٧٥) وكانت مستقلة أم أنها كانت خاضعة لنفوذ مصر او العراق اذ لم يكشف بعد عما يؤيد ذلك • وكل ما كشـف عنه ، بعض نقوش فى تيماء تدل على ان النفوذ المصرى قد وصل اليها كمـا وصل النفوذ الآشورى (٧٦) • ولا يعرف كذلك على وجـه محقق ، شىء

(٧٤) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. pp. 38-9.; Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. p. 383. and Stark, F.; The Southern Gates of Arabia ... ibid. pp. 13 et seq.

(٧٥) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. p. 416.

(٧٦) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 53.

عن الآثار التى ترتبت على الاتصالات بين سـهل العراق وبين بعض الجهات في داخل الجزيرة العربية وحافاتها • وكل ما هو معروف أنه ورد فى بعض النصوص الاكادية اشارات الى أرض السبئيين • كما لوحظ تقارب بـين اللغة الاكادية وبين اللغة التى كتبت بها أقدم النصوص المعينية والسبئية(٧٧) • على أنه من المحتمل أن يكون قد انتقلت خلال هذه الاتصالات بـين وادى الفرات وبين بلاد اليمن ، معرفة اقامة السداد على مجارى الوديان • لان مصر ، التى كانت تتبع نظام الرى الحوضى ، لم تكن عندها على ما يبـدو مدنية واسعة في ذلك • وكذلك لا يبعد أن تكون معرفة الجمل قد انتقلت فى ذلك الوقت الى سهل العراق من القسم الجنوبى للجزيرة العربيـة ، بالرغم من أن الاشارات المتعلقة بمعرفة العراقيين لهذا الحيوان قبل عهـد حمورابى ليست كثيرة(٧٨) •

ومـمـا سـبق يلاحظ أن هنـاك ثلاث بؤر يمكن أن تلتقى فيهـا مؤثرات الحضارة الاكادية بمؤثرات الحضارة المصرية • احداهما اقليـم شرق البحـر المتوسط ويتضمن امبراطورية كريت • والثانية اقليم بونت • والثالثة منطقة المدينة • ولكن آثار هذا الالتقاء ليست واضحة تماما بسبب نقص الدراسات الاركيولوجية • ومع ذلك فاننا اذا تركنا ما أشار اليـه الباحثون من دلائل الاتصال بين الحضارة السومرية وبين الحضارة المصرية، نجد أنه في عهد الاسرتين المصريتين الخامسة والسادسة وهو يتفق والعهـد الاكادى ، قد ظهرت فى مصر رسوم وتماثيل لاسد مكشرة عن أنيابهـا تشبه نظائر لها معروفة فى سهل العراق • كما ظهر على الفن المصرى بصورة

(٧٧) O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid, pp. 51 and 87 et seq.

(٧٨) See, Thompson, R.C.; Babylonia in the Days of Hammurabi, in H's. U.H.W., 5, p. 569.

عامة مؤثرات غربية بعضها عراقى ، بجانب مؤثرات أخرى من سـوريا ومن كريت(٧٩) •

ولقد انتهى عهد الاكاديين عندما عجز ملوكهم عن اخماد الثـورات التى قامت فى داخل بلادهم الاصلية وفى جهات أخرى من الامبراطورية• وكذلك عندما عجزوا عن صد الهجمات التى تكرر حدوثها من قبل بعض الجماعات الجبلية كالجوتيين ونحوهم من سكان مرتفعات زاجروس–طوروس ومقدماتها • وعندما أفلت الزمام من أيديهـم دخلت البـلاد في عهد من الفوضى ما كان يعرف فى أثنائه من الملك ومن غير الملك ، مما مكن قبائـل الجوتيين من السيطرة عليه نحو قرن وربع من الزمان(٨٠) •

(٧٩) الدكتور ابراهيم احمد رزقانه ، الحضارات المصرية ... المرجع السابق ص ٢٠٧ • راجع أيضا :
Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. p. 573 and 587-8.

(٨٠) See, Llyod, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 33; Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 422-3; Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 32. and Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 98-9.

٣ ـ الجوتيـــون

وحكومات أروك وأور وايسن ولارسا

عاش الجوتيون قبل استيلائهم على سهل العراق فى قسم من الحوض الاوسط لنهر دجلة ، يقع تقريبا بين نهر دجلة من جهة الغرب وبـــين مرتفعات منطقة السليمانية من جهة الشرق وكذلك بين نهر الزاب الصغير من جهة الشمال وبين نهرديالە منجهة الجنوب•وكانت أربخا Arrapkha التى يظن أنها قامت فى موضع كركوك الحالية أو بالقرب منها ، مركزهم الرئيسى(١) • وتشير بعض النصوص السومرية الى أنهم قد نقلوا مقـــر الملك معهم الى الجبال• كما تشير أيضا ، وتؤيدها بعض النصوص الاكادية، الى أنهم طاعون سبب الخراب لكثير من المدن الغنية فى أرض سومر وفـــى أرض أكاد(٢) • وحدوث التخريب نتيجة طبيعية للغزو • ومع ذلك فانه يمكن القول بأن الحضارة العراقية لم تضمحل أو تتوقف عن النمو أثنـاء حكمهم لسهل العراق •

ومنطقة الجوتيين تكون جزءا من اقليم الجبال والمقدمات الجبلية فـــى شمال سهل العراق • ويفصل نطاق تلال حمرين بينها وبين هذا السهل • ويتحدد سير الاتصالات بينهما خلال ممرات فيه • وأربخا ، وهى عاصمتهم، تقع على أهم مسلك يصل بين هذه الممرات وبين القسم الشمالى الشرقى من عالم البحر المتوسط • كما أن اليها تتجه مسالك أخرى من اقليم كردستان•

---

(١) See, Safrastian, A.; Kurds and Kuddistan, London, 1948, p. 18.; Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. p. 423.; Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire, in the C.A,H, vol, 3, p. 223. and Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and the Sown ... ibid. pp. 128-9.

(٢) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 423-4. and Llyod, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 34.

واذا سيطر الجوتيون على هذه الممرات وعلى المسالك المتصلة بهـــا فانهـــم يستطيعون أن يتحكموا فى سير الاتصالات العراقية المارة فيها نحو اقليـــم كردستان ونحو هضبة الاناضول والقســـم الشمالى من نطاق الهـــلال الخصيب ، وهى جهات تتضمن أسواقا واسعة ومصادر هامة للمواد الخام التى يحتاج اليها سهل العراق •

ويتضمن سطح هذه المنطقة ســـهولا وهضابا قليلة الارتفاع ، كمـــا يتضمن تلالا ونطاقات منها • وتسقط الامطار عليه في فصل الشتاء وفـــى فصل الربيع • وتتراوح كميتها بين ١٥ سم فى وادى نهر دجلة وبين ٧٠ سم فى منطقة السليمانية • أما فى القسم الاوسط منها ، وهو الذى تمثلـه مدينة أربخـــا (كركوك) فيبلغ مقدار المطر فيه نحد ٤٠ سم(٣) • ويبدو من هذا أن أرض الجوتيين تتضمن أجزاء تصلح بعض منها لنمو الغـــلات الشتوية فيها على المطر ويصلح البعض الاخر لنمـــو المراعى • وفى أقصى الشرق نحو السليمانية حيث يزداد ارتفاع الســـطح وحيث تزداد كميـــة المطر ، تنمو الشجيرات وبعض الاشجار على سفوح المرتفعات • والاراضى التى تتصف بهـــذه الصفات لا تجعل من سكانها شعبا همجيا ، بل تجعلـــه نصف متحضر على الاقل(٤) • أى أنه يجمع بين بعض صفات القبائـــل الهمجية من رعاة الجبال الذين يجاورونه فى مرتفعات كردستان من جهة ، وبين بعض صفات الشعب المتحضر الذى يجاوره فى سهل العراق مـــن جهـــة أخـــرى •

وفى أراضيهم تتوفر أيضا بدرجة كبيرة مطالب الحياة • ففيها تتوفـــر

---

(٣) See, Meteorological Service, Climatological Means of Iraq, Baghdad, 1950, p. 43.

(٤) Cf. Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 421 and 423-4. and Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 212.

بعض أنواع الحبوب الغذائية ، كما تتوفر بعض الحيوانات المستأنسة وبعض الحيوانات الاخرى للصيد ، وتتوفـــر أيضا الاخشاب وبعض الاشجار والشجيرات المثمرة • وفضلا عن ذلك ، يجتاز أراضيهم طـــريق رئيسى للقوافل التى تنقل التجارة بين سهل العراق وهضبة ايران من جهة وبـين العالم السورى وهضبة الاناضول من جهة أخرى • ومرور هذا الطريـــق فى أراضيهم يعطيهم بلا شك فرصة للثراء • سواء أكان ذلك من الرسوم التى تجبى عن مرور التجارة أم كان عن طريق الخدمات التي يقدمونهـــا لها • كما يعطيهم أيضا فرصة لسد حاجياتهم ولارضاء رغباتهم من منتجات الشعوب التى تمر تجارتها فى أراضيهم • ومراعاة هذه النواحى تمكن من القول بدرجة كبيرة من الصواب ، بأن الجوتيين عندما هاجموا سهل العراق واستولوا عليه لم يكونوا همجا • وربما لم تتوفر لديهم دوافع قوية لغزوه والاستيلاء عليه الا بعد أن تعرضت مصالحهم التجارية للخطر نتيجـــة للفوضى والاضطرابات التى حدثت فى أواخر عهد الاكاديين • اذ يبدو أنهم كانوا مقدرين لمميزات بلادهم الاصلية بدليل أنهم لم يهجروها بعد أن تم لهم الاستيلاء عليه • فقد استمرت أربخا عاصمتهم القديمة عاصمة لدولتهم الجديدة أيضا[٥] • وهم بهذا لم يفعلوا ما فعله نظراؤهم الكاشيون الذيـن جاءوا فيما بعد • فانهم هجروا بلادهم الاصلية فى مرتفعات زاجـــروس واستوطنوه بعد أن تم لهم الاستيلاء عليه[٦] •

ومن المحتمل أيضا أن يكون غزو الجوتيين لسهل العراق قد حدث تحت ضغط وقع عليهم من سفوح النطاق الجبلى زاجـروس – طوروس ، قام به بعض جماعات من الآريين الرعاة • ذلك لان طلائعهم قد أخذت فى

---

(٥) Marriott, Sir, J.; The Conception of Empire: How it has moulded history, in H's. U.H.W., 4, p. 432. and Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and the Sown ... ibid. p. 129.

(٦) راجع فيما يلى موضوع « الغزو الحيثى ثم الفتح الكاشى »

ذلك الوقت او قبله بقليل[٧] تغزو من بعض الاتجاهات الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط • ومن المحتمل أن يكون بعض منهم قد سلك مسلكا أو اخر فى كردستان الى أرض الجوتيين وتغلب عليهم ثم قادهم لغزو ســـهل العراق[٨] • ومما يقوى هذا الاحتمال أنه لوحظ أن أسماء بعض الملـوك الجوتيين الذين حكموا هـــذا السهل قريبة الشبـــه من الاســـماء الحيثية الارية[٩] • واذا صح هذا ، يمكن القول بأن التخريب الكبير الذى نسبه السومريون والاكاديون الى الجوتيين يرجع فى معظمه الى العناصر الهمجية من رعاة الآريين[١٠] ، وليس الى العناصر المتحضرة أو شـــبه المتحضرة من السكان الاصليين في أرض جوتيم • Gutium وليس بعيـد الاحتمال أن تكون جوتيم تسمية اقليمية، وليستتسمية لشعب أو سلالة معينة[١١] •

وكان حكم الجوتيين فى سهل العراق قصير الامد • ويبدو أن السـبب فى ذلك يرجع الى أنهم قد حكموه من أربخـــا ، وليس من مدينة ما فى داخله • كما أنهم لم يدخلوا اليه تأثيرات حضارية هامة ، وربما يرجـــع السبب فى ذلك الى أن حضارتهم نفسها كانت مأخوذة من عناصر حضارته• فمن الملاحظ أن أرض جوتيم تجتازها بعض مسالك هامة لاتصالاته• وتدل الآثار التى تنسب الى ليسراب ، وهو أحد ملوك الجوتيين وتعرف عنه بعض

---

(٧) Childe, V.G.; The Growth of Culture in Barbarian Europe, in H's. U.H.W., 8, p. 905. and Brestead, J.H,; Ancient Times ... ibid. pp. 246-247.

(٨) Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and Sown ... ibid. p. 23.

(٩) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. p. 423.

(١٠) See, Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 247.

(١١) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and Sown ... ibid. pp. 39-40 and 128.

معلومات واسعة نسبيا ، على أن الفن الذى كان سائدا فى سهل العراق فى عهده كان هو الفن الذى كان قائما فيه قبل عهد الجوتيين • كما تدل على أن الالهة الاصلية للجوتيين لم يكن لها فى هذا السهل نفوذ خاص ، اذ كان ليسراب نفسه يعترف بالالهة العراقية القديمة ، كما كان يقــدم لها بعض الهدايا[١٢] • ولا توجد آثار تدل عـلى أنه كان للجوتيين تأثير واضح فى الحياة الاجتماعيـة ، الا ما لوحظ من ادخال بعض مؤثرات عـلى ملابس النساء[١٣] • كما لا يوجد ما يدل على أنهم قد أحدثوا تغييرات فى النظم الادارية • وتشير الدلائل الى أنهم قد تركوا شئون ادارته قائمة كما كانت من قبل • كما تشير الى أن حكمهم له كان ، على ما يبدو ، بالقدر الذى يضمن استقرار الامور فيه ، كما يضمن لهم الحصول على خراج منه •

وبالرغم مما تقدم فانه من المتوقع أن تحدث بعض نتائج هامة ترتبط بسهل العراق في حياته الداخلية وفى صلاته الخارجية ، ولذلك لسببين هامــين • أحدهما نقل مركز الحكم من داخله الى أربخا فى خارجـه • والآخر ، هو أن أرض الجوتيين الاصلية التــى أصبحت مركز القــوة ، تجتازها أخطر مسالك لاتصالاته نحو هضبة الاناضول ونحو القسم الشمالى من سوريا ، وهى جهات تحتوى على أهم مصادر المواد الخام التى يحتاج اليها• ولعل من أهم النتائج التى بدت فى حياته الداخلية ، أنه حــدث انتعاش لبعض المدن السومرية القديمة كما حدث احياء لكتابة السومريين ولغتهم على حساب الصبغة السامية التى كان هذا السهل قد انصبغ بها منذ عهــد

(١٢) Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid p. 424.

(١٣) Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 432-3.

سرجون[١٤] • بينما اضمحلت المدن الاكادية ، وتوقفت أخبــار أكاد وسيبار وكيش وبابل • وربما يرجع السبب فى ذلك الى أن سهل أكــاد بسبب موقعه المباشر عند مدخل أرض الجوتيين الى سهل العراق ، قد تلقى أشد ضرباتهم وأصاب هــذه المــدن من جراء ذلك ضرر كبير • وربمـا يرجع السبب ايضا الى أن هذه المدن تقع بعيدة نسبيا عن نهر دجلة • وهذا النهر ، الذى كان منذ أوائل العصر التاريخى يأخذ اتجاه شط الغراف مجتازا أرض سومر ويلتقى بنهر الفرات عند أور ، قد أصبح فى عهــد الجوتيين حلقــة الاتصال الطبيعية بين أرض الجوتيين وبين داخل هذا السهل • وبعبارة أخرى أن أرض سومر ونهر دجلة قد أصبحا فى ذلك الوقت يتضمنان المســلك الرئيسى لسير التجارة والاتصالات الحضارية الاخرى بين عالم الخليج العربي وبين عالم شرق البحر المتوسط عن طريق أربخا • ولعل هــذه الاوضاع الجغرافية الجديدة هى التى تفسر من بعض النواحى أسباب تفوق المــدن السومرية على المدن الاكادية ، كما تفسر أسباب انبعاث حركة التحرير من أرض سومر ، وليس من أرض أكاد •

ومن الناحية الخارجية ، كانت النتائج المترتبة بعيدة الاثر أيضا • لان أرض جوتيم ، وان كانت تتضمن أهم المسالك لسير اتصالات سهل العراق مع القسم الغربى من الشرق الاوسط ، الا أنها منطقة مقلقلة • وذلك لانهـا تعتبر نهاية لتقدم رعاة الجبال من جهة ولتقدم رعاة السهول من جهة أخرى• ولاشك فى أن قيام مركز الحكم الجوتى فيها قد صان بدرجة كبيرة خطوط مواصلات سهل العراق خلالها • وليس بعيد الاحتمال أن يكون الجوتيون قد استغلوا مميزات الموقع الجغرافى لبلادهم ، بجانب ما أضفته عليهم مميزات سهل العراق من قوة ، فى اقامة امبراطورية تجارية تسيطر على مســالك

(١٤) راجع فيما سبق موضوع « الاكاديون » • وراجع أيضا :
Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 426 and 433.

التجارة في الشرق الاوسط بين الخليج العربي وبين شرق البحر المتوسط . كما تسيطر على الروافد الجانبية التي تغذى هذه المسالك من جهة الهضاب الشمالية ومن جهة الصحراء[١٥] . حقيقة ، لا تتوفر النصوص التي يستند عليها في تأييد ذلك ، الا أنه محتمل من الناحية الجغرافيــة ، وقد فعــل الاشوريون مثله[١٦] . كما فعل من قبل سرجون . ومما يؤيده ، أنــه لوحظ أن الحياة في سهل العراق كانت مستقرة في ذلك الوقت ، كما كانت النواحي السلمية في حضارته متقدمة[١٧] . وقد وجدت نصوص تشــير الى رخاء كبير أصاب بعض المــدن الســومرية مثــل أوما Umma. وتؤيده آثار أخرى عثرى عليها في لجش وتنسب الى جــوديه Gudea الذى كان أميرا عليها وقتذ[١٨] . فلقد عثر لهذا الامير وحــده عــلى ثمانية عشر تمثالا مصنوع معظمها من حجر الديوريت الاسود . وتعتبــر أروع أو من أروع ما عثر عليه من الفن السومرى[١٩] . وقد وجدت على هذه التماثيل وكذلك على بعض ألواح من الطين ، تقارير تدل على أنه قام بأعمال واسعة في نواحي العمران . كما تدل أيضا على أنه كان يحصــل

(١٥) Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. pp. 14-15.

(١٦) راجع فيما يلى موضوع « الاشوريون » .

(١٧) See, Hall, H.R. The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. p. 585.; Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 432-3.

(١٨) See, Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States Before the Rise of Babylon, in H's. U.H.W., 5, p. 523.; Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 424, 426 and 433. and Llyod, S.; Twin Riveers ... ibid. pp. 33-4.

(١٩) See, Hall, H.R.; The Art of Early Egypt and Babylonia ... ibid. pp. 574 and 583-4.

بطريق البر وبطريق الماء[٢٠] على بعض المواد الخام كالصــخور والمعادن والاخشــاب من جهات متباعدة تدخل ضمن المساحة الواســعة التي كانت الامبراطورية الاكادية تتضمنها في عهد سرجون . فقــد ورد فى هــذه التقارير أنه كان يحصل على الخشــب من مجان ومن ملخا وكذلك مــن جوتى ودلمن ومن علام . كما كان يحصل عــلى خشب الارز ، دون أن يعترضه معترض ، من جبال أمانوس ومن جبال لبنان . وكان يحصل أيضا على حجر الديوريت من مجان وعلى الرخام من جبــال تيــدانو في أرض العموريين . وكانت سفنه تحمل الاسفلت من مجدا (ربما منطقــة القيارة عى دجلة أو منطقة هيت على الفرات) . أما المعادن ، فانه كان يحصل على النحاس من مجان وكذلك من المنطقة المجاورة لكى - ماش (يــراها بعض الباحثين منطقة دمشق) . كما كان يحصل على الذهب من ملخا وعلى الفضة من جبال أمانوس[٢١] . ومن الطبيعى أن جوديه ما كان يستطيع أن يحصل على هذه السلع كلها أو بعضها ودون أن يعترض طريقه معترض ، الا اذا كانت مناطقها خاضعة لنفوذه أو لنفوذ الجوتيين . وعلى الاقل ، الا اذا كانت توجد قوات عسكرية تصون خطوط مواصلات هذه التجارة[٢٢] . والواقع ، أن بعض ملوك الجوتيين قد اتخذوا لانفسهم لقب ملك الاركان الاربعــة للدنيا ، وهو لقب يشير الى الاتساع . وقد اتخذه من قبل لنفسه نرام - سن

(٢٠) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. p. 431. and Woolley, C.L. Mesopotamia's City States ... ibid. p. 523.

(٢١) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. pp. 424 and 427-8.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 99-101.; Moret, A. and Davy G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 215. Childe, V.G.; New Light on the most Ancient East ... ibid. 184. and Woolley, Sir L.; A Forgotten ... ibid. p. 60.

(٢٢) See, Llyod, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 34.

فى عهد قيام الامبراطورية الاكادية(٢٣) •

وقد حكم الجوتيون سهل العراق مدة تبلغ نحو ١٢٥ سنة • وتوجد قائمة وردت فيها أسماء واحد وعشرين ملكا من ملوكهم • ولكن الكثير منهم لا تعرف عنهم غير أسمائهم ، أو غير ما ورد فى اشارات عابرة عنهم • ثم انتهى حكمهم بثورة قامت فى أرض سومر • وبدأت فى أوما(٢٤) Umma • الا أن موقع هذه المدينة عند مدخل أرض سومر من جهة وادى دجلة ، وهو الطريق الطبيعى لمواصلات الحكومة الجوتية من مركزها فى أربخا الى داخل سهل العراق، لم يكن الموقع المناسب لقيام هذه الثورة• ولهذا لم يلبث ميدانها أن انتقل الى أوروك على نهر الفرات • وهناك تولى قيادتها الامير أوتو ـ خيجال Utu-Khegal. • ولقد نجح هذا الامير السومرى فى ثورته وقضى على حكم الجوتيين وحرر سهل العراق منه(٢٥) •

ويستخلص مما تقدم أن سيطرة سهل العراق على الحوض الاوسط لنهر دجلة كانت ضرورية جدا لصيانة استقلاله ولسلامة خطوط مواصلاته• كما أنها فى الاوقات التى خضع فيها لنفوذه كانت تدفعه الى التوسع الاقليمى وراءها الى مداخل تجارته أو مخارجها نحو البحر المتوسط من جهة ونحو الهضاب الشمالية من جهة أخرى •

ورثت أوروك الحكم فى سهل العراق بعد خروج الجوتيين منه • وأعلن أوتو ـ خيجال نفسه ملكا • ولكن حكمه لم يدم طويلا • اذ

(٢٣) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. p. 424. King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. p. 14. and Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 208.

(٢٤) Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and the Sown ... ibid. p. 129.

(٢٥) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. p. 434.

ثار عليه أحد أتباعه أور ـ نامو Ur-Nammu حاكم أور وقضى عليه • وانتقل بذلك مركز الحكم من أوروك الى أور • وبدأ بذلك عهد السلالة الثالثة فى أور •

ويبدو أن أوتو ـ خيجال قد فعل فى وادى الرافدين ما فعله أحمس فى وادى النيل بعد طرد الهكسوس • فتعقب الجوتيين الى خارج سهل العراق • وتقدمت الجيوش العراقية فى أرض الجزيرة وفى الصحراء السورية فى سبيل الوصول بهذا السهل الى حدوده الطبيعية • ويبدو أنها قد تجاوزت هذه الحدود من بعض المنافذ لاغراض اقتصادية ، كما فعل من قبل سرجون الاكادى(٢٦) • على أنه فى الواقع لا تتوفر الادلة القوية التى تؤيد قيام مثل هذه الامبراطورية الجديدة• فلم يخلف واحد من ملوك هذا الدور التاريخى نصوصا توضح الاعمال الحربية التى قام بها • وحتى أور ـ نامو أو كما يسمي أيضا أور ـ انجور مؤسس الاسرة الثالثة فى أور وبطلها فى هذا الدور التاريخى ، لم يشر فى نص طويل يمدح فيه نفسه الا الى أن أهل البلاد التى خربها كانوا يجرون خلفه ، وأن الجزية كانت تحمل الى أور من البلاد الاجنبية ، وأن سفنه أصبحت تجرى فى مياه لم تكن معروفة من قبل • ومن الغريب أنه لم يرد فى هذا النص ولا فى غيره من النصوص ما يشير الى أربخا ولا الى أرض الجوتيين(٢٧) • ومع

(٢٦) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 129-30; Langdon, S.H.; The Sumarian Revival: The Empire of Ur, in the C.A.H., vol. I, pp. 451 and 453.; Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and the Sown ... ibid. pp. 130-3.; H's. U.H.W., 4, Chronicle 1, Twilight: 4000-1580 B.C., p. 432. and Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 215.

(٢٧) See, Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. p. 439.; Woolley, Sir, L.; Ur of the Chaldees ... ibid. p. 87. and Cf. Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 163.

ذلك يلاحظ أن أوتو-خيجال وكذلك بعض ملوك الاسرة الثالثة فى أور، قد اتخذ لنفسه لقب ملك الاركان الاربعة للدنيا • وهو لقب كان يستعمل ، كما سبقت الاشارة ، فى عهد الامبراطورية الاكادية كما استعمله بعض ملوك دولة الجوتيين • وبعض الباحثين يرى أن المقصود بهذه الاركان الاربعة هى أرض سومر وأرض أكاد وأرض سوبارتو وأرض عمورو[٢٨] • ويلاحظ كذلك أنه ظهر فى أثناء حكم هذه الاسرة مايدل على أن الحضارة السومرية كانت منتعشة وأن نفوذها قد امتد من جديد خارج سهل العراق الى جهات غرب أسيا • وقد انتشر معه نوع معين من اللباس السومرى ، كما انتشرت أيضا نظم المعاملات التجارية السومرية[٢٩] •

ويستنتج مما تقدم أنه ، وان لم تتوفر الادلة التى تجزم بقيام امبراطورية عراقية فى عهد الاسرة الثالثة فى أور ، الا أن قيامها مع ذلك ليس بعيد الاحتمال•وعلى الاخص لانه يصعب انتشار حضارة السومريين الى الجهات الجنوبية الغربية من آسيا الا اذا كانت هناك قوة ما تسيطر على الاقاليم التى تجتازها مسالك الاتصالات بين سهل العراق وبين هذه الجهات وتفرض فيها حياة الامن والاستقرار • ذلك لان هذه الاقاليم ، سواء أكانت فى الحوض الاوسط لنهر دجلة أم كانت بالقسم الشمالى من أرض الجزيرة تتميز بتعقد التكوين البشرى • كما تتميز بأن الحياة البشرية فيها غير مستقرة عادة ، وعلى الاخص بعد أن ظهر فيها بعض الجماعات الرعوية

---

(٢٨) Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient Mèditerranèe ... ibid. p. 93. and Cf. Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. pp. 437, 456 and 458.

(٢٩) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 144-5.; Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. p. 453. and Brestead J.H.; The Ancient Times ... ibid. p. 164.

من الآريين[٣٠] • واذا صح أن السومريين قد استطاعوا أن يكونوا لانفسهم امبراطورية ، فلا بد أن يكونوا قد بلغوا درجة كبيرة من القوة ومن الغنى • وتدل الدلائل فى الواقع على أن القوانين كانت نافذة فى ذلك الوقت • كما تدل أيضا الاعمال العمرانية الواسعة التى قام بها أور - نامو أو التى قام بها بعده ابنه دونخى - Dungi على أنهم كانوا على درجة كبيرة من الثراء[٣١] •

على أنه اذا كان السومريون قد بلغوا درجة كبيرة من القوة مكنتهم من فرض نفوذهم على المناطق التى تجتازها طرق اتصالاتهم ، واذا كانت بعض عناصر حضارتهم قد انتشرت واعتنقتها بعض الشعوب فى القسم الغربى من الشرق الاوسط،فمن الطبيعى أن يكون لهذه الصبغة السومرية تأثير قوى على الصبغة السامية التى كان سهل العراق قد انصبغ بها وانصبغت بها أيضا بعض الجهات الاخرى التى تكتنفه مثل علام ، منذ عهد سرجون[٣٢] • ولكن الواقع أن هذا لم يحدث • فانه بالرغم من العناية الخاصة التى وجهها أور - نامو كما وجهها دونجى نحو انعاش المدن السومرية[٣٣] ، وبالرغم أيضا من الاضطهادات التي يبدو أنها وجهت الى

---

(٣٠) See, Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. p. 452.; Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon, in C.A.H., vol. I, pp. 467 and 469. and Moret, A. Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. pp. 213-14.

(٣١) See, Llyod, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 35-6.; Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. pp. 436 and 437. and Woolley, Sir L.; Ur of the Chaldees ... ibid. p. 88.

(٣٢) راجع فيما سبق موضوع « الاكاديون » •

(٣٣) Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. p. 435. and Llyod, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 35.

المدن الاكادية ، كما تدل نصوص بابل(٣٤) ، فان بعض المدن الاكادية استطاعت أن تنمو بجانب المدن السومرية(٣٥) . كما استطاعت أيضا بعض الاسر السامية أن تنهض وأن تحكم بعض المدن فى سهل العراق وفى سهل علام . ولم يكن حكم بعض الاسر السامية فى سهل العراق قاصرا على مدن فى سهل أكاد فحسب ، بل قام لها أيضا حكم فى ايسن وفى لارسا فى أرض سومر(٣٦) . وليست هذه النتيجة غير متوقعة ، لسببين . السبب الاول ، أن أور التى تقع فى أقصى جنوب سهل العراق ليست مركزا مناسبا لان تكون عاصمة . ولا يمكن قيام الحكومة المركزية فيها من احكام السيطرة على منافذ هذا السهل نحو العالم السامى ، وعلى الاخص منافذه الشمالية نحو أرض الجزيرة ونحو العالم العمورى فى سوريا . أما السبب الثانى فيرجع الى قيام علام عند منفذ الهجرات السومرية القادمة بالطرق البرية من الهند الى سهل العراق(٣٧) . والواقع أن علام ، وان اعتبرت فى بعض الحالات مركزا للوثوب على هذا السهل ، الا أنها فى أحيان أخرى كانت تقف مصدا يحول بينه وبين الهجرات القادمة من بعض اتجاهات فى داخل هضبة ايران أو فى الطريق الساحلى الايرانى للخليج العربى . ولا يوجد مثل هذا المصد نحو العالم السامى ، سواء من جهة داخل الجزيرة

(٣٤) تصف هذه النصوص دونجى بالشرير الذى سلب كنوز بابل فحلت عليه لعنة الهها مردوخ . راجع ، Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. p. 446.

(٣٥) Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. pp. 437-9 and 441-7.

(٣٦) Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. p. 473. See also Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. p. 7.

(٣٧) See, Schneider, H.; The History of World Civilization, vol. 1 ... ibid. p. 123. and Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. p. 457.

العربية أم من جهة أرض الجزيرة والعالم السورى . ولقد كان هذا أحد الاسباب الرئيسية التي جعلت سهل العراق ينصبغ بالصبغة السامية منذ عهد الاكاديين الى الوقت الحاضر بالرغم من خضوعه خلال قرون عديدة لحكومات غير سامية . ولهذا السبب أيضا كان الصحو السومرى فى عهد الاسرة الثالثة فى أور قصير الامد . فانه لم يكد ينتهى عهد دونجى ، وهو ثانى ملوك هذه الاسرة ، حتى بدت عناصر الضعف فى هذا الحكم السومرى واضحة . وبدأ معها عهد جديد لحكومات المدن وللمنافسات بينها(٣٨) بدا فيه تفوق العنصر السامى . وفى خلال هذه المنافسات القائمة بين المدن فى سهل العراق ، تمكن الامير السامى جميل شوشيناق أن يقود ثورة فى علام وأن يستقل بها . بل ان الفرصة كانت مهيأة أمامه للتقدم الى هذا السهل والاستيلاء على بعض أجزائه(٣٩) . كما يبدو أن هذه المنافسات والفوضى التي سادت فى بعض أنحائه قد ولدت عليه أيضا مطامع بعض الشعوب التى تكتنفه فى غزوه والاستيلاء عليه . ويبدو أن معظم هذه الشعوب كان من العالم السورى ، لاننا نجد جميل ـ سين أو كما يسمى أيضا شو ـ سين Gimil-Sin or Shu-Sin وهو حفيد دونجى ، يهتم ببناء خط تحصينات يحمى سهل العراق من جهة أرض الجزيرة . وقد عرف هذا الخط باسم الحائط التدنى Muriq-Tidnim أى الحائط الذى يمنع تقدم العموريين سكان منطقة جبال تيدانو (لبنان)(٤٠) . وموقع هذا الحائط غير

(٣٨) See, Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. pp. 465 and 477.

(٣٩) See, King, L.W.; A History of Sumer and Akkad ... ibid. p. 304. also King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. p. 132, and Woolley Sir L.; Ur of the Chaldees ... ibid. pp. 114-15.

(٤٠) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and the Sown ... ibid. pp. 133-4.; Langdon, S.H.; The Sumarian Revival ... ibid. p. 458.; Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. p. 468. and Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 215.

محقق ، ولكنه لا يبعد أن يكون فى موضع الحائط الميدى الذى تشير بعض النصوص الى أن بختنصر الكلدانى قد أقامه بين أوبيس على دجلة وبين سيبار على الفرات (٤١) • على أنه لا يبدو أن هذا الحائط ، مهما كان موضعه ، يستطيع أن يمنع تسلل بعض العناصر السامية • لانه اذا كان قد وقف فى طريقها من جهة أرض الجزيرة، فان أبوابا أخرى توجد مفتوحة أمامها من جهة وادى الفرات (٤٢) • ولقد سقطت أسرة أور فى عهد ابى — سن Ibbi-Sin وبسقوطها ختمت آخر صحيفة فى تاريخ النشاط السومرى وفتحت صفحة جديدة للنشاط السامى بقدوم العموريين (٤٣) •

---

(٤١) راجع فيما يلى موضوع « الكلدانيون » •

(٤٢) See, Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. pp. 470 et seq.

(٤٣) See, Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 216.

يرى كثير من الباحثين أن العموريين جاءوا الى سهل العراق من منطقة تقع فى غربه أو في شماله الغربى حسب تفسير كل منهم لكلمة عمـــورو الاكادية• وبهذا تدخل منطقة العموريين ضمن اقليم واسع يشمل ما يعرف الآن باسم سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن وأرض الجزيرة جنوب نطاق طوروس • والمسالك التى تصل بين سهل العراق وبين جهات هـــذا الاقليم متعددة ، وهى التى عرفناها (فى الجزء الاول) عند دراسة منافذ هذا السهل الى العالم الشرقى للبحر المتوسط (١) • والاكثر احتمالا أن يكـون قدومهم اليه قد حدث من جانب نهر الفرات • ذلك لان مسالك جانب نهر دجلة كانت فى ذلك الوقت متأثرة باضطرابات سببتها هجرة بعض شعوب جبلية ضعيفة التحضر • كما أن الحائط التدنى أو العمورى الـذى أنشأ جميل — سن كان يحرس مدخل سهل العراق من وادى الثرثار •

والاقليم الذى خرجت منه هجرات العموريين الى سهل العراق هو نفس الاقليم الذى خرجت منه هجرات الاكاديين اليه • واذا تدبرنا ما سبقت الاشارة اليه عن طبيعة البدو ونفورهم من سكنى القرى والمدن وتدبرنا أيضا أن هذا السهل لا يتضمن النواحى التى تجتذبهم اليه (٢) فانه يستنتج أن العموريين عندما هاجروا اليه ليسكنوه كانوا جماعة متحضرة • وهجرة العموريين تشبه أيضا هجرة الاكاديين فى أنها كانت تسللا بطي لافراد وجماعات صغيرة ، ولم تكن غزوا (٣) • وأنهم بعد أن تقوت بهـ

---

(١) راجع الخريطة رقم ٢ •

(٢) راجع فيما سبق موضوع « الاكاديون » •

(٣) See, H's. U.H.W., 4, Chronicle I ... ibid. p. 432. and Cf, King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. pp. 123 et seq. and Barton, G.A.; Semitic and Hamitic Origins ... ibid. pp. 73-4.

الجماعات الاكادية فى هذا السهل ، أعاد التاريخ نفسه مرة أخرى • فقاد حمورابي العنصر السامى، كما قاده سرجون من قبل ، وأخضع السومريين، وقد كانوا متفوقين من الناحية السياسية فيه • كما أخضع غيرهم من العناصر الاخرى واستخلص له السيادة على هذا السهل•ومن المعروف أن العموريين قبل أن تتم لهم السيطرة عليه كانوا يقدمون للعمل فيه كتجار وصناع وعمال يجتذبهم اليه النشاط الواسع الذى شهده خلال حكم الجوتيين وحكم الاسرة الثالثة فى أور • وتدل بعض النصوص الاكادية على أن العموريين كانوا يجلبون للعمل فى حقول الزراعة وفى غيرها • ولم يكن هذا الجلب قاصرا على الاشتغال بالاعمال فى سهل أكاد فقط ، بل كان أيضا للاشتغال فى أرض سومر • كما تدل على ذلك أيضا بعض نصوص لجش(٤) • ومجىء العموريين للاشتغال فى بعض الحرف المدنية فى سهل العراق ، يؤكد فى حد ذاته الرأى القائل بأنهم لم يكونوا بدوا • وفى الواقع ، انها لاتدل مطلقا على عقلية بدوية تلك الشرائع التى وضعها حمورابى أو جمع بعضا منها على رأى بعض المصادر ، من شتات النظم والقوانين التي كانت سائدة لدى الدول والحكومات التى قامت قبل عهده وكون منها دستورا يعالج مسائل الحكم وعلاقات الافراد(٥) • ومن الملاحظ أنه لا يلمس فى هذه الشرائع أى أثر للتعصب القبلى الذى يسيطر عادة على العقلية البدوية ، بل انه ، على العكس،

---

(٤) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash ... ibid. p. 420.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 177-8. and Spilhaus, M.W.; The Background of Geography, London, 1935, p. 16.

(٥) Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. pp. 216 et seq.; Brestead, J.H.; Ancient times ... ibid. pp. 169-173,; Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. p. 120.; H's. U.H.W., 4, Chronicle 1 ... ibid. p, 433, and Woolley, C,L,; Mesopotamia's City States before the rise of Babylon ... ibid. p. 521.

قد لوحظ أنها فى كثير من الحالات كانت تفرض أقصى العقوبات على الجرائم التى يرتكبها النبلاء ومن المفروض أنهم كلهم أو معظمهم من العموريين(٦) • وقد لوحظ كذلك أن حمورابى كان يسجل ابتهاجه كلما حفر قناة ووسع فى مساحة الاراضى الزراعية • وكذلك كان يفعل ملوك أسرته كلما فعلوا شيئا من ذلك(٧) • ولعل أهم ما يؤيد القول بأن العموريين عندما جاءوا الى سهل العراق لم يكونوا بدوا ، تفوقهم البارز فى فن البناء وفى تصميم المدن• فيوجد فارق كبير بين تصميم مدينة بابل مثلا وهى عاصمة العموريين وبين العواصم السومرية • فبابل قد قسمت الى أحياء منتظمة وتخترقها شوارع مستقيمة ويوازى البعض منها البعض الاخر ، بينما لا يوجد شىء من هذا التنظيم فى المدن السومرية(٨) •

---

(٦) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ··· المرجع السابق ص ٢٠٨ وراجع ايضا :

Thomson, R.C.; The Golden Age of Hammurabi, in the C.A.H., vol. 1, pp. 508-50.; Peake, H. and Fleure, H,J,; The Way of the Sea., Oxford, 1929, pp. 124-6.; Llyod, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 42-4, and King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. pp. 163 et seq.

(٧) راجع الدكتور احمد سوسه ، وادى الفرات ومشروع سدة الهندية ، الجزء الثانى ····· المرجع السابق ص ١٨٩ وما بعدها • ايضا الدكتور احمد سوسه ، تطور الرى فى العراق ···· المرجع السابق ص ٣٨ وما بعدها• وول ديورانت، قصة الحضارة الجزء الثانى····المرجع السابق ص ١٩٢ • وراجع ايضا :

Cook, S.A.; The Gods of Twilight, in H's. U.H.W., 6, page 652.; Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 39 and 42.; King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. pp. 170-1 and 197.; Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. p. 489. and Brown, Sir H.; Irrigation, London, 1907, p. 4.

(٨) Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 43. See also Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States ... ibid. pp. 532-3. and Cf. Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 170.

ويلمس الفارق الكبير بين هجرات العموريين التى دفعت بمدنيات سهل العراق وثقافاته خطوات واسعة الى الامام وبين غارات بعض القبائل البدوية التى كانت معاصرة لها تقريبا ، مما ورد في بعض النصوص المصرية التى ترجع الى الاسرتين التاسعة والعاشرة • فقد ورد عنهم فى أحد هذه النصوص،أنهم انما قدموا نحو مصر لكى يلتمسوا الماء لانفسهم ولحيواناتهم• وورد عنهم أيضا فى نص آخر ان هؤلاء الاسيويين (العموريين) التعساء لا يمكنهم أن يستقروا فى مكان واحد • وأرجلهم فى حركة دائمة • كما أنهم فى حروب مستمرة أيضا منذ أيام حوريس • ولكنهم لا يستطيعون أن يفتحوا أرضا ، كما أن أرضهم لا يستطيع أحد أن يفتحها ••• انهم قد ينهبون المعسكرات المنعزلة ، ولكنهم لا يستطيعون أن يتغلبوا على المدن الكبيرة العامرة بالسكان (٩) •

والادلة متوفرة أيضا على أن العموريين لم يجيئوا الى سهل العراق كغزاة • لانهم لو كانوا كذلك لما تركوا أرض سومر بجوارهم تنعم وقتا طويلا بالاسقلال (١٠) • ولما استمرت مدن أكادية حتى قيام حمورابى وهو سابع ملوك الاسرة العمورية،يخضع بعض منها لنفوذ أسر سومرية ويخضع بعض أخر لنفوذ الاسرة الحاكمة فى علام (١١) • ومن المعروف أيضا أن نفوذ حمورابى قبل تكوين الامبراطورية العمورية ما كان يتعدى الحدود

---

(٩) See, Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. pp. 218-19.

(١٠) See, Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. pp. 464 et seq.; Smith S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 178.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 41. and H's. U.H.W,, 4, Chronicle 1 ... ibid. p. 432.

(١١) Peake, H. and Fleure, H.J.; The Way of the Sea ... ibid. p. 121; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 36-7. and Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. pp. 473-4 and 475-6. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 169.

التقليدية لارض آكاد (١٢) • وفضلا عما تقدم ، أنه لو كان قدوم العموريين قد حدث فى شكل غزو لكان من الطبيعي أن يفرضوا فى سهل العراق لغتهم وكذلك عبادة معبوداتهم • ولكن الذى حدث هو أنهم اعتنقوا لغة الاكاديين التى كانت سائدة فى هذا السهل واتخذوها اللغة الرسمية لدولتهم أيضا (١٣) • واذا سلمنا بأن العموريين قد جاءوا الى سهل العراق متحضرين ومتسللين أفرادا وجماعات صغيرة جذبتهم اليه ناحية أو أخرى من نواحى النشاط الاقتصادى السائدة فيه ، فاننا نجد فى أرض عمورو غير المحددة ، كثيرا من البيئات الصغيرة تصلح لان تخرج منها هجراتهم • وربما كانت نفس البيئات التى خرجت منها هجرات الاكاديين (١٤) •

ولقد كان لقيام حكم العموريين فى سهل العراق آثار خطيرة • فقد أنهى فى هذا السهل عهد المنافسة بين السومريين وبين الساميين وسود نهائيا العنصر السامى (١٥) • كما أنهى من تاريخ سهل العراق عهد حكومات المدن

---

(١٢) See, Scheinder, H.; The History of World Civilization, Vol. 1 ... ibid. p. 124.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 41, and Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. pp. 469 et seq.

(١٣) Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 37 and 44.

(١٤) Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 36. and 41.; King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. pp. 125 and 129 et seq.; Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 36-7.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 98-9 and 176.; Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. pp. 467-8 and 470 et seq.; Schneider, H.; The History of World Civilization, vol. 1 ... ibid. p. 123; Barton, G.A.; Semitic and Hamitic Origins ... ibid. pp. 73-6 and Johns, C.H.W.; Ancient Babylonia, New York, 1913, p. 61.

(١٥) See, King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. pp. 120 and 162. and Breasted, J.H., Ancient Times ... ibid. p. 168.

راجع ايضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ••• المرجع السابق ص ٢٢٥ •

وعهد اتحاداتها فى أرض سومر وفي أرض أكاد • وبدأ عهد جديد لقيام دولة موحدة دينيا وسياسيا وعاصمتها بابل • وبعبارة أخرى ان قيام حكم العموريين كان بدء عهد تكوين قومية عراقية متميزة ، وهي القومية البابلية التى طبعت بطابعها سكان سومر وسكان أكاد معا[١٦] •

وفى بادىء الامر تركز نشاط العموريين أيضا فى جانب وادى الفرات • ويبدو أن من أهم أسباب ذلك أن هذا الوادى يتصل اتصالا مباشرا بالعناصر السامية فى أرض عمورو وفى داخل الجزيرة العربية ، بينما كان جانب وادى دجلة مسرحا لبعض الشعوب الآرية • ولقد كانت هذه الشعوب خطرا كبيرا على الشعوب القديمة فى الشرق الاوسط • لانها كانت من الناحية الحربية تمتاز بالفروسية التى رافقت معرفتهم لاستخدام الحصان • وقد اختار العموريون موقع بابل على نهر الفرات لتكون مركز عاصمة لهم[١٧] ، وكان هذا الاختيار موفقا • ذلك لانها تقع بصورة عامة فى القسم الاوسط من سهل العراق • كما تقع موقعا متوسطا بين أكثف مراكز العمران فيما كان يعرف من جهة باسم سومر وما كان يعرف من جهة أخرى باسم آكاد • وهذا الموقع يمكن الحكومة المركزية من فرض سيطرتها على أجزاء سهل العراق فى قسمه الشمالى وفى قسمه الجنوبى • وكذلك يلاحظ أن مدينة بابل كانت محمية حماية طبيعية فى معظم اتجاهاتها • فيحميها من جهة الغرب نهر الفرات كما يحميها من جهة الشمال ومن جهة الشرق أفرع

---

(١٦) See, Schneider, H.; The History of World Civilization, vol. 1 ... ibid. pp. 122 and 124-5.; Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 38, 40)2 and 63.; Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. pp. 216-17.; Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. pp. 264 et seq. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 38.

(١٧) اختاره سومو ـ آبوم ـ Sumu-abum وهو احد أمرائهم • وكانت بابل (بابلى ـ Babili بالغة الاكادية) مدينة صغيرة • ولم تكن ابدا من قبل مركزا لاسرة حاكمة •

لهذا النهر وقنوات تخرج منه وتتبع انحدار السطح فى أرض أكاد نحو الشرق ونحو الجنوب الشرقي الى نهر دجلة[١٨] • وهذه الفروع النهرية والقنوات تكون خطوط دفاع قوية عنها من جهة أرض الجزيرة وكذلك من جهة وادى دجلة • ويستطيع العموريون ، ان أرادوا ، أن يرفعوا جسور أحد هذه المجارى المائية ويخفضوا الآخر لتفيض منه المياه • فتصبح بابل محمية من جهة الشمال ومن جهة الشرق بمساحات واسعة من الماء ، كما هى محمية من جهة الجنوب بالاهوار البابلية • ويبدو أن هذا هو ما فعله فيما بعد بختنصر الكلدانى لحماية هذه المدينة •

ولا يقل موقع مدينة بابل أهمية من الناحية الاقتصادية عنه من الناحية الادارية ومن الناحية العسكرية • لان حوض القسم الاوسط من نهر الفرات ، كحوض القسم الاوسط من نهر دجلة ، يتضمن عدة مسالك تسير عليها قوافل التجارة بين سهل العراق وبين عالم الحوض الشرقى للبحر المتوسط • وفى شمال بابل يقترب كثيرا وادى الفرات من وادى دجلة مما يسهل حركة الاتصالات بينهما • كما أن أفرع الفرات وقنواته المتجهة نحو نهر دجلة والتى تكون فى أوقات الغزو حلقات دفاع عن العاصمة ، يمكن أن تتخذ مجاريها فى أوقات السلم سبلا للنقل المائى بين النهرين • كما يمكن أن تتخذ ضفافها طرقا لسير القوافل بينهما • وفضلا عن ذلك فان الى منطقة بابل تتجه بعض مسالك من داخل الصحراء السورية ومن داخل الجزيرة العربية[١٩] •

ولقد عمل العموريون فى سهل العراق ما عمله الاكاديون قبلهم • فان صفوفهم لم تكد تقوى حتى قادهم حمورابى الى تحرير سهل العراق من نفوذ سومر ومن نفوذ علام • ثم أخذ ، كما فعل سرجون ، يمد فى رقعة

---

(١٨) راجع فيما سبق موضوع « سهل العراق » •

(١٩) See, King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. pp. 3 et seq.

نفوذه الى الحدود الطبيعية لهذا السهل[٢٠] . وقد حكم حمورابى ٤٢ سنة قضى قسما منها في تكوين الامبراطورية البابلية وقضى القسم الآخر فى تنظيم شئونها ، موجها اهتماما كبيرا نحو الاعمال العمرانية . وفضلا عن هذه الاعمال المتعلقة بشئون المدن وتجميلها وبالخدمات التى قدمها للالهة ولمعابدها، فانه وجه اهتماما كبيرا نحو حفر قنوات كبيرة لاغراض الرى والملاحة . كما وجهه نحو تمهيد الطرق واقامة الحصون عليها لصيانة مسالك التجارة[٢١] . وقد خلدت حمورابى تشريعاته وأعماله الاصلاحية . كما مكنته تلك الاعمال من القبض على دفة امبراطورية واسعة الارجاء قد ساد الرخاء فى أنحائها[٢٢] . الا أن الظروف المحيطة بهذه الامبراطورية لم تكن مساعدة على بقائها طويلا وعلى استمرار حالة الرخاء فيها . ومع ذلك فانه يستنتج من تاريخ حمورابى أن سهل العراق قد مر خلال فترة من حكمه بعصر ذهبى ، استقرت فيه أموره الداخلية على نظم عادلة . واتسعت فيه حقول الزراعة بفضل مشاريع الرى الجديدة . كما اتسع أفقه التجارى بفضل الطرق التى أصبحت مفتوحة أمامه فى أراضى الامبراطورية البابلية ،

---

(٢٠) راجع فيما سبق موضوع «الاكاديون» . وراجع ايضا :
Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon, ... ibid pp. 487-93.; Peake, H. and Fleure, H.J.; The Way of the Sea ... ibid. pp. 120-1. and Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 216.

(٢١) راجع ول ديورانت قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ١٩٢ .
King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. pp. 178 et seq. Schneider, H.; The History of World Civilisation, vol. 1 ... ibid. p. 125.; Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. p. 493.

(٢٢) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ١٨٩ و١٩٣ .

والى أسواق التجارة ومصادر المواد الخام[٢٣] . ويبدو أن اتساع أفق النشاط الاقتصادى فى عهد البابليين قد اجتذب اليه جماعات من بعض الشعوب التى تكتنفهم مثل الشعب الكاشى (كما اجتذب اتساع أفق النشاط الاقتصادى فى عهد الجوتيين وفى عهد الاسرة الثالثة فى أور بعض جماعات العموريين) للاشتراك فى بعض أوجه هذا النشاط . ومن المحتمل أن اتساع أفق هذا النشاط واحتياجه لكثير من اليد العاملة كان السبب المباشر الذى حمل حمورابى على أن يستعين فى تقوية جيشه بالجنود المرتزقة من الخبيرو ومن غيرهم[٢٤] .

ومن المنتظر أن تؤدى فتوحات حمورابى الى مثل ما أدت اليه فتوحات سرجون من قبل ، من ربط الحضارة البابلية ربطا مباشرا بالحضارات التى امتد اليها نفوذ بابل . وقد حدث ذلك فعلا ، الا أنه يبدو أن تأثير هذه الحضارة كان أقوى . ذلك لان حمورابى قد نشر نظمه وشرائعه فى البلاد التى امتد اليها نفوذه . ويرى بعض الباحثين أنه فى ذلك الوقت قامت حركة تهدف الى اعادة كتابة اداب البابليين وعلومهم ، وقد نشرت منها نسخ فى بعض جهات الشرق الاوسط[٢٥] . واذا صح هذا ، يمكن القول أنه فى عهد حمورابى وضعت فى بعض جهات هذا الشرق أسس تمكن من قيام مجتمعات منظمة وتساعد فى بعض جهات أخرى على تقوية الاسس الموضوعة منذ عهد سومر وأكاد .

والواقع أن سهل بابل قد شغل فى عهد حمورابى الوظيفة التى يؤهلها

---

(٢٣) See, Landone, B. (Editor in Chief); Pre-historic man and the Ancient East, vol. 1, New York, 1942, p. 17. See also Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 173-4.

(٢٤) See, Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad ... ibid. p. 420.

(٢٥) See, Thomson, R.C.; The Influence of Babylonia ... ibid. pp. 226 et seq.

له موقعة الجغرافى ، كمركز لتوزيع التجارة ولنشر الثقافة بين اتجاهـــات الشرق الاوسط • ويبدو أنه استمر كذلك بعدعهد حمورابى ، أو أن بذور الحضارة التى بذرت في عهده قدنبتت واستمرت فى النمو • وقد لوحظ أن لغة البابليين وكتابتهم بقيت مستعملة واستخدمت فى الاتصالات السياسية وفى العلاقـات التجارية بين بعض الشعوب المتحضرة فى الشرق الاوسط وبين البعض الآخر ، وعلى الاخص ما يقع منها فى قسمه الغربى • ولم تكن كبادوكيا ، وفيهـــا مستعمرة تجارية بابلية ، هى النهاية التى امدت اليها الحضارة البابلية فى هذا الاتجاه • بل انه قد عثر على اثار لها ايضا فى جزيرة كريت ممثلة فى خاتم اسطوانى • ومثل الخاتم يمكن أن ينقل بطريق غير مباشر الى هذه الجزيرة من المستعمرة التجارية البابلية فى كبادوكيا ، كما يمكن أن ينقل بطريق مباشر من بوابات الامبراطورية البابلية على الساحل السورى وخلال المياه الشاطئية لهضبة الاناضول • ويوجد احتمال آخر ، هوأن يكون هذا الخاتم قد انتقل الى جزيرة كريت عن طريق مصر ، لانه فى الموضع الذى عثر فيه عليه ، عثر أيضا على بعض جعارين مصرية من الانواع المعروفة في اوائل عهد الاسرة الثانية عشرة فى مصر • والصلات بين مصر وبين كريت كانت مستمرة فى ادوار التاريـــخ القديم ، وكانت قوية فى كثير من الاحيان⁽ ٢٦ ⁾ • واذا صح ذلك ، يمكن القول بانه قد قامت اتصالات بين مصر وبين بابل فى عهد العموريـــين • وفى الواقع ان قيام هذه الاتصالات بينهما يبدو كبير الاحتمال • وذلك اذا اعتبرنا ما سبقت لاشارة اليه من أن طريق الاتصالات بين وادى الفرات وبين وادى النيل قد فتح منذ عهد سومر وأكاد • وكذلك اذا صح أن امرافل ملك شنعار (سهل بابل) الذى عاصر ابراهيم (سيدنا) هو حمورابى ، فأن هجرة ابراهيم وقبيله

---

(٢٦) See, Myres, J.L.; The Minoans and Mycenae: Civilization comes to Europe, in H's. U.H.W., 7, pp. 757-8. also Myres, J.L,; The Rise of ordered civilization ... ibid. pp. 467-9 and Macalister, R.A.S.; Survey of Early Mediterranian Cultures ... ibid. pp. 591 and 595 et seq.

من أور الى كنعان ثم الى مصر⁽٢٧⁾ تكون قد اكدت فتح هذا الطريق ثانيا •

ولقد كانت أيضا نهاية الامبراطورية البابلية تشبه بدرجة كبيرة نهاية الامبراطورية الاكادية • فانها قد تعرضت كذلك منذ أواخر عهد حمورابى لاخطار من سفوح النطاق الجبلى زاجروس ــ طوروس • كما أنها تعرضت أيضا لاخطار من جهة الجنوب • ولقد تكررت هذه الاخطار فى عهد خلفائه وأخذت تزداد حدة • واستطاعت بعض الشعوب الجبليـــة أن تتغلب عـلى الامبراطورية البابلية ، كما تغلب الجوتيون من قبـل عـلى الامبراطورية الاكادية • ففى عهد سمسو ــ الونا ، ابن حمورابى ، اشتدت هجمات بعض الشعوب الجبلية على حدود الامبراطورية من جهة الشرق ومن جهتى الشمال والشمال الغربى • كما اشتدت من جهة الجنوب هجمات قراصنة من جهة الاهوار الكلدانية والخليج العربي ، عرفوا باسم شعب القطر البحرى⁽٢٨⁾ •

ومن المنتظر أن تؤدى هذه الاخطار التى قامت فى شرق سهل بابـل

---

(٢٧) راجع فيما سبق موضوع « السوماريون » • وراجع من سفر التكوين الفقرات من ٢٧ ــ ٣٣ من الاصحاح الحادى عشر ثـم الاصحاحين الثانى عشر والرابع عشـر • و ولديورانت ، قصـــة الحضـارة ، الجزء الثانى ٠٠٠٠ المرجع السابق ص ٣٢٤ • وراجع ايضا :

Robinson T.H.; Israel in the Light of History. in H's. U.H.W., 7, p. 812.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 41-2.; H's. U,H,W,, 4, Chronicle 1 ... ibid. p. 432.; Cook, S.H.; The Semites. in the C.A.H. vol. I, p. 236. and Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 219.

(٢٨) راجع فيما سبق موضوع « سهل العراق » • وراجع فيما يلى موضوع « الكلدانيون » وراجع ايضا •

Peake, H. and Fleure, H.J.; The Way of the Sea ... ibid. pp. 126-8.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 45.; Thomson, R.C.; The Kassite Conquest, in the C.A.H., vol. I, p. 552.; King, L.W.; A History of Babylon, ... ibid. pp. 197-8. and H's. U.H.W., 4, Chronicle 1 ... ibid, pp. 433-4.

وفى شماله وشماله الغربى وكذلك فى جنوبه الى عرقلة سير اتصالاته مع الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط ومع سوريا الشمالية من جهة ومع عالم الخليج العربى من جهة أخرى • وأن يترتب على ذلك تقوية اتصالاته خلال بعض مسالك حوض الفرات الاوسط والادنى مع عالم الجزيرة العربية ومع القسم الجنوبى من العالم السورى ، وربما مع مصر أيضا • الا أنه بالرغم من امكان قيام هذه الاتصالات من الناحية الجغرافية ، لا توجد من الناحية التاريخية مستندات بابلية أو مصرية تؤكد حدوث ذلك[٢٩] • على أن هذا ليس دليل نفى جازم ، لان المعلومات المتعلقة بالعهد العمورى (البابلى) سواء أكانت فى داخل سهل العراق أم فى خارجه لاتزال قاصرة بل ونادرة[٣٠] • وفى الواقع اننا اذا راعينا أنه لم يرد في كتابات البابليين ذكر لمجان وملخا وغيرهما من الاقطار التى ورد ذكرها فى عهد سرجون الاكادى مرتبطة بالخليج العربى ، والتى كان الاكاديون ثم السومريون فى عهد الجوتيين وفى عهد الاسرة الثالثة فى أور ، يحصلون منها على بعض المواد الخام • وراعينا أيضا أن مسالك الحوض الاوسط لنهر دجلة وامتدادها فى القسم الشمالى من أرض الجزيرة حيث كانت تأتى منها أيضا بعض المواد الخام من الهضاب الشمالية ومن سوريا ، قد عرقلتها غارات بعض الشعوب الجبلية كالكاشيين والحوريين فى جبال زاجروس وكردستان ، وكالميتانيين فى شمال أرض الجزيرة ، وكالحيثيين فى داخل هضبة الاناضول وفي جبال طوروس • وفى مقابل ذلك ، راعينا أن مصر كانت قد خرجت من دور تفككها واتحدت فى نهاية عهد الاسرة الحادية عشرة ثم أخذت تعمل على توسيع أفق نشاطها الاقتصادى ، وأرسلت بعض قواتها نحو الجنوب الى بلاد النوبة لاستغلال

---

(٢٩) See, Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. p. 218.

(٣٠) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 202-3. See also Stark, F.; The Southern Gates of Arabia, London, 1944, p. 261.

مناجم الذهب فيها ولصيانة مسالك تجارتها الآتية من بلاد السودان ومن أثيوبيا • كما أرسلت البعثات لاستغلال مناجم الذهب فى الصحراء الشرقية ولاعادة فتح طريق وادى الحمامات لتسهيل نقل التجارة الاتية فى البحر الاحمر من بلاد بونت[٣١] • وأن السفن المصرية قد جاوزت ، فى رأى بعض الباحثين ، بلاد بونت وشاطىء البحر العربى الى الخليج العربى حيث تقوم بعض الثغور البابلية[٣٢] • اذا راعينا كل ذلك ، وربطنا بين الظروف الصعبة التى تكتنف سهل بابل من جهة وبين الظروف الحسنة فى مصر من جهة اخرى ، يمكن القول بأن الاسباب كانت مهيئة لقيام اتصالات تجارية بين البابليين وبين المصريين • وعلى الاخص لان مصر كانت غنية بمعدنى الذهب والنحاس ، بينما تفتقر اليهما بابل افتقارا تاما • وهنا تنبغى الاشارة الى أن الانسان المتحضر سواء فى مصر أم سهل بابل ، كان فى ذلك الوقت قد خلف وراءه بمراحل عهد الحضارات الحجرية وضرب في عهد الحضارات المعدنية • ومع ذلك فأنه يبدو أن الظروف السياسية فى القسم الغربى من الشرق الاوسط لم تكن تساعد على قيام اتصالات بين سهل بابل وبين مصر على نطاق واسع • ذلك لان زحف جحافل الميتانيين والحيثيين قد امتد الى نهر الفرات[٣٣] من جهة ، ولان غيوم الهكسوس كانت تكتنف أبواب مصر من هذا الاتجاه من جهة اخرى • ولهذا يبدو كبير الاحتمال أن تكون اتصالات البابليين ، وعلى الاخص خلال الفترة الاخيرة من حكمهم ، قد تركزت مع عالم الجزيرة العربية • وهناك يجد انتاج سهل بابل من المواد الغذائية

---

(٣١) Drioton, E. et Vandier, J.; Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, II, l'Egypt, Paris, 1946, pp. 234-9. and O'Leary, De L.; Arabia before Mohammad ... ibid. pp. 30-1.

(٣٢) See, Moret, E. and Davy, J.; From Tribes to Empire ... ibid. pp. 221 et seq.

(٣٣) Delaporte, L.; Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, 1 ... ibid. pp. 156-7.

سوقا له بين بدو هذه الجزيرة • كما يجد هؤلاء البدو فى اسواق بابل سوقا كبيرا لحيواناتهم ولمنتجاتهم • وباستطاعتهم أن يجلبوا اليها البخور اللازم لمعابدها مع بعض الحشائش العطرية والطبية من الصحراء • ومهما كان نوع التجارة التى قامت بين سهل بابل وبين الجزيرة العربية فأنه يمكن القول بدرجة غير كبيرة من الشك ، ان حلقات الحصار التى ضربت حول سهل بابل من جميع اتجاهاته عدا اتجاه الجزيرة العربية ، قد أدت الى تقوية الروابط البشرية التى تربط بين هذا السهل وبين الجزيرة العربية ، كما أدت الى زيادة صبغته السامية •

ولقد انتهى حكم العموريين فى بابل على يد الكاشيين من سكان الجبال • وكان استيلاؤهم عليها بدء عهد طويل الامد استمر الى نهاية أدوار التاريخ القديم ، خضع فيه سهل العراق من الناحية السياسية لشعوب من عالم الهضاب باستثناء فترة الحكم الكلدانى ، وهى قصيرة • الا انه بالرغم من ذلك لم يفقد صبغته السامية • ومن اهم أسباب ذلك أن مدينة بابل التى تقع على نهر الفرات وتتصل اتصالا مباشرا بالعالم السامى ، استمرت عاصمة العراق ومركز النشاط فيه مدة نحو أربعة عشرة قرنا أخرى • وحتى عند ما انتقل مركز الجذب السياسى والنشاط الاقتصادى من وادى الفرات الى وادى دجلة منذ قيام دولة السلوكيين فأن وادى الفرات لم يفقد نشاطه الاقتصادى • فقد استمر حلقة مهمة من حلقات الاتصالات بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط • بل يبدو ان أهميته قد فاقت فى هذه الناحية أهمية وادى دجلة منذ أوائل الالف الاول قبل الميلاد حين استخدم الجمل لاول مرة في النقل عبر الصحراء • ولما كان يصعب على الجمل ، وعلى الاخص اذا كان محملا ببعض السلع ، أن يسير على الارض غير الرملية اذا كانت مبللة بالمياه من الامطار أو من الانهار كما هو الحال فى أراضى السهل الفيضى وفى بعض الاراضى التى تجتازها مسالك الحوض الاوسط لنهر دجلة ، فانه يمكن القول بأنه منذ أن استخدم الجمل فى النقل عبر الصحراء وقوافل

التجارة البابلية تحملها فى الصحراء السورية ابل البدو وتحت اشرافهم •

على أن هذه العوامل التى ساعدت سهل بابل على الاحتفاظ بطابعه السامى ، لاتعنى أنها منعته من أن يتأثر بدماء بعض الجماعات غير السامية التى جاءت اليه من الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط وسيطرت عليه• حقيقة ، ان الاختلاف الكبير بين نظم الحياة فى تلك الهضاب وبين نظمها في هذا السهل قد حد بدرجة كبيرة من نشاط بعض هذه الجماعات وجعلها تعيش فى شبه عزلة ، بل وردها على أعقابها أحيانا كما حدث من الحيثيين• الا أنه تنبغى ملاحظة أنه فيما بين سهل العراق وبين الهضاب الشمالية وحافاتها الجبلية من أراضى توجد بعض مناطق انتقالية بينهما • وهى تتمثل فى منطقتى السهول المموجة والهضاب من اقليم الجبال والمقدمات الجبلية فى شمال سهل العراق ، كما تتمثل فى مناطق الدلتاوات التى كونتها عند سفوح مرتفعات زاجروس المطلة على سهل العراق،أنهار صغيرة وأخوار• وسكان هذه المناطق الانتقالية تتوفر لديهم أسباب الاختلاط بسكان سهل العراق والاندماج فيهم بسهولة مثلما يحدث فى الوقت الحاضر من العناصر اللورية الكوردية سكان مرتفعات لوريستان • وكما حدث فى الماضى من الكاشيين الذين جاءوا من السفوح الجنوبية لجبال زاجروس ، فى أعقاب الحيثيين ، وسيطروا على سهل بابل ، وعندما انتهى حكمهم فيه لم يكن لهم ما يميزهم عن باقى سكانه(٣٤) •

(٣٤) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 295.; Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 43. and Schneider, H.; The History of World Civilization ... ibid. p. 126.

٥ ـ الغزو الحيثى والفتح الكاشى

الحيثيون من الشعوب الارية أو شبهها[١] • وقد ظهروا في داخل هضبة الاناضول وأخذوا يمدون نفوذهم منها خلال مسالك طوروس نحو المناطق المجاورة لهم فى القسم الشمالى من الهلال الخصيب • ثم وجهوا هجماتهم بقيادة مورسيل الاول نحو سهل العراق • وتهيأت لهم الفرصة لغزوه فى عهد الملوك الضعاف فى أواخر عهد الاسرة البابلية • أما عن المسلك الذى سلكوه فى هذا الغزو فان الآراء تتضارب حوله • على أننا اذا اعتبرنا أنه قد حدث على ظهور الخيل كما هو منتظر ، فان الاحتمال يبدو كبيرا فى أن يكونوا قد سلكوا طريق القسم الشمالى من الهلال الخصيب وامتداده فى مسالك جانب نهر دجلة • لان هناك تتوفر المياه ، كما تتوفر المراعى اللازمة لغذاء الخيل أكثر مما تتوفر فى المسالك الاخرى الموصلة الى سهل العراق • على أن سلوك الحيثيين طريق وادى الفرات ليس ضعيف الاحتمال [٢] • فأن هذا الطريق ، بالرغم مما يلابسه من بعض صعوبات ، قد سلكه جيش كورش الصغير الى موقعة كونكسا فى سهل بابل ، كما يخبر زينيفون [٣] • وكذلك ، لان هذا الوادى يكون حلقة طبيعية للاتصالات بين داخل هضبة الاناضول وبين مدينة بابل•ويؤيد ديلابورت رأى طومسون فى أن الحيثيين قد سلكوا هذا الطريق • ولكنه

(١) See, Macalister, R.A.S.; Survey of Early Mediterranian Cultures ... ibid. p. 593.; Delaporte, L. Mesopotamia ... ibid. p. 43. Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 211. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 242 et seq.

(٢) See, Thomson, R.C.; The Kassite Conquest ... ibid. p. 561. See also Brestead, J.H.; The Ancient Times ... ibid. p. 177.

(٣) Musil, E.; The Middle Euphrates, New York, 1927, pp. 213 et seq. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 80-4.

يضيف بأن غزوهم لهذا السهل لم يحدث من داخل هضبة الاناضول ، وانما حدث من خانا أو هانا على الفرات الاوسط ، وهى فى موضع تل الشعرة الحالى بين الصلاحية وبين دير الزور [٤] • واذا صح ذلك قوى احتمال أن يكون الغزو الحيثى قد حدث عن طريق وادى هذا النهر • الا أن سميث يضع أمام هذا الاحتمال نقطة ضعف كبيرة • ذلك لانه وان وافق على أن الغزو الحيثى قد تبع وادى الفرات ، الا أنه لا يرى أن خانا تقع فى منطقة تل الشعرة وانما يرى أن موقعها فى منطقة نصيبين فى القسم الشمالى من أرض الجزيرة[٥] • ومن الملاحظ أن أصلح الطرق من الناحية الجغرافية لسير الاتصالات بين منطقة نصيبين وبين سهل العراق هو طريق وادى دجلة أو طريق كركوك[٦] • حقيقة أن سير الاتصالات بين منطقة نصيبين وبين وادى الفرات ممكن عن طريق وادى جغجغ والخابور الى مصبه فى الفرات ، أو خلال ممر فى تلال سنجار الى عنه ، الا أن سلوك هذه السبل بين نصيبين وبين سهل العراق ليس طبيعيا •

ومما تقدم يلاحظ أنه يصعب الاستناد على آراء المؤرخين فى تحديد الطريق الذى سلكه الحيثيون لغزو سهل العراق • وفى الواقع ، يبدو أن هذا الغزو لم يكن مدبرا ، وأنه قد حدث بطريق الصدفة • بمعنى أن جحافل الحيثيين البدو عندما نزلت من هضبة الاناضول خلال مسالك طوروس الى السهول المكشوفة فى الشرق الاوسط انتشرت للغزو فى بعض اتجاهاتها • فاجتذبت مناطق الخصوبة فى شمال سوريا بعض جماعات منهم • كما اجتذب نطاق الخصوبة فى وادى الفرات ، وهو واضح ومحدد

(٤) Delaporte, L.; Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, ibid. p. 142. also Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 45.

(٥) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 210 and footnote.

(٦) انظر الخريطة رقم ٢ •

بين ما يكتنفه من جهات صحراوية ، بعض جماعات أخرى منها وحملهم الى بابل (٧) • وبعض الباحثين يعزز هذا الاحتمال ، ويرى أن هذا الغزو لسهل العراق كان جزءا من حركة عامة قام بها الحيثيون من داخل هضبة الاناضول نحو الاجزاء المجاورة لهم فى الشرق الاوسط • كما يعززه أيضا أن الحيثيين لم يخلفوا لهم في هذا الدور من أدوار غزوهم لسهول الشرق الاوسط أثارا • وأنهم بعد أن سكنت ثورة هذا الغزو ، اختفوا من تاريخ هذه السهول ولم يظهروا فيها ثانية الا بعد عدة قرون (٨) • كما يلاحظ أن قدومهم الى سهل العراق لم يكن فتحا ، وانما كان غزوا أو اغارة عابرة ، فلم تغرهم على الاقامة فيه ثرواته الزراعية ، أو الاحتمالات الكبيرة التى لموقعه الجغرافى ، او تراثه الحضارى ، وانما أغرتهم فقط كنوز بابل ومدخراتها ، فلما تم لهم نهبها تركوا أراضيها وعادوا من حيث جاءوا • ويستنتج مما تقدم أن غزو سهل العراق محتمل من قبل أية جماعة طامعة فى التوسع الاستعمارى تنزل من هضبة الاناضول الى سهول الشرق الاوسط • وتبعا لذلك تلاحظ أهمية سيطرة سكان هذا السهل على ممرات طوروس • وهنا أيضا يلاحظ ما سبقت الاشارة اليه من أن سهل العراق ليس ببيئة صالحة لجذب رعاة الجبال على الاستقرار فيه ، كما أنها ليست كذلك بالنسبة لبدو الصحراء •

ولقد كان هذا الغزو الحيثى لسهل العراق ضربة قوية أصابت أسس حضارته وأدخلته فى دور من الفوضى والاضمحلال استمر نحو قرنين من الزمان لم تدون فى أثنائهما حوادث قط (٩) • حتى نهض ثانية على يد

(٧) Cf. Garstang, J.; The Empire of the Hittites, in H's. U.H.W., 7, p. 730. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p, 48,

(٨) See, H's. U.H.W., 4, Chronicle 1 ... ibid. p. 434.; Garstang, J.; The Empire of the Hittites, ibid. ... p. 730. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 177 and 248.

(٩) See, H's. U.H.W., 4, Chronicle 1 ... ibid. p. 434.

الكاشيين • ومع ذلك فأن هذا الغزو ، وان أضر بسهل العراق ، الا أنه قد عاد على الحيثيين بفائدة كبيرة • كما عاد على غيرهم من الشعوب المتصلة بهم • ذلك لان ما أخذه الحيثيون معهم من كنوز بابل ومن الاسرى من أبنائها قد استخدم فى وضع أسس الحضارة الحيثية • وقد لوحظ أن الحيثيين بدؤا منذ ذلك الوقت يعرفون الكتابة المسمارية • وبعض الباحثين يرى أن من بين ما سلبوه من كنوز بابل نسخ من الآداب السامية ـ السومرية ، وأنهم قد نشروا قصة جلجمش وغيرها من القصص البابلية فى هضبة الاناضول ومن هناك انتقلت الى عالم بحر ايجه والى جزيرة كريت (١٠) •

أما الكاشيون فقد جاءوا الى سهل العراق فاتحين • وبعد أن تم لهم الاستيلاء عليه اتخذوا مدينة بابل عاصمة لهم • واستمروا يحكمونه نحو ستة قرون • ويرى بعض الباحثين أنهم من الشعوب الآرية (١١) • ويتفق موريه وديفى مع هذا الرأى ، ويضيفان ، أن الكاشيين قسم من الجماعات الآرية التي كانت تسكن مناطق المراعى الاسيوية فى شرق بحر قزوين وبحر آرال • وأنهم اضطروا ، بسبب زيادة الجفاف فى اقليم التركستان وتحت ضغط بعض الشعوب المغولية ، الى الهجرة • فاجتاز بعض منهم ممرات جبال هندكوش الى وادى السند بينما اتجه بعض آخر منهم نحو داخل هضبة ايران • ومن هؤلاء الاخيرين الميديون الذين استقروا فى هذه الهضبة وسيطروا على مرتفعات القسم الغربى منها • ومنهم أيضا الكاشيون الذين استمروا فى هجرتهم عبرها الى مقدماتها التى

(١٠) راجع ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٣٠٢ • وراجع ايضا طومسون •
Thomson, R.C.; Babylonia in the Days of Hammurabi ... ibid. p. 586.

(١١) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 45. and Cf. H's. U.H.W., 6 Chronicle 2, Dawn: 1580-900 B.C., p. 662.

تكون حلقة انتقال بينها وبين سهول الشرق الاوسط • وكانوا بذلك أول من اتصل من هذه الشعوب الارية بالشعوب السامية التى تسكن فى أرض ما بين النهرين[12] • ومن الباحثين من يرى أن الكاشيين قبائل جبلية غير متحضرة[13]، كانت تسكن فى شمال علام وفى شمالها الغربى • وأنهم كانوا على نوع من الاتصالات مع سكان سهل العراق منذ عهد حمورابى • كمايرى أنهم من الشعوب الاسيوية القديمة التى كانت تسكن فى هضاب الشرق الاوسط • ولما جاءت موجات الشعوب الآرية الى هذه الهضاب خضع الكاشيون لجماعة منهم[14] ويتفق سميث مع هذا الرأى • ويضيف أنه يجد وجها للشبه بين الظروف التي أدت الى سيطرة الكاشيين على سهل بابل وبين الظروف التى أدت الى سيطرة المماليك على العراق فى العصر التركى[15] ولا يبتعد بيك وفلير عن مجمل الآراء السابقة • فهما يريان أن الكاشيين شعب غير آرى سيطرت عليه طبقة أرية ، وأنهم جاءوا عن طريق الثغرة بين سلسلة كوبت داغ وبين سلاسل هندكوش (أى بوابة خراسان) • وبعد أن دخلوا الى هضبة ايران اتجهوا نحو الغرب ثم نحو الجنوب الغربى حتى وصلوا الى وادى دجلة من جانب جبال زاجروس[16] •

---

(١٢) See, Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. 234-5. Haddon, A.C.; The Races of Man ... ibid. p. 101. and H's. U.H.W., 6, Chronille II ... ibid. p. 662.

(١٣) See, Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 177.

(١٤) See, Thomson, R.C.; The Kassite Conquest ... ibid. pp. 552-4. and Delaporte, L.; Les Peuples de l'Orient Méditerranéen ... ibid. pp. 152 et seq.

(١٥) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 215.

(١٦) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; The Way of the Sea ... ibid. pp. 129 and 142.

وقبل البحث عن المسلك أو المسالك التى سلكها الكاشيون الى سهل العراق والتى تتفق مع الاتجاهات المختلفة التى أبدتها الآراء السابقة ، تبغى الاشارة الى أن هذه الآراء تتفق ، كما تتفق معها أراء أخرى، على أن الكاشيين هم الذين أدخلوا الى هذا السهل حضارة الحصان[17] • ويصعب التسليم برأى موريه وديفي ، لان سهل العراق ليس بيئة صالحة لجذب الرعاة اليه • ولكنه اذا صح ، يكون قدومهم قد حدث خلال اقليم كردستان الى القسم الاوسط من وادى نهر دجلة أو خلال القسم الشرقى من هضبة الاناضول الى القسم الاعلى من هذا الوادى • وهذا يتضمن معني أن الطريق كان أمامهم ممهدا فلم تعترضهم قوات آشور فى أرض أشور ولا قوات الميتانيين فى القسم الشمالى من أرض الجزيرة • كما يتضمن معنى أن الكاشيين كانوا شعبا متحضرا بحضارة الاستقرار الزراعى • لانهم لو كانوا من العناصر الرعوية الهمجية لاستهوتهم المراعى فى هذه المناطق أكثر مما تستهويهم حقول الزراعة فى سهل بابل • ولكان قدومهم الى هذا السهل اغارة لغرض السلب والنهب ، كما فعل أقرباؤهم من الحيثيين ، وليس لغرض الفتح•ولعل الرأى الذى يقول بأنالكاشيين قد دخلوا الىسهل العراق من جانبجبال زاجروس هو الاكثر احتمالا • ولكن ينبغى أن يضاف اليه ، أنهم قبل أن يدخلوه كانوا متحضرين بحضارة الاستقرار الزراعى •

والقسم المشرف من نطاق زاجروس على سهل العراق يعرف باسم لورستان نسبة الى قبائل اللور التى تسكنه • وهو يتضمن وديانا خصبة تصلح لتحضر الكاشيين بحضارة الاستقرار الزراعى ، ولكنها مع ذلك محدودة الانتاج ، وتعتبر من الاقاليم الطاردة لسكانها • كما تتضمن سفوحها وديانا

---

(١٧) See, Schneider, H.; The History of World Civilization, vol. I ... ibid. p. 126. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 177 and footnote.

أخرى تنحدر نحو سهل العراق(١٨) . ويبدو أن الكاشيين كانوا يتسللون خلالها اليه ، كما يفعل اللور فى الوقت الحاضر ، للاشتغال فيه بالزراعة وغيرها من الحرف الاخرى(١٩) . ومن المحتمل أنهم كانوا قبل أن يحدث الفتح الكاشى قد كونوا لانفسهم هناك جالية كبيرة اختلطت بالسكان واعتنقت مقومات حضارتهم . وربما لم يكن يلمس فارق واضح بينهم وبين السكان الاصليين ، بمثل ما هو حادث الآن فى مدينة الكوت مثلا بين سكانها من العرب ومن اللور ، وهم جالية كبيرة فيها . وفي الواقع ، ان بعض الباحثين لا يرى الناحية الاجنبية فى الكاشيين بالنسبة للبابليين الا فيما يتعلق منها بالاسماء الآرية لملوكهم(٢٠) . ومن المحتمل أن كان هؤلاء الملوك الآريين من الشعب الميدى الذى جاء وسيطر على مرتفعات لورستان ودفع الشعب الكاشى منها نحو سهل العراق .

واذا صح ما ذهبنا اليه خاصا بالموطن الذى خرجت منه جموع الكاشيين لغزو سهل العراق ، فانه يمكن القول بأن الاوضاع الجغرافية لهذا السهل بالنسبة لاوضاع الجهات التى تكتنفه لم تتغير كثيرا فى عهدهم عما كانت عليه فى أواخر أيام الاسرة البابلية الاولى (العمورية) . ذلك لان الكاشيين لم يضيفوا اليه أرضا جديدة تعطيه منفذا أو أكثر لتجارته وتمكنه من السيطرة

(١٨) انظر الخريطة رقم ٢ . وراجع ايضا :
Fulanain; Haji Rikkan, Marsh Arab, London, 1927, pp. 204 et seq.

(١٩) راجع محمد أمين زكى بك، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية الى الآن ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ٧٠ .
وتوجد مقارنة بين تسلل الكاشيين الى سهل العراق وبين تسلل الهكسوس الى مصر فى كتاب سليم حسن ، مصر القديمة ، الجزء الرابع ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٥٦ . وراجع ايضا :
Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 43.; Brestead, J.H.; Ancient Times ...ibid. p. 177.; Thomson, R.C.; The Kassite Conquest ... ibid. p. 552. and Hass, W.W.; Iran, New York, 1946, pp. 4-5.

(٢٠) H's. U.H.W., 6 Chronicle II, ibid. p. 665.

على مسالكها ، أو مصدرا من مصادر المواد الخام التى يفتقر اليها ، بمثل ما أضاف اليه الجوتيون مثلا عند استيلائهم عليه . وانما استمر محاصرا بجماعات قوية تضيق عليه وتشل حركاته . ففى جنوبه وقف شعب القطر البحرى يسد عليه منافذ اتصالاته مع عالم الخليج العربى . وفى جنوبه الشرقى يقف العلاميون . كما يقف الميديون فى شرقه ويسدون عليه منافذ اتصالاته نحو داخل هضبة ايران . وفيما يتعلق بمنافذ اتصالاته خلال الحوض الاوسط لنهر دجلة ، كان هناك يقف الاشوريون ، كما كان يقف الحوريون فى هضبة أرمينيا ومرتفعات كردستان ، والميتانيون فى أرض الجزيرة ، والحيثيون في هضبة الاناضول وجبال طوروس ، وشعب نهارين فى القسم الشمالى من سوريا ، بين الفرات وبين العاصى . وأما فيما يتعلق باتصالاته خلال مسالك نهر الفرات فيبدو أن القبائل البدوية كانت تعرقل سير هذه الاتصالات . وذلك اذا حكمنا على طبائع البدو فى ذلك الوقت بطبائعهم فى الوقت الحاضر(٢١) . وبجانب ما تقدم من ظروف غير ملائمة كانت تكتنف سهل العراق ، لم يكن الكاشيون على درجة كبيرة من الحضارة تؤهلهم للنهوض به .

وفى الواقع لا يوجد ما يدل على أن الحضارة البابلية قد تأثرت كثيرا بمؤثرات الحضارة الكاشية . فاذا استثنى الحصان وادخال طريقة بسيطة للتأريخ(٢٢) ، لا يوجد للحضارة الكاشية الا بعض مظاهر سطحية مثل احداث بعض التغير فى قيافة الملابس وفى غطاء الرأس . ولعل أهم مظهر يدل على تأثير البيئة الجبلية التى قدموا منها ، أنهم أدخلوا الى سهل العراق

(٢١) يلاحظ ان البدو ينقلبون على الضعيف والمهزوم ولو كان لهم به صلات حسنة . ويرون أنفسهم احق بثرواته من غيرهم . راجع حافظ وهبه ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ، القاهرة ١٩٤٦ ص ١٠ و ٢٧٥ .

(٢٢) See, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 49.; Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. p. 11. and Thomson, R.C.; The Kassite Conquest ... ibid. p. 568.

نوعا من الاحذية يراه بعض الباحثين كبير الشبه بما يلبسه فى الوقت الحاضر بعض الاكراد من سكان الجبال(٢٣) • وفيما عدا ذلك استمرت الحضـارة البابلية محتفظة بصبغتها القومية الاصلية ، بل انها أخضعت أيضا الفاتحـين لنفوذها(٢٤) • ومما يستدل منه على ذلك أن الكاشيين لم يفرضوا لغتهـم فى سهل العراق بل انهم قد هجروها واعتنقوا التكلم بلغة البابليين والكتابة بخطهم • كما أنهم اعتنقوا عبادة الالهة البابلية ، وان كانوا لم يهجروا كلية عبادة آلهتهم القديمة (٢٥) •

ومما تقدم يستنتج أن الحضارة البابلية فى أوائل عهد الكاشيين كانت تمر فى دور من الركود • وقد كان من الممكن أن يقال بأنها كانت تسـير تدريجيا نحو الانهيار(٢٦) بسبب ضعف الحضارة الكاشية ، وهى حضارة الطبقة المسيطرة ، لولا أن احداثا أخرى كانت تجرى فى بعض جهـات الشرق الاوسط التي تكتنف سهل بابل قد أوقفت سير هذا الانهيار • وذلك لان معظم الشعوب الهمجية التـى رأيناها تحاصر سهل بابـل من بعض الاتجاهات كانت قد تأثرت بالحضارة البابلية وأخذت تستقر وتكون نوعا من

(٢٣) See, Thomson, R.C.; Babylonia in the Days of Hammurabi ... ibid. p. 571.

(٢٤) See, H's. U.H.W., 6, Chronicle II, ibid. pp. 661-2.; Schneider, H.; The History of World Civilization, vol. 1 ... ibid. p. 126. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 46.

(٢٥) See, Thomson, R.C.; The Influence of Babylonia ... ibid. p. 226. also Thomson, R.C.; The Kassite Conquest ... ibid. pp. 560 and 567.

(٢٦) راجع ول ديورانت ، قصـة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ، ص ١٩٥ وراجع ايضا :

Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 45.; Hall, H.R.; The Contemporary Art of Egypt and the Near East, in the C.A.H., vol. 2, p. 429. and Smith, S.; The Age of Ashurbanipal, in the C.A.H., vol. 3, p. 101.

الوحدات السياسية • وقد أصبح من الضرورى لها أن تقتبس الكثـير من عناصر الحضارة البابلية الراقية • ومن الطبيعى أن تدفعها هذه الضرورة الى فتح أبواب للاتصالات السلمية معها • ومن المتوقع أنه كلما ازداد تقدم هذه الشعوب فى مدارج الحضارة كلما ساد الامن والنظام فى مسالك التجـارة والاتصالات بينها وبين سهل العراق • وبعبارة أخرى أن هذا السهل قـد أصبح فى وقت ما أثناء حكم الكاشيين يشغل وظيفته الطبيعية كممر للتجارة بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط ، وكمركز حضارى تنتشر منـه المؤثرات خلال المسالك الى الاتجاهات التى تكتنفـه فى الشرق الاوسط • ومن الطبيعى أيضا أن يؤدى هذا الى زيادة اعتباره من الناحية السياسية(٢٧) •

وبناء على هذا التغير الذى حدث فى الاوضـاع البشرية فى الشرق الاوسط ، يمكن القول بأن الحضارة البابلية قد بلغت فى عهد الكاشيين ذروة انتشارها عن طريق التجارة التى فتحت أمامها المسالك التي كانت مغلقة ، وكذلك عن طريق الشعوب المختلفة التى قامت حضارتها عـلى أسس من الحضارة البابلية • ففى ذلك الوقت مثلا كان الفن الحيثى يقوم عـلى أسس بابلية • وما كان باستطاعة الفنان الحيثى أن يعبر عن أفكاره الا بالاستعانـة بالنماذج البابلية • وفى ذلك الوقت أيضا كانت لغة البابليين وكتابتهم شائعـة الاستعمال(٢٨) فقد كان الحيثيون يستخدمونها فى كتابة رسائلهم الرسمية • وكانت الكتب البابلية تقرأ عنـد بعض الطبقات فى هضـبة الاناضول وفى وفى سوريا • وكان الامراء السوريون من أتباع فراعنة مصر فى عهد الاسرة

(٢٧) See, Schneider, H.; The history of World Civilization vol. 1, ibid. p. 126.; H's. U.H.W., 4, Chronicle I ... ibid, p, 434, and cf, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 45.

(٢٨) See, Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire, ibid. p. 11.; Garstang, J.; The Empire of the Hittites ... ibid. p. 721.; Schneider, H.; The History of World Civilization, vol. 1 ... ibid. p. 126. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 247-8 and footnote.

الثامنة عشرة يكتبون اليهم بالخط المسمارى • وكان يفعل ذلك أيضا ملوك بابل وآشور وميتانى وغيرهم مما تدل عليه رسائل تل العمارنة[٢٩] • وبعض الباحثين يرى أن فراعنة مصر أيضا كانوا يتخذون لغة البابليين وكتابتهم فى كتابة رسائلهم الى هؤلاء الملوك والى أتباعهم الامراء في سوريا وفلسطين[٣٠] • والذى يستنتج من ذلك هو ان سهل العراق ، بسبب موقعه فى ممر رئيسى للتجارة بين شرق العالم القديم وبين غربه ، يستطيع فى أوقات السلام التى تسود جهات الشرق الاوسط أن ينشر حضارته خلال مسالك التجارة الى هذه الجهات والى الجهات الاخرى التى تكتنفها خارج محيط هذا الشرق •

واذا كان صحيحا ما سبقت الاشارة اليه عن انتشار لغة البابليين وكتابتهم فى بعض جهات الشرق الاوسط ومصر وفى بعض جهات أخرى ، فأنه يمكن القول بأن هذا الانتشار قد صاحبه أيضا انتشار آداب البابليين ومعارفهم • ذلك لان الانسان اذا تعلم قراءة لغة معينة وكتابتها سهل عليه التعرف على ما تتضمنه تلك اللغة من أوجه المعرفة • ولهذا يمكن القول بأن عهد الكاشيين أو قسما منه كان من أنسب الاوقات لانتشار الحضارة البابلية الى خارج محيط الشرق الاوسط من بعض الاتجاهات • أى نحو مراعى غرب أسيا ووسطها مثلا ، ولقد وجدت فعلا ممثلة هناك[٣١]، وكذلك نحو بلاد الاغريق[٣٢] •

---

(٢٦) See, Hogarth, D.G.; The Ancient East, London, 1939, pp. 26-7.; Griffith, F.L.; The Egyptian Empire: Its Splendour and Decline, in H's. U.H.W., 6, p. 686. and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid, p. 46.

راجع ايضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع لسابق ص ٣٠٢ ـ ٣ •

(٣٠) See, King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. p. 1.

(٣١) See, Hass, W.W.; Iran ... ibid. p. 5.

(٣٢) Cf. Semple, E.C.; The Geography of the Mediterranian Region, its relation to Ancient History, London, 1932., p. 176.

وربما امتدت ايضا الى ما وراء بلاد الاغريق ، فى البلقان وحوض الدانوب • ومن المحتمل أن ذلك كان الوقت الذى عرف الكريتيون فيه معرفة الكتابة المسمارية على ألواح من الطين[٣٣] • واخذ فيه الاغريق كثيرا من علوم البابليين وادابهم واشتقوا من لغتهم بعض التسميات المتعلقة بالمعادن ، وبالمكاييل والموازين ، وبالآلات الموسيقية والخمور ونحوها[٣٤] • ومن المحتمل ايضا ان كانت الحضارة البابلية فى الدور الاول من عهد الكاشيين قد اتصلت بالحضارة المصرية فى عهد الهكسوس • اذ يبدو ان الهكسوس ، بعد أن وطدوا نفوذهم فى مصر ، قد مدوا نفوذهم فى جنوب سوريا ثم فى شمالها حتي بلغوا سفوح جبال طوروس[٣٥] • وربما ترجع بعض أسباب ذلك الى رغبتهم فى السيطرة على بعض اسواق الاخشاب والمعادن وعلى المسالك الموصلة اليها • ومن المحتمل انه فى هذه الاسواق وعلى هذه المسالك التقت الحضارة البابلية بالحضارة المصرية • ومن المحتمل كذلك انه عن طريق هذ الالتقاء او عن طريق امتداد نفوذ مصر ، كما ترى بعض المصادر ، فى أرض الجزيرة ونحو سهل بابل ، انتقل تمثال صغير لاسد صنع فى مصر أثناء حكم الهكسوس وعثر عليه فى منطقة بغداد[٣٦] • ومع ذلك ، فسواء أدل وجود هذا الاسد

---

(٣٣) راجع ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٣٠٢ •

(٣٤) See, Thomson, R.C.; The Kassite Conquest ... ibid. p. 568.

(٣٥) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 49.; Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire ... ibid. pp. 253-4.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 217. and Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. p. 11.

(٣٦) راجع سليم حسن ، مصر القديمة ، الجزء الرابع ، عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٩٢ـ٤ و ١٥٦ـ ٦٠ • وراجع ايضا :

Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 218. and Schnider, H.; The History of World Civilization, vol. 1 ... ibid. p. 126.

على قيام اتصالات سلمية بين مصر وبين بابل أم دل على ان مصر قد فرضت نوعا من النفوذ عليها ، فأن احداثا جديدة كانت على وشك ان تحدث لتغير من مجرى التاريخ فى القسم الغربى من الشرق الاوسط ولتقوى من الصلات بين بابل وبين مصر .

فى أثناء الحوادث التى مررنا بها فى الفقرات الاخيرة كانت الشعوب التى رأيناها تكتنف سهل العراق من جهة الشرق ومن جهة الشمال والشمال الغربى ، قد سارت فى طريق النمو شوطا بعيدا فظهرت قوميتها وخرجت من دور الطفولة الى دور الشباب والفتوة (٣٧) . ونمو القوميات في الشعوب يصحبها كما هو معروف ، اعتزاز بها وتعصب لها . ولهذا بدت بعض الشعوب فى الشرق الاوسط على وشك أن تدخل فى دور عنيف من التنافس والصراع تقويه الاوضاع الجغرافية لبيئة البعض منها بالنسبة لبيئة الاخر . فمثلا يلاحظ انه فيما بين الكاشيين فى سهل العراق وبين الحيثيين فى هضبة الاناضول كانت توجد دولة آشور فى قسم من الحوض الاوسط لنهر دجلة . كما كانت توجد دولة الميتانيين فى ارض الجزيرة او فى القسم الشمالى منها . وبينما تقف هاتان الدولتان مصدا يحول دون الاتصال الحر بين البابليين وبين الحيثيين ، تقف كل منهما مصدا من الاخرى . كما تقف منهما بابل مصدا من جهة الخليج العربى ، ويقف الحيثيون مصدا نحو شمال شرق البحر المتوسط . وبينما كان البركان يوشك ان ينفجر فى الشرق الاوسط بين بعض هذه الشعوب وبين بعضها الآخر ، ظهرت قوة مصر فأوقفت انفجاره بعض الوقت . فقد شرع المصريون رماحهم فى وجه الهكسوس وطردوهم من مصر ثم تعقبوهم نحو آسيا حول سنة ١٥٨٠ ق.م ، ملقين فى طريقهم الرعب فى قلوب القبائل والشعوب . وكونوا

---

(٣٧) انظر بحثا عن ادوار حياة الشعوب وعن المميزات التى يمتاز بها كل دور ، فى :
Valkenburg, S.V.; Elements of Political Geography, New York, 1946. pp. 3 and 12.

بعد ذلك امبراطورية تضمنت كل الاراضى الواقعة بين مصر وبين جبال طوروس من جهة وبين البحر المتوسط وبين نهر الفرات من جهة اخرى . ولم يكن نفوذهم قاصرا على ذلك ، بل انه كان يمتد وراء تلك الحدود الى أرض الميتانيين والى آشور وبابل والى بلاد الحيثيين فى هضبة الاناضول ، والى عالم بحر ايجه . وكانت هذه الشعوب جميعها تتحاشى غضب مصر وتوالى ارسال الهدايا اليها (٣٨) . ولقد حفظ نفوذ مصر فى الشرق الاوسط التوازن بين بعض هذه الشعوب وبين بعضها الاخر خلال فترة استمرت نحو قرنين ، وفى أثنائها انتشرت فى داخل الاقاليم التى امتد اليها النفوذ المصرى وفيما ورائها من بعض الاتجاهات ، حضارة المصريين . كما انتشرت تجارتهم ، وكانت تحملها فى البر قوافل الخيل والبغال على طرق ممهدة (٣٩) . كما تنقلها فى الماء سفن تجرى فى النيل واخرى تجرى فى البحر الاحمر الى بلاد بونت ، وفى البحر المتوسط الى موانى سوريا وقبرص وكريت وموانى بحر ايجه (٤٠) .

ويستنتج من اتساع افق نفوذ المصريين ومن امتداد مجال تجارتهم الى ما وراء هذا الافق أثناء هذه الفترة الطويلة ، أن الظروف كانت مهيأة لنشر الحضارة المصرية فى الشرق الاوسط والى صبغ كثير من جهاته بالصبغة

---

(٣٨) Drioton, E. et Vandier, J.; Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, II, L'Egypt ... ibid. pp. 390-1.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 229 et seq.; Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. p. 32.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 49. H's, U.H.W.; 6, Chronicle II ... ibid. p. 662.; Garstang, J.; The Empire of the Hettites ... ibid. p. 731. and Myres, J.L.; The Minoans and Mycenae: Civilization comes to Europe ... ibid. pp. 758 and 780.

(٣٩) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 50. and Moret, A. and Davy, G. From Tribes to Empire ... ibid. p. 278.

(٤٠) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 32-3. See also Sykes, Sir P.; A History of Exploration, London, 1949, p. 4.

المصرية (٤١) • ويبدو ان هذا قد حدث فعلا • اذ لوحظ انتشار اختام منقوشة برموز مصرية • كما لوحظ ان الكتابة البابلية التى كانت سائدة قد أخذت تضمحل وتحل محلها كتابات تبدو مشتقة من الكتابة المصرية ، كما يستدل على ذلك من الآثار الحيثية فى قرقميش (٤٢) • ومن المتوقع أن تكون أكثر جهات الشرق الاوسط تأثرا بالحضارة المصرية هي جهات الامبراطورية • أما الجهات الاخرى التى لا تكون جزءا منها فأن مدى تأثرها بالحضارة المصرية يرتبط بمدى سهولة المواصلات او صعوبتها بينها وبين مراكز هذه الحضارة• واذا نظرنا الى حدود الامبراطورية المصرية فى الشرق الاوسط نجد انها تتصل اتصالا مباشرا ببلاد الميتانيين فى ارض الجزيرة وببلاد بابل عن طريق وادى الفرات وبادية السماوة • بينما تقف بلاد كل منهما حاجزا يحول دون الاتصال المباشر بين الاراضى المصرية وبين الاراضى الاشورية • كما تقف جبال طوروس حاجزا اخر بين المصريين وبين الحيثيين • وربما ليس عن طريق الصدفة وحدها أن نجد مصر فى عهد أمينحتب الثالث تتصل بصلات المصاهرة مع البابليين وكذلك مع الميتانيين (٤٣) • ولقد قوت هذه المصاهرة بلا شك من الصلات التى هيأت الطبيعة مسالكها • حتى اننا نجد الميتانيين يقيمون أنفسهم حراسا على أملاك مصر فى آسيا • كما نجد ملك بابل ينادى فرعون مصر بلفظ الاخوة ، ولا يتحرج من الاكثار عليه فى طلب الذهب ، كما يبدى استعداده لان يرسل اليه كل ما يطلب من منتجات سهل بابل • ومن وقت

(٤١) راجع ول ديورانت،قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٧٩ــ٨١ • ثم قارن •
Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. p. 34. See also Smith S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 225-8 and 234. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 50.

(٤٢) Macalister, R.A.S.; Survey of Early Mediterranian Cultures ... ibid. p. 593.

(٤٣) See, H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. p. 665.

لاخر ، كان يرسل اليه بعض الهدايا من الفيروز ومن الخيل المطهمة وعرباتها الفاخرة (٤٤) • وقبل ان تحدث هذه المصاهرة كان تحتمس الثالث يرسل بعثات علمية الى ارض ما بين النهرين لدراسة ما فيها من نباتات ومن حيوانات وطيور غريبة • ولقد سجلت بعض هذه البعثات أعمالها فى لوحة تزين جدران حجرة فى معبد الكرنك • وجلبت بعثة اخرى معها نوعا عجيبا من الدجاج يبيض فى كل يوم بيضة (٤٥) • وعدا ذلك ، هناك كثير من الدلائل التى تدل على عظم الاتصالات التى قامت في عهد الامبراطورية المصرية بين مصر وبين سهل العراق • ومن ابرز ما يلاحظ عن ذلك ، انه حدث تغير كبير فى البلاط البابلى حتى أضحى تقليدا كاملا لمظاهر البلاط المصرى (٤٦) • ويستدل أيضا على قوة هذه الاتصالات من وجود نماذج لآداب البابليين وعلومهم فى خزائن كتب ملوك مصر ، ومن تقليد الفنانين البابليين للنقوش المصرية وزخارفها (٤٧) •

ولقد قامت أيضا صلات بين أشور وبين مصر • الا ان أساس بعضها يكتنفه الغموض من الناحية التاريخية • فمثلا عثر فى معبد حتشبسوت فى الدير البحرى على نص يشير الى أشورى كان يصنع الفيروز • مع أن المعروف أن صلات مصر بالشرق الاوسط لم تتوطد الا فى عهد تحتمس الثالث • ويذكر سميث أنه كان فى مصر أشورى آخر يشتغل فى وضع قاموس للكلمات المصرية • كما يذكر ايضا أن البلاط الاشورى كان ، كالبلاط

(٤٤) See Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 46-7.

(٤٥) Griffith, F.L.; The Egyptian Empire ... ibid. p. 683. and cf. Peet, T.E.; Early Egyptian Life and Culture, in H's U.H.W., 5, p. 486.

(٤٦) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 225.

(٤٧) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 50. and Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 226.

البابلى ، يقلد مظاهر البلاط المصرى ويرسل اليه بعض الهدايا الثمينة (٤٨) •

ولقد كان من مصلحة آشور ان تعمل على تقوية اتصالاتها مع مصر • وذلك لكى تدرأ عن نفسها طغيان البابليين من جهة وطغيان الشعوب الآرية كالميتانيين وغيرهم من جهة اخرى • ومع ذلك فأنه يبدو أن هذه الاتصالات كانت مقيدة • وذلك بسبب موقع آشور المحاصر من جهة ، وبسبب طغيان بابل المتكرر عليها من جهة أخرى • فأن البابليين الذين انتعشت قوتهم فى ذلك الوقت ، وربما كانوا يعتمدون أيضا على صلاتهم بالمصريين ، قد اتجهوا نحو فك الحصار الذى يضربه الاشوريون والميتانيون على مسالك مواصلات تجارتهم فى الحوض الاوسط لنهر دجلة وفي القسم الشمالى من ارض الجزيرة نحو القسم الشمالى لسوريا ، ونحو داخل هضبة الاناضول حيث كانت تربطهم صلات قوية ايضا بملك الحيثيين (٤٩) • ولقد استطاعوا ان يخضعوا الآشوريين لنفوذهم (٥٠) • أما الميتانيون ، فأن الصلات الوثيقة التى تربط بينهم وبين المصريين قد صانتهم من امتداد النفوذ البابلى اليهم • والذى يلاحظ مما تقدم ، هو ان الاراضى التى تجتازها خطوط مواصلات سهل العراق فى الحوض الاوسط لنهر دجلة وفى القسم الشمالى من أرض الجزيرة نحو القسم الشمالى من سوريا ونحو داخل هضبة الاناضول لم تفقد أهميتها فى نظر البابليين • وانهم كانوا يقومون بمحاولات وضعها تحت نفوذهم كلما تهيأت لهم الفرصة •

هذا العصر الذهبى او الفضى لسهل بابل لم يعمر طويلا • فقد أوشك على الانتهاء عندما اوشكت شمس مصر فى الشرق الاوسط على الافول • وذلك فى اواخر عهد أمينحتب الثالث وفى عهد خلفه امينحتب الرابع

(٤٨) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 226. and Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 30-1.

(٤٩) See, Thomson, R.C.; The Kassite Conquest ... ibid. p. 561.

(٥٠) See, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 243.

(اخناتون) • ولقد كانت هذه هى الفرصة التى انتظرها الاشوريون طويلا ، كما كان ينتظرها الحيثيون (٥١) • ويمكن القول بدرجة كبيرة من الصواب، بأن تلاشى نفوذ مصر من الشرق الاوسط كان وبالا على الميتانيين كما كان وبالا على البابليين • فقد اصبحت ميتانى في وضع لا تحسد عليه بين قوة آشور من جهة وبين قوة الحيثيين من جهة اخرى • ولقد اتفقت القوتان فيما بينهما على أقتسام اراضيها • ولقد كان سهل بابل كذلك فى وضع لا يحسد عليه • فقد كان عليه ان يصارع القطر البحرى من جهة وان يصارع آشور من جهة أخرى حتى يجد لنفسه منفذا • فأن كلا منهما كان يقف من جهة حائلا فى وجه اتصالاته نحو الخليج العربى او نحو البحر المتوسط • ولهذا فانها لم تلبث أن دخلت فى دور جديد من الضعف والتقهقر وخضعت فيه لآشور بعض الوقت • والذى يلاحظ مما تقدم هو ان الحضارة العظيمة التى قامت فى سهل العراق ، لا يقوم أساسها فقط على مقومات هذا السهل المتعلقة بثرواته الطبيعية ونواحى الانتاج فيه ، وانما يقوم فى جانب كبير منه على مميزات موقعه الجغرافى بين جهات الشرق الاوسط وكممر لسير الاتصالات بين شرق العالم القديم وبين غربه • ويلاحظ أنه حين تتوفر أسباب الاستفادة من مميزات هذا الموقع فأن الحضارة البابلية تقوى وتنتشر • أما حين لا تتوفر ، ويقتصر قيام هذه الحضارة على مقومات السهل فقط ، فأنها لا تلبث ان تضمحل وتتولد نحو هذا السهل أطماع بعض الشعوب التى تكتنفه •

على ان هذا الدور لم يكن النهاية لتاريخ دولة الكاشيين فى بابل ، وانما كان بدءا لها • فقد كانت تتوالد في الشرق الاوسط احداث اخرى كان لها أثرها فى مجرى الحوادث التاريخية فى كل من بابل وآشور قبل أن تستقر الامور فى النهاية للدولة الاخيرة •

(٥١) See, Garstang, J.; The Empire of the Hettites ... ibid. p. 731.

٦ – الآشوريون

الامبراطورية الآشورية من ٩١١ – ٦١٢ ق٠م

يكتنف الغموض القسم الاول من تاريخ الاشوريين • ومن المتفق عليه بين جمهور العلماء أنهم ساميون ، وانهم كانوا يعتبرون سرجون الاكادى اول بطل قومى لهم [١] • وقد اقاموا لهم دويلة صغيرة فى الحوض الاوسط لنهر دجلة ، تمتد شرقا ، فيما بين مصب الزاب الصغير وبين منطقة الموصل ، الى منطقة السفوح الجبلية فى شرق سهل اربيل [٢] • وكان عاصمتهم الاولى مدينة أشور ، واستمرت فترة طويلة • وهى تقع فى منطقة بلدة شرقاط الحالية على الضفة الغربية لنهر دجلة فى موقع استراتيجى هام • يحميها من جهة الشرق نهر دجلة ، ويحميها من جهة الغرب حافات خانوقة ومكحول • كما أن عندها تلتقى عدة طرق للمواصلات [٣] • ثم انتقل منها مركز الحكم خلال فترة تكتنفها الغموض الى مدينة كالح ، فى موضع نمرود الحالية ، وهى تقع على الجانب الشرقي لنهر دجلة وشمال مصب الزاب الكبير فيه بقليل • واخيرا استقر مركز الحكم فى نينوى على الضفة الشرقية ايضا لهذا النهر وفى مقابل مدينة الموصل الحالية • الا انه فى خلال فترة قصيرة بنى سرجون الثانى الاشورى مدينة دور شروكين بالقرب من خرصباد الحالية ، وهى تقع على مسافة قصيرة شمال نينوى ، واتخذها عاصمة له ، ولكن خلفاءه هجروها

---

(١) See, H's. U.H.W., 4, Chronicle 1, ibid. p. 431.

(٢) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; The Way of the Sea ... ibid. p. 129.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 1-3 and map in p. 2. and cf. Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 239.

(٣) راجع فى الجزء الاول موضوع « أرض الجزيرة » وراجع أيضا :
Turner, R.; The Great Cultural Traditions, vol. 1, New York, 1941, p. 239.

وأعادوا نينوى مركز الحكم الاشورى [٤] • ومما تجد ملاحظته ان الاشوريين كانوا يختارون عواصمهم فى المواقع التى تتحكم فى طرق المواصلات ، وانه كان يوجد لديهم ميل عام فى الانتقال بها نحو الشمال • فقد كانت العاصمة الجديدة تقع الى الشمال من العاصمة القديمة ، حتى استقر الامر عند نينوى التى لا يضاهيها فى أهمية موقعها الجغرافى موقع أى عاصمة أشورية أخرى قامت قبلها • وكما يستدل على ذلك من أهمية خليفتها مدينة الموصل بالنسبة لغيرها من المدن التى تقع فى الحوض الاوسط لنهر دجلة [٥] •

والموقع الجغرافى لارض أشور هو من أهم ما تنبغى ملاحظته لتفهم الدور الخطير الذى لعبه الاشوريون على مسرح التاريخ فى الشرق الاوسط • فانها تقع من جهة بين الجبل وبين السهل ، أى بين مناطق الصخور والاخشاب والمعادن وبين مناطق الانتاج الزراعى • وهذا جعلها سوقا طبيعيا لتبادل المنتجات بين الاقليمين اللذين يتميز كل منهما عن الاخر بثرواته ، كما جعلها بؤرة تلتقى فيها عناصر حضارة كل منهما • وهى تقع من جهة اخرى بين بعض أجزاء اليابس فى الشرق الاوسط وبين ذراع من الماء ، هو نهر دجلة ، ممتد فيه • كما تتجه اليها انهار اخرى ووديان من جانب كردستان ومن جانب أرض الجزيرة • وفضلا عن ذلك فانها تقف مصدا يحول دون سير الاتصالات بين سهل العراق وهضبة ايران من جهة وبين عالم القسم الشمالى الشرقى لحوض البحر المتوسط من جهة أخرى • وبعبارة أخرى أن من يتحكم فى أرض

---

(٤) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج ٢ ٠٠ المرجع السابق ص ٢٦٥ • وراجع أيضا :
Thomson, R.C.; The Life of Imperial Nineveh and Babylon, in H's. U.H.W., 9, p. 946.; also Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. p. 486. Ragozin, Z.A.; Chaldea ... ibid. pp. 3 et seq,; Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. p. 40. and Smith, S.; The foundation of the Assyrian Empire, in the C.A.H., vol. 3, p. 60.

(٥) راجع فى الجزء الاول موضوع «اقليم الجبال والمقدمات الجبلية»

أشور يستطيع أن يتحكم فى تجارة سهل بابل وفي تجارة هضبـــة ايران الصاعدة والنازلة فى مسالك الحوض الاوسط لنهر دجلة وفى الروافد المغذية لها فى اقليم كردستان وفى ارض الجزيرة • وبصورة عامة يستطيع أن يتحكم فى تجارة معبر الشرق الاوسط المارة بين القسم الشرقى منه وبين القســـم الغربى خلال مسالك القسم الشمالى من أرض الجزيرة • وفضلا عن ذلك فأن ارض آشور نفسها تتضمن ثروات زراعية وحيوانية ، كما تتضمن الاخشاب والصخور وربما تتضمن ايضا بعض المعادن (٦) •

وهذه الاهميات الكبيرة لبلاد أشور قد عكست عليها فى النهاية ضوءا لامعا أثناء قيام الامبراطورية الاشورية • ولكن هذا الضوء ينبغى الا يصرف الباحث عن التفكير فيما اذا كان سكان سهل العراق قد أدركوا هذه الاهميات أم انهم لم يدركوها • ومن المتوقع ان يكون ملوك سومر وأكاد وكذلك ملوك بابل قد أدركوها تماما لوضوحها ولصلاتها الوثيقة بهم • وعلى الاخص لان الظروف الجغرافية الخاصة بسهل العراق ، سواء ما يتعلق منها بناحية الموقع أم ما يتعلق بناحية ثرواته الطبيعية وغير الطبيعية ، تفرض على سكانه أن يكونوا تجارا يقومون بأعما الوساطة التجارية بين بعض الشعوب التى تكتنفهم وبـين البعض الآخر • كما يقومون بالتجارة فى منتجاتهم الخاصة زراعية كانت أم صناعية ويستبدلون بها ما يحتاجون اليه من الصخور والاخشاب ومن المعادن والاحجار الكريمة ونحو ذلك من المواد التى يخلو منها سهل العراق • ومن المعروف أن الاقاليم المرتفعة التي تقع فى شمال سهل العراق وفى شماله الغربى تحتوى على هذه المواد او على معظمها • ومن المشاهد ان مسالك الاتصالات التى تصل بين سهل العراق وبين هذه الاقاليم تجتاز ارض أشور • حقيقة ،

(٦) See, Semple, E.C.; The Geography of the Mediterranian Region ... ibid. pp. 197-8. See also Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 239. Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 46, and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 181.

ان وادى الفرات يمكن أن يشترك بنصيب فى نقل بعض هذه المواد الى سهل العراق ، الا ان هذا لايقلل من اهمية هذه المسالك • وعلى الاخص فى هذه العصور القديمة السابقة على عصر استخدام الجمل فى النقل عبر الصحراء (٧) فمما لا شك فيه ان مسالك ارض اشور وامتدادها فى القسم الشمالى من أرض الجزيرة كانت أفضل من مسالك جانب نهر الفرات بالنسبة للتجار الـذين يحملون قوافلهم على ظهور الحمير والبغال والخيل او فى عربات تجرها هذه الحيوانات اوالثيران (٨) • ومما يلاحظ ، ان تجارة سهل العراق لم تكن مسألة ينبغى الاهتمام بها من ناحية الاقتصاد القومى فحسب ، بل انها كانت تهم ايضا وبصفة خاصة الطبقة الحاكمة من الملوك والنبلاء وكبار الموظفين ورجال الدين • فقد كانت لهم أراضى واسعة يتبقى من انتاجها لديهم فائض كبير ويهمهم استبداله بما تنتجه الشعوب الاخرى من منتجات يكملون بها نواحى الترف فى حياتهم • ويلاحظ كذلك ان المسالك التى تحمل خلالها هذه التجارة في الحـــوض الاوسط لنهر دجلة تتعرض لهجمات يقوم بها رعاة المناطق الجبلية من جهـة ورعاة المناطق الصحراوية من جهة اخرى • حقيقة ، كان فى امكان الملوك الاقوياء الذين حكموا فى سهل العراق أن يرسلوا بين آن وبين اخر حملات تضرب على ايدى تلك القبائل البدوية ، الا انه لايبدو ممكنا أن تؤدى مثـل هذه الحملات الى اخضاعهم وفرض الامن والنظام فى مناطقهم • ذلك لان هذه القبائل ، وكما يقول النص المصرى القديم ، فى حركة مستمرة (٩) • وهذا مشاهد اييضا فى الوقت الحاضر • ويبدو ان الطريقة الفعالة لصيانة هذه المسالك

(٧) يرى بعض الباحثين أن بدء استخدام الجمل عبر الصحراء قـد حدث فى أوائل الالف الاول قبل الميلاد • راجع :
Grant, C.D.; The Syrian Desert ... ibid. p. 52. and Fedden, E.; Syria ... ibid. pp. 105-6.

(٨) Cf. Semple, E.C.; The Geography of Mediterranian Region .. ibid. pp. 189 et seq.

(٩) راجع فيما سبق موضوع « العموريون » •

هى أن توضع قوات عسكرية دائمة فى حصون تقام فى المواقع المناسبة منها (١٠) • وقد حدث فى العصور الوسطى او الحديثة ان أقام الاتراك السلجوقيون او الاتراك العثمانيون مثل هذه الحاميات على طريق كركوك (١١) •

واذا اعتبرنا من جهة اهميات ارض اشور وعلاقاتها المكانية بسهل العراق ، وهى الاهميات التى سبقت الاشارة اليها ، واعتبرنا من جهة اخرى الغموض الذى يكتنف القسم الاول من تاريخ الاشوريين ، فأنه يمكن القول بأن أصل الاشوريين يحتمل عدة احتمالات • فمن المحتمل أن كانوا فى الاصل جماعات ، منهم رجال من الشرطة ومنهم موظفون مدنيون أقامهم الاكاديون فى بعض الاماكن ذات الاهميات الخاصة لتنظيم سير التجارة وصيانة مسالكها خلال الحوض الاوسط لنهر دجلة نحو الاسواق التجارية الجديدة التى فتحها سرجون فى عالم القسم الشرقى من البحر المتوسط (١٢) • ومن المحتمل ان كانوا قوات عسكرية عسكرت ، بعض الوقت فى خيام (١٣) ، عند بعض المواقع ذات الاهمية الاستراتيجية • لانه كان من الصعب على سكان سهل العراق أن يكونوا لانفسهم امبراطورية وان يحتفظوا بها واسعة الارجاء ممتدة نحو الغرب الى سواحل البحر المتوسط وتجتاز مسالك اتصالاتها اراضى ضعيفة الانتاج ، الا اذا كانوا قد أقاموا لهم فى بعض مناطقها قواعد عسكرية تقوم

(١٠) See, Newbigin, M.I.; The Mediterranian Lands, London, 1925, pp. 85-6,; Myres, J.L.; The Rise of Ordered Civilization ... ibid. p. 457. also Myres, J.L.; The Dawn of History ... ibid. pp. 127-8; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 104 et seq. and King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. p. 167.

(١١) راجع فى الجزء الاول موضوع «اقليم الجبال والمقدمات الجبلية»

(١٢) راجع فيما سبق موضوع « الاكاديون » •

(١٣) يتخذ بعض الكتاب ما ورد فى النصوص الاشورية من أن الاشوريين كانوا يسكنون فى بادىء الامر فى خيام دليلا على أنهم كانوا جماعة من البدو • مع أنهم لو كانوا بدوا سكان خيام لكانوا فى حركة تنقل مستمرة •

بحفظ الامن فيها وبأخماد الثورات المحلية التى تحدث ، كما تقوم بتموين القوات المحاربة بما يلزمها من المؤن والمعدات • ومن المحتمل أيضا أن كانوا سكان مستعمرة تجارية (١٤) ، فمن الملاحظ انه كانت توجد صلات قوية بينهم وبين تجار كبادوكيا قبل عهد حمورابى (١٥) •

وفى مقابل ما تقدم من احتمالات حول نشأة الاشوريين ، فأنه يصعب القول بأنهم كانوا مجرد هجرة سامية لجماعات متحضرة من جهات اخرى غير سهل العراق • ذلك لان المناطق التى تكتنف مدينة آشور ، وهى العاصمة الاولى لهم ، صحراء او شبه صحراء ولا تكفى كمية المطر الساقطة هناك لسد مطالب الزراعة (١٦) • كما انه تصعب الاستفادة من مياه نهر دجلة فى الرى بسبب عمق المجرى وما يحيط به من اجراف صخرية (١٧) • وفضلا عن ذلك يلاحظ أن ارض اشور تكتنفها من جهة الشرق ومن جهة الشمال مناطق جبلية تسكنها شعوب غير سامية وهي على جانب كبير من الهمجية • ويتفق نزول هذه الشعوب ومعهم حيواناتهم من المراعى الجبلية الى مناطق الهضاب

(١٤) See, Landone, B. (Editor in chief); Prehistoric Man and the Ancient East, vol. 1 ... ibid. p. 174. and Turner, R.; The Great Cultural Traditions ... ibid. p. 239.

(١٥) See, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 240-1.; Langdon, S.H. The Sumarian Revival ... ibid. pp. 454-5.; Cook, S.A.; The Semites ... ibid. p. 230. and Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. pp. 467 and 470.

(١٦) يطلق اسم صحراء قرەشوق على السهول الواقعة وراء الضفة اليسرى لنهر دجلة فى مقابل موقع آشور • راجع أيضا :
Hay, W.R.; Two Years in Kurdistan ... ibid. p. 26.

(١٧) راجع الفريق طه الهاشمى ، مفصل جغرافية العراق ... المرجع السابق ص ١٢٧ و١٢٩ وراجع أيضا :
Semple, E.C.; The Geography of the Mediterranian Region ... ibid. p. 198.

المموجة والسهول فى ارض اشور مع الوقت الذى تكون فيه بعض اجزاء هذه المناطق مزروعة بالغلات الشتوية على المطر مما يعرض بعض هذه الغـــلات للتلف •

ويستنتج مما تقدم ان المنطقة الاولى التى ظهر فيها الاشوريون فقيرة من ناحية الانتاج الزراعى ، وان بعض ما يزرع فيها من غلات يتعرض للتلف من رعـــاة الجبـــال ومن حيواناتهم • وبعبـــارة اخرى انهـــا منطقـــة مقلقلة ، ولا تصلح لقيـام حضارة راقية • واذا اعتبرنا من جهـــة هـــذه الخصائص المميزة لها واعتبرنا من جهـــة اخـــرى أهميتهـــا الخـــاصة من الناحية الاستراتيجية ، فانه يمكن القول بأنها منطقة لا تصلح لان تقوم فيها دولة بذاتها بقدر ما تصلح أن تكون جزءا من دولة غنية تقوم فى سهل العراق مثلا تزودها ببعض ما تحتاج اليه من المواد الغذائية وتشرف منها على خطوط مواصلات تجارتها وتحافظ عليها • وفى الواقع ، لايبدو أنه من طريق الصدفة وحدها ان نجد التاريخ اللامع للامبراطورية الاشورية مماثلا لتاريخ قـــوة عسكرية فى ميدان (١٨) بقيت ظافرة بعض الوقت ولكنها عندما هزمت خلا منها الميدان نهائيا • ومثل هذه الظاهرة لم تحدث لبابل ، ولم تحدث لمصر ولا لغيرهما من الدول التى تقوم الحياة فيها على أسس ثابتة (١٩) • وممـــا يعزز القول بأن الاشوريين يرجعون فى اصلهم الى سكان سهل العراق ، ان معظم

---

(١٨) عن دقة التنظيمات العسكرية عند الاشوريين راجـــع :
Thomson, R.C.; The Life of Imperial Nineveh and Babylon ... ibid. pp. 959-63.

(١٩) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة، جـ٢ ٠٠ المرجع السابق ص ٢٢٩ • وراجع أيضـــا :
Ragozin, Z.A.; Chaldes ... ibid. pp. 3 et seq.

آثارهم الحضارية فى أدوارهم الاولى تشير الى انها مأخوذة من هذا السهل (٢٠) •

ولقد عادت مزايا ارض اشور على الاشوريين انفسهم بفائدة كبيرة • ويلمس ذلك فى بعض نواحى حضارتهم • فمثلا بينما تدل آثارهم العمرانية على انهم قد تأثروا كثيرا بمؤثرات الحضارات العريقة التى قامت في سـهل العراق ، نجدهم من جهة اخرى قد سبقوا أصحاب هذه الحضارات فى الاستفادة من حضارة الحصان التى ادخلتها اولا الى هضاب الشرق الاوســط بعض الشعوب الآرية • كما سبقوهم أيضا فى الاستفادة من حضارة الحديد التى جاء بها الحيثيون او غيرهم من الشعوب فى هضبة الاناضول (٢١) •

---

(٢٠) عن الصلات بين الحضارة التى قامت فى آشور وبين التـــى قامت فى سهل العراق ، راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ٠٠٠ المرجع السابق ص ٢٦٥ ـ ٦ وراجع أيضا :
Barton, C.A.; Semitic and Hamitic Origins ... ibid. pp. 76-80, Brestead J.W.; Ancient Times ... ibid. p. 180.; Woolley, Sir C.L.; The Sumarians ... ibid. p. 47.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 60-70, 150, 105-6 and 316.; Delaporte, L. Mesopotamia ... ibid. pp. 239-42.; Myres, J.L.; The Dawn of History ... ibid. p. 128.; Macalister, R.E.S.; Exploration and Excavation, in the C.A.H., vol. 1, p, 126,; King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. pp. 19-20.; Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon ... ibid. p. 490.; also Thomson, R.C.; The Life of Imperial Nineveh and Babylon ... ibid. p. 945. and Hall, H.R; The Contemporary Art of Egypt and the Near East ... ibid. p. 429.

(٢١) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة، جـ٢ ٠٠ المرجع السابق ص ٢٧٣ و٣٠٢ وراجع أيضا :
Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. pp. 19-20 anl 43, also Smith, S.; Early History of Assyrian ... ibid. p. 214.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 47-8 and 65.; Childe, V.G.; The Growth of Culture of Barbarian Europe ... ibid. p. 922.; Sayce, A.H.; The Kingdom of Van (Urartu) in the C.A.H., vol. 3, pp. 185-6. and Brestead, J.H.;Ancient Times ... ibid. pp. 181, 190-1, 203 and 245.

ولقد أدت اتصالات الاشوريين بالحضارات العمرانية التى قامت فى سهل العراق من جهة وبالحضارات التى قامت على الفروسية وعلى استخدام الحديد فى الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط من جهة اخرى ، الى ظهور حضارة أشورية متميزة . يراها بعض الباحثين أقوى فى بعض النواحى من الحضارة البابلية . ولعل ابرز النواحي الحضارية التى فاقت فيها الحضارة الاشورية غيرها من الحضارات التى قامت فى الشرق الاوسط كانت الناحية الحربية(٢٢).

ومما يلاحظ أن قوة آشور استمرت مدة طويلة تبرز فى خلال فترات قصيرة ثم لا تلبث أن تنكمش . ويرجع ذلك على ما يبدو الى ظروف موقعها بين قوات يشتد حصارها عليها احيانا ويضعف اخرى (٢٣) . كما يلاحظ أن فترات بروزها وفترات انكماشها كانت بدرجة كبيرة ، تتعاكس مع الفترات التى كان فيها النفوذ المصرى فى الشرق الاوسط يبرز ومع الفترات التى كان فيها ينكمش . فمثلا فى خلال الفترة من عهد الهكسوس التى كان فيها النفوذ المصرى مسيطرا على مواردالثروة فى سورياوعلى مسالكالتجارة نحوكبادوكيا ونحو كيليكية ، كان الاشوريون يكابدون ضيقا شديدا (٢٤) . ولم تكد تضعف القبضة المصرية على هذه الجهات بسبب الاضطرابات التى حدثت فى مصر فى اواخر عهد الهكسوس حتى نمت قوة الاشوريين . ولكنها لم تلبث أن انكمشت ثانية عندما عاد النفوذ المصرى الى الشرق الاوسط فى عهد

---

(٢٢) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٢٧٣ ـ ٤ . وراجع أيضا :
Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 47.; H's. U.H.W,, 8, Chronicle III, Daylight: 900-500 B.C. p. 876. and Smith, S.; The Age of Ashurbanipal ... ibid. pp. 90-100. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 198-9.

(٢٣) See, Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 188-9.

(٢٤) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 49.

تحتمس الثالث (٢٥) . ثم عاد اليها بعض الانتعاش على يد ملكها آشور ـ بل ـ نيششو . وكان ذلك عقب وفاة ذلك الفرعون ، وخلال الفترة القصيرة التى تلت ذلك وضعفت أثنائها قبضة المصريين على سوريا . ولقد انكمشت آشور بعد ذلك ودخلت فى دور من الركود عندما عاد النفوذ المصرى الى الشرق الاوسط وذلك فى عهد امينحتب الثانى (١٤٤٧ ـ ١٤٢٠ ق.م) ، وفى عهد تحتمس الرابع (١٤٢٠ ـ ١٤١١ ق.م) . أما فى عهد امينحتب الثالث (١٤١١ ـ ١٣٧٥ م) فان آشور قد انهارت واقتطعت منها بعض اجزائها .

خلف أمينحتب الثانى على عرش مصر أباه تحتمس الثالث . وقد أبدى مثله مهارة فى الناحية الحربية وفى الناحية السياسية (٢٦) . وفى أثناء عهده وبتأثيره اقامت دولة ميتانى فى القسم الشمالى من ارض الجزيرة وفى القسم الغربي منها (٢٧) . ويبدو ان مثل ذلك قد حدث أيضا بالنسبة لدولة نهارين التى قامت فى القسم الشمالى من سوريا (٢٨) . ولقد كان لقيام هاتين الدولتين فى القسم الشمالى من نطاق الهلال الخصيب تأثيرا على الاوضاع السياسية والاقتصادية التى كانت قائمة لبعض دول الشرق الاوسط . فمن جهة ادى قيام هاتين الدولتين الى ايجاد مصد ضخم بين آشور وبين المنافذ الطبيعية لاتصالاتها نحو داخل هضبة الاناضول ونحو السواحل الشرقيةللبحر المتوسط . ولهذا كانت آشور فى ذلك الوقت محاصرة ولا تحسد علىالاوضاع السياسية والاقتصادية القائمة فيها . وينطبق ذلك لحد ما بالنسبة لبابل من ناحية

---

(٢٥) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 219-20 and 230-1. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 49.

(٢٦) See, H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. pp. 363-4.

(٢٧) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 50.

(٢٨) ترى سمبل أن نهارين معناها بلاد الانهار وأنها كانت تتضمن أحواض الانهار الصغيرة التى كانت تنبع من مقدمات طوروس وتتجه نحو القسم الشمالى من الصحراء السورية . وراجع :
Semple, E.C.; The Geography of the Mediterranian Region ... ibid. p. 184.

اتصالاتها مع هذه الجهات • الا انها تمتاز عن آشور بأن لها مسالك أخرى حرة لاتصالاتها ، وهى التى تقوم فى مجرى الفرات وعلى جانبيه • ومما تجدر ملاحظته أن هذه المسالك البابلية تقع نهاياتها فى الاراضى السورية التى كانت خاضعة للنفوذ المصرى • ولم يقم بسبب ذلك صراع بين البابليين وبين المصريين وقد كان محتملا ، وانما قامت صلات قوية من الصداقة والمودة • هذا ، ومن جهة اخرى يلاحظ ان قيام هاتين الدولتين قد أفاد المصالح المصرية كثيرا • لانه اوجد مصدا بين الاملاك المصرية فى سوريا وبين طغيان الحيثيين من هضبة الاناضول • كما انه أفاد بصورة عامة النشاط التجارى فى الشرق الاوسط • لانه أوجد حكومات منظمة فى جهات كانت مسرحا للبدو من رعاة السهول ومن رعاة الجبال • وفي الواقع أن هذا بجانب سيطرة النفوذ المصرى وبجانب انكماش الحيثيين بعد الضربات القوية التى كالها لهم تحتمس الثالث ، جعل الدول القائمة فى سهول الشرق الاوسط تعيش بصفة عامة فى حالة استقرار وتنمو نموا داخليا مضطردا • الا أن عاملا غير جغرافى قد تدخل فى عهد أمنحتب الثالث وأحدث بعض التغير فى هذه الاوضاع القائمة • فأن هـــذا الملك المصرى لأسباب سياسية واقتصادية على ما يبدو قد تزوج أميرة بابلية كما تزوج اخرى ميتانية (٢٩) • وبهذا اصبح للشعبين البابلى والميتانى حظوة لدى الشعب المصرى • كما زادت الروابط التى تربط بين مصالحهم فى الشرق الاوسط قوة ، بينما ادى ذلك الى زيادة عزلة آشور والى سرعة تدهورها • فأن البابليين من جهة والميتانيين من جهة اخرى قد استغلوا هـــذه الظروف الجديدة واقتطع كل منهم لنفسه جزءا من اراضيها (٣٠) • ولقد بدت بابل

---

(٢٩) Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 23 and 238. and H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. pp. 664-5.

(٣٠) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 50. and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 47 and 243. See also Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 235. and H's. U.H.W., 6, Chronicle II, ... ibid. p. 666.

بين الشعوب والدول التى تكتنفها قوة يخشى بأسها • فعلا ، وهى العدو الذى يثب عليها فى أوقات ضعفها ، كانت تقف بجوارها ساكنة • وكذلك كان يقف شعب القطر البحرى ، وهو عدو آخر متحفز (٣١) • والذى يلاحظ مماتقدم هو أن بابل تزداد قوة حين تقوم فى ارض الجزيرة وفى سوريا دول صديقة لها • وبعبارة اخرى حين تكون الامور مستقرة فى القسم الغربى من الشرق الاوسط ، وعلى الاخص فى جهاته التى تجتازها خطوط مواصلات تجاراتها والتى توجد فيها أسواق لتجاراتها ومصادر لما تحتاج اليه من مواد خام • على أن هذه الاحوال المناسبة لم تعمر طويلا ، فان فى افق الشرق الاوسط كانت تبدو من بعض اتجاهاته بادرات تنذر بحدوث تغيرات فى الخريطة السياسية لبعض جهاته •

وفى عهد أمنحتب الثالث كانت مصر تعيش فى عصر ذهبى • ثم خلفه امنحتب الرابع (اخناتون) ١٣٧٥ – ١٣٥٨ ق م • وقد اعتنق هذا الملك دينا جديدا وانشغل به عن ملاحظة بعض أخطار كانت تهدد الامبراطورية المصرية فى الشرق الاوسط • وعلى الاخص خطر الحيثيين (٣٢) الذين كانت جحافلهم تتقدم ثانية من مداخل هضبة الاناضول خلال ممرات طوروس • ولم يكن هذا التقدم خطرا يهدد مصالح المصريين وحدهم فى سهول الشرق الاوسط فحسب وانما كان يهدد أيضا مصالح الدول الاخرى فيه • ولهذا تعالى صراخ دوشراتا ملك ميتانى وبورا – بورياش ملك بابل لتنبيه اخناتون الى الاخطار المحدقة بمصالحه وبمصالحهم ، ولكنه لم يبد اهتماما (٣٣) • أما آشور التى لم تكن مصالحها

---

(٣١) See, H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. p. 665.

(٣٢) See, Garstang, J.; The Empire of the Hettites ... ibid. pp. 731-3. and H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. p, 666,

(٣٣) وقارن ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج ٢ ... المرجع السابق ص ١٩٤ – ٥ والحاشية •
See, H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. pp. 666-7. and cf. Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 46-7.

تتفق كثيرا مع مصالح هذه الدول فقد استغلت هذا الخطر الحيثى لمصلحتها.

وفى الواقع، أنه صاحب تقدم الحيثين الى سهول الشرق لاوسط نمو واضح فى قوة آشور • وهذا النمو كان أساسه قائما من قبل • بسبب موقعها على طريق الاتصالات بين بابل وبين ميتانى ، وبسبب امكان حدوث اتصالات أخرى بينها وبين بعض الجهات فى الهضاب الشمالية•فمن الممكن أن يتصل الاشوريون خلال مسالك كردستان بالحوريين الذين كانوا يسيطرون عليها وعلى الاجزاء المجاورة لها من هضبة أرمينيا ومن القسم الشرقى من هضبة الاناضول • وربما اتصلوا عن طريق الحوريين بالحثيين أيضا • أو أنهم اتصلوا بهم خلال أرض ميتانى ، عن طريق الحزب الذى كان مواليا للحيثيين فى هذه الدولة • وفى خلال هذه الاتصالات ازدادت قوتهم نموا ، وعلى الاخص لما يلاحظ من أن هذه الهضاب كانت فى ذلك الوقت تتضمن بعض أسباب التفوق فى القوة الحربية كالخيل والحديد •

ومما يقوى من احتمال حدوث هذه الاتصالات بين الاشوريين وبين الحيثيين ، ما يلاحظ من أن مصالح كل منهما كانت تتعارض بدرجة كبيرة مع مصالح المصريين وحلفائهم• وكذلك لان التقدم الحيثى الى سهول الشرق الاوسط كان قائما على أساس خطة مدبرة • فانهم قد دسوا للمصريين فى سوريا ، كما دسوا فى دولة ميتانى وشجعوا على حدوث فتن وانقسامات فيها • وفى الوقت نفسه ، لوحظ أنهم قد صالحوا الحوريين ، وهم أعداء قدماء لهم ، وعقدوا معهم تحالفا • وكان ذلك قبل أن يجتازوا ممرات طوروس لغزو سهول الشرق الاوسط(٣٤) • ومن المعروف أيضا أن

(٣٤) See, Hall, H.R.; Egypt in the Brilliance of Decay, in H's. U.H.W.,9, p. 1013.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid, pp. 243 and 245 et seq.; H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. pp. 666-7.; Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 46 and 243. and Garstang, J.; The Empire of the Hittites ... ibid. pp. 715, 729 and 732.

الاشوريين كانوا يشجعون الانقسامات فى دولة الميتانيين لكى يستفيدوا منهـا(٣٥) •

ولقد استغل الآشوريون حالة الاضطراب التى نتجت عن تقدم الحيثيين الى سهول الشرق الاوسط • كما استغلوا حالة الانقسام فى دولة ميتانى ، اقتطعوا لانفسهم جزءا منها • كما اقتطع الحيثيون لانفسهم الجزء الباقى(٣٦)•وهكذا اتسعت رقعة أشور وتضمنت عبر نهر دجلة قسما من أرض الجزيرة • الا أنه يلاحظ أن أسواق هذه الدولة وكذلك منافذ اتصالاتها نحو ساحل البحر المتوسط ، لم تكن فى أيديها • وانما كان بعضها فى يد الحيثيين الذين كانوا يتقدمون نحو الجنوب من شمال سوريا • وكان البعض الآخر فى يد أمراء سوريين لا يزالون يحتفظون ببعض الولاء لملك مصر • ولهذا فمن المتوقع أن يقوم صراع بين الآشوريين وبين الحيثيين فى سبيل السيطرة على هذه الاسواق والمنافذ • أما بابل ، فيبدو أنها كانت فى حال لا تحسد عليه بعد أن خلا ميدان الشرق الاوسط من نفوذ أصدقائها فى أرض الجزيرة وفى سوريا ، وقد كانت تعتمد عليه فى صيانة خطوط مواصلات تجارتها وفى بقاء أسواقها مفتوحة• وكذلك بعد ان حل محل هذا النفوذ ، نفوذ دول اخرى غير صديقة • وبعبارة أخرى انه حول منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد كان ميدان الشرق الاوسط قد خلا تماما من قوة الميتانيين • كما ضعفت فيه قوة المصريين من جهة وقوة البابليين من جهة أخرى • بينما ظهرت فيه قوتان جديدتان وفتيتان ، احداهما قوة الحيثيين والاخرى قوة الاشوريين • الا انه بالرغم من اتفاق مأربيهما فى القضاء على تلك القوات القديمة ، فان احداهما ما كانت تستطيع أن تعيش مطمئنة

(٣٥) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 251-2.

(٣٦) See, Garstang, J.; The Empire of the Hittites ... ibid. pp. 729 and 733. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 51.

بجانب الاخرى • وذلك لسبب طبيعى ، وهو أن سهول أرض الجزيرة التى كانت تكون دولة الميتانيين لا تتضمن حواجز جغرافية تفصل بين منطقة نفوذ كل منهما فيها • وكذلك لان سهول الشرق الاوسط بصفة عامة تكون وحدة جغرافية تمتد بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط • وتقع أغنى أجزائها وأخصبها عند كل من هاتين النهايتين • وبينما يسيطر الحيثيون على احداهما وهى سوريا ، يقف الاشوريون مصدا بينهم وبين النهاية الاخرى الغنية وهى بابل • ولهذا يبدو متوقعا أن يحدث اصطدام بينهما • وان تسعى كل منهما لمحاصرة الاخرى بتقوية صلاتها مع مصر من جهة ومع بابل من جهة أخرى •

ولقد كان من مصلحة الاشوريين أن يقووا صلاتهم مع المصريين لكى تكون قوة الحيثيين بينهما محاصرة • ويبدو هذا من تودد آشور اوبالتى الى اخناتون ملك مصر ومن ارساله بعض الهدايا اليه (٣٧) • وكذلك كان من مصلحتهم أن يقيموا صلات ودية مع البابليين حتى لا يتحالفوا مع الحيثيين ضدهم • ولقد قامت هذه الصلات فعلا وتوجت بزواج ملك بابل من أميرة اشورية • ولكن الاشوريين لم يلبثوا ان تنكروا لهذه الصلات واستخدموها فى تنمية مصالحهم الخاصة فى بابل (٣٨) • وذلك عندما رأوا انشغال الحيثيين عن ميدان سهول الشرق الاوسط ببعض مشاكل قامت لهم فى داخل هضبة

---

(٣٧) See, Smith S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 245.; Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient Méditerranéen, 1 ... ibid. pp. 165-6. and Drioton, E. et Vandier, J.; Les Peuples de L'Orient Méditerranéen, II ... ibid. pp. 396-7 and 400.

(٣٨) See, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 47.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 263 and 265.; H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. p. 671. and Myers, J.L.; The Dawn of History ... ibid. p. 129.

الاناضول (٣٩) • على ان هذا التدخل الاشورى فى شئون بابل لم يلبث أن توقف عندما عاد الحيثيون ثانية • كما توقف أيضا نمو قوتهم بعض الوقت، حتى عاد ثانية فى عهد أداد - نرارى الاول (١٣٠٥ - ١٢٧٦ ق•م) اثناء انشغال الحيثيين فى حروب مع المصريين فى عهد رمسيس الثانى (١٣٠٠ - ١٢٢٥ ق•م) • فقد انتهز هذا الملك الاشورى الفرصة ومد حدود أشور نحو الغرب الى نهر الفرات (٤٠) • كما مدها نحو الجنوب على حساب بابل (٤١) • ومما تجدر ملاحظته أنه بينما كانت الجيوش الاشورية تتقدم نحو الشمال والغرب من جهة ونحو الجنوب من جهة اخرى ، لفك الحصار عن مسالك الاتصالات التى تمر بأراضيها بين البحر المتوسط وبين الخليج العربى ، كان المهندسون الاشوريون مشغولين فى بناء رصيف كبير على نهر دجلة أمام عاصمتهم آشور (٤٢) لتسهيل عمليات شحن السفن الصاعدة والنازلة وتفريغها وكذلك لتسهيل عمليات التجارة المتعلقة بالقوافل • الا انهم بلا شك قد اصيبوا أثناء هذا النشاط بخيبة أمل كبيرة عندما توقف النزاع بين الحيثيين وبين المصريين (٤٣) • وقام الاولون فى وجههم فى القسم الشمالى من سوريا وقام

---

(٣٩) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 254. and Garstang, J.; The Empire of Hittites ... ibid. pp. 734-8.

(٤٠) See, Garstang, J.; The Empire of the Hittites ... ibid. p. 737. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 250.

(٤١) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 51. and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 47-8 and 245. and Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 270-3.

(٤٢) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 51.

(٤٣) انتهى هذا النزاع حول سنة ١٢٨٠ ق•م وفى هذه السنة وقع الطرفان المعاهدة المشهورة التى اعطت الحيثيين القسم الشمالى من سوريا واعطت المصريين القسم الجنوبى منها ، راجع
Garstang, J.; The Empire of the Hittites ... ibid. p. 733.

الاخرون ايضا فى القسم الجنوبى منها .

ولقد كان توسع الاشوريين على حساب الحيثيين من جهة وعلى حساب البابليين من جهة اخرى أثناء الحروب الحيثية ـ المصرية عاملا فى ربط البابليين بالحيثيين بروابط قوية (٤٤) . كما كان لاستقرار الحالة فى سهول الشرق الاوسط بعد توقيع المعاهدة المصرية ـ الحيثية أثر فى تجديد الاتصالات بين البابليين وبين المصريين من جهة وبينهم وبين الحيثيين من جهة اخرى . ويستدل من بعض النصوص البابلية المعاصرة على أن قوافل التجارة البابلية كانت تتاجر مع ارض عمورو ومع موانى ساحل فينيقية . كما يستدل من هذه النصوص أن شهرة بابل فى الآداب والعلوم كانت مدوية ، وانه كان يوجد فى البلاط الحيثى بعض الكتاب البابليين كما كان أيضا فيه بعض الاطباء والمنجمين (٤٥) . ومما تقدم يلاحظ ، كما لوحظ من قبل ، ان بابل تزداد قوة ونفوذا حين تكون الاوضاع السياسية مستقرة فى الشرق الاوسط ، وعلى الاخص حين تكون منافذ تجارتها نحو سوريا وسواحل البحر المتوسط فى أيدى دول صديقة لها .
أما آشور ، فأنها فى ذلك الوقت بعد أن وجدت نفسها محاصرة بين البابليين من جهة وبين الحيثيين والمصريين من جهة اخرى ، اضطرت أن توجه نشاطها الحربى الى تلال كردستان وهضبة أرمينية (٤٦) . وكذلك اضطرت الى الدس فى سهل بابل والعمل على خلق حزب فيه يعارض فى تقوية الصلات بين

---

(٤٤) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 277.; Garstang, J.; The Empire of the Hittites ... ibid. p. 737.; H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. p. 673 and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 250.

(٤٥) See, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 48, and Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 263.

(٤٦) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 277-84.; Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 245. and Myres, J.L.; The Dawn of History ... ibid. pp. 134-5.

البابليين والحيثيين . ولقد نجح هذا الحزب بمساعدة توكلتى ـ نيتورتا ملك آشور فى اسقاط كداشمان ـ بورياش ، وهو يسمى أيضا بأسم كداشمان ـ حربى الثانى (١٢٤٠ ـ ١٢٣٩ ق.م) ملك بابل الموالى للحيثيين والباس الملك الاشورى تاج بابل (٤٧) . وفى ذلك الوقت كان الحيثيون يكابدون صعوبات توشك أن تودى بهم ، فلم يستطيعوا نجدة حليفهم ملك بابل (٤٨) . وقد استمر الحكم الاشورى فيها نحو سبع سنوات فقط . ولكن هذه المدة القصيرة كان من بين نتائجها الخطيرة تفكك وحدة بابل وظهور حكومات المدن فيها مرة اخرى (٤٩) . ولا يعرف على وجه محقق ان كان هذا قد حدث بفعل الاشوريين أنفسهم على مبدأ فرق تسد ، أم انه كان نتيجة طبيعية لحكم هذا السهل من خارج محيطه . ومهما يكن السبب ، فأن الذى يلاحظ هو أن آشور لاتصلح أن تكون مركزا يحكم منه سهل العراق ، كما ان أربخا لم تصلح لذلك من قبل فى عهد الجوتيين .

ولقد تلا هذه الفترة من الحكم الاشورى عهد غامض من الوجهة التاريخية . فبعد قتل الملك الاشورى ، قام فى سهل بابل ملوك لا يعرفون على وجه محقق ان كانوا من الاسرة الكاشية أم من غيرها . واستطاع بعض منهم أن يفرض نفوذه على آشور (٥٠) . على ان هذه الحوادث التاريخية الغامضة يمكن ايجاد بعض التعليل لها بتدبر الاحداث التى كانت تجرى فى الشرق

---

(٤٧) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 21.

(٤٨) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 285-6.; H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. 673.; Garstang, J,; The Empire of the Hittites ... ibid. pp. 713 and 732. and Wace, A.G.B. Troy: Its place in Literature and History, in H's. U.H.W., 8, p. 868.

(٤٩) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 285.

(٥٠) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 287-9. and H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. p, 673,

الاوسط فى ذلك الوقت • وبتدبر ما سبقت الاشارة اليه عن الظروف الطبيعية لارض اشور وعدم قدرتها على سد مطالب دولة كبيرة تقوم فيها اعتمادا على مواردها الخاصة • وبمراعاة موقعها الجغرافى على مفترق الطرق نحو اتجاهات مختلفة ، ويحيط بها من بعض هذه الاتجاهات شعوب قوية ومن بعضها الاخر قبائل همجية من سكان الجبال ومن سكان الصحراء • وتجعل هذه الظروف غير الملائمة حياة آشور مرتبطه بوجود جيش قوى لها دائم ومستعد للغزو من جهة وللدفاع عنها من جهة اخرى (٥١) • ومثل هذا الجيش يوجد تعقيدا فى حياتها الاقتصادية • ذلك لانه يأخذ كثيرا من اليد العاملة فيها (٥٢) • وفضلا عن ذلك ، فانه يحتاج لنفقات كبيرة لا تستطيع موارد أشور وحدها أن تقوم بها ، ولابد أن يستعان عليها بموارد اخرى • ولهذا فأنه اذا ترتب على الاحداث التى تجرى فى الشرق الاوسط توقف مصدر أو آخر من المصادر الهامة التى تعتمد عليها أشور فى المساعدة على الاحتفاظ بهذا الجيش ، فانه لا يلبث أن ينهار • بل انه قد تقوم ثورات فى آشور نفسها ما لم توفق فى تعويض نفسها عما فقدته من مصدر بمصدر آخر •

واذا تدبرنا الحوادث التى كانت تجرى فى ذلك الوقت فى بعض جهات الشرق الاوسط وكان لها أثرها على مجرى التاريخ فى آشور وفى بابل ، نجد أن شعوبا وقبائل عرفت باسماء متنوعة ، كانت فى اوائل عصر الحديد تتقدم

(٥١) ولديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٢٦٤ و٢٧٣ وما بعدها وراجع

Landone, B. (Editor in Chief); Prehistoric Man and The Ancient World, vol. 1 ... ibid. pp. 179-80.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 54.; H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid. p, 876, and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 181, 183-5 and 198.

(٥٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج ٢ ... المرجع السابق ص ٢٧٦ • وراجع :

Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 205.

الى الاجزاء الشمالية والشمالية الغربية من نطاق الهلال الخصيب (٥٣) • كان بعض منها يتقدم خلال ممرات طوروس من داخل هضبة الاناضول ، بينما كان البعض الاخر يتقدم بطريق البحر من عالم بحر ايجه • ولقد أحدث قدومها اضطرابات فى مسالك اتصالات آشور مع هذه الجهات وفى مصادر الثروة فيها • كما احدث ضغطا على السوخو والاخلامو ، وهم من القبائل الآرامية التى كانت تسكن فى الاجزاء الشمالية من سوريا ومن ارض الجزيرة (٥٤) • فضغطت هذه بدورها على آشور • ويبدو ان هذا الضغط كان بالغ الخطورة عليها • ذلك لان القوة العسكرية الاشورية التى يمكن تشبيهها مع الفارق بعصابة ينبغى لها أن تغزو فى سبيل العيش ، اصبحت أثناء هذا الغزو تكابد خطرين ، خطر الجوع وخطر الغزو معا • وفى مثل هذا الوضع اذا لم يكن الانتصار سريعا وحاسما فأن القوة العسكرية لا تلبث أن تنهار • ومن المحتمل أن ينهار أيضا معها البناء السياسى الذى يعتمد عليها (٥٥) •

ولقد اضعف هذا الغزو آشور ولكنه لم يقض عليها • فقد استطاع

(٥٣) See, Macalister, R.A.S.; The New Peoples: A Study of Race Movements, in H's. U.H.W., 7, pp. 795 et seq.; Peake, H. and Fleure, H.J.; The Horse and the Sword, Oxford, 1933, pp. 34-5, 56 and 60.; Halliday, W.R.; The Dorian Invasion and Ionian Migrations, in H's. U.H.W., 9, pp. 1001-2.; H's, U,H,W,, 6, Chronicle II ... ibid, pp, 673-5.; Garstang, J.; The Empire of the Hittites ... ibid. pp. 737-8. and Myres, J.L.; The Minoans and Mycenae: Civilization comes to Europe, in H's. U.H.W., 7, pp. 788-90.

(٥٤) See, O'Leary, De L.; How Greek Science passed to the Arabs, London, 1948, p. 182.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 268-9. also Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. p. 4.

(٥٥) See, Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. pp. 1 and 18.

الجيش الاشورى ، وهو مستعد دائما ، ان يقاوم هذا الزحف الآرامى (٥٦) وان يحول اتجاهه خلال ارض الجزيرة الى وادى الفرات ، وهو الاتجاه الوحيد الذى يستطيع أن يتجه اليه • وهناك انضم اليه على ما يبدو ، زحف ارامى اخر جاء من فلسطين ومن القسم الجنوبى من سوريا تحت تأثير تقدم القوات المصرية ثانية الى العالم السورى •

وقد حدثت اولى هجرات الآراميين نحو سهل العراق على ما يبدو ، تحت تأثير طرد الهكسوس من مصر وتعقيب القوات المصرية لهم فى آسيا وراء تلال فلسطين (٥٧) • ويبدو ان بابل قد استطاعت أن تقابل هذه الهجرات • كما ساعدها تفوق النفوذ المصرى فى الشرق الاوسط اثناء حكم الاسرة الثامنة عشرة ، على اضعاف تأثيره • ومن المحتمل ان أحوال الاستقرار التى سادت فى سهول الشرق الاوسط اثناء تفوق هذا النفوذ قد ارغم بعض القبائل الآرامية على الاستقرار وتكوين دويلات صغيرة على نهر الفرات وفى الصحراء السورية وعند حافاتها (٥٨) • كما ساعدها النشاط التجارى الذى كان قائما فى ذلك الوقت على الاشتغال بالوساطة التجارية بين بابل من جهة وبين مصر وفينيقية ومدن عمورو من جهة اخرى (٥٩) • ويبدو انه فى خلال هذا

---

(٥٦) See, Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. p. 5.

(٥٧) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. p. 182. and H's. U.H.W., 4, Chronicle I ... ibid, p, 435,

(٥٨) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; The Horse and the Sword ... ibid. p. 79. and Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. p. 4.

(٥٩) See, Semple, E.C.; The Geography of the Mediterranian Region ... ibid. p. 199.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 53.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 305-6. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 186.

النشاط نقل الآراميون الى سهل بابل والى غيره من الدول والشعوب التى كانوا يقومون بينها بالوساطة التجارية ، معرفة كتابة مبسطة اشتقت أحرفها من الكتابة المصرية ومن الكتابة الفينيقية (٦٠) • كما نقلوا عن المصريين معرفة الكتابة بالقلم والحبر (٦١) • وعندما بدت بوادر الاضطرابات الاخيرة فى الشرق الاوسط وقامت هجرات جديدة من الآراميين تزحف نحو بابل ونحو آشور ، يبدو أن بابل كانت مستعدة أيضا لمقابلة هذا الزحف • اذ تدل النصوص البابلية على أن كدشمان ـ حربى ملك بابل ، قد قاد الجيوش البابلية وصد شعب سوتو (٦٢) الآرامى وذبح كثيرا منه • كما تدل على انه بنى حصونا وأقام بعضا منها فى الصحراء السورية وفى موضع ربما لا يبعد كثيرا عن موضع تدمر (٦٣) • على ان خروج القوات البابلية لمقابلة الزحف الارامى من جهة

---

(٦٠) راجع عن الصلات بين الكتابة الفينيقية وبين الكتابة المصرية، كتاب ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ••• المرجع السابق ص ١٠٨ ـ ٩ و ٣١٥ ـ ١٦ و ٣٢٠ • والدكتور جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ١ القسم السياسى ، بغداد ، ١٩٥١ ص ٢٠٣ ـ ٠٤ وراجع أيضا •

Minns, E.H.; The Alphabet: Its Origin and its Importance for Civilisation, in H's. U.H.W., 10, p. 1004.

(٦١) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى•••المرجع السابق ص ١٠٧ • وراجع أيضا :

Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 53. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 186.

(٦٢) يرى سميث أن شعب سوتو غير شعب سوخو الذى سبقت الاشارة اليه • راجع :

Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. p. 4 and footnote. See also, Macalister, R.E.S.; The New Peoples ... ibid. p. 800.

(٦٣) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. pp. 263 et seq. See also Fedden, R.; Syria ... ibid. p. 110. and Semple, E.C.; The Geography of the Mediterranian Region ... ibid. p. 191.

واسباب هذا الضعف الذى بدا فى السنوات الاخيرة من القرن الثانى عشر واستمر الى السنوات الاخيرة من القرن العاشر قبل الميلاد ، غامضة ، ويصعب تفسيرها على أساس المعلومات المعروفة عن الجغرافية السياسية للشرق الاوسط خلال هذا الدور (٧٠) . لاننا اذا تركنا آشور نجد ان بابل فى حالة ضعف وتكابد من انقسامات داخلية فيها . وفى القسم الغربى من سهول الشــرق الاوسط ، نجد فى سوريا دويلات صغيرة ينهض بعضها تارة ويسقط أخرى . أما فى ساحل فينيقيا فنجد أن المدن الفينيقية قد أثرت ثراء كبيرا وكونت كل منها تقريبا لنفسها دويلة وعلى رأسها ملك (٧١) . وأما فى فلسطين، فنجد أن الشعب الفلسطينى قد كون لنفسه دولة أو تحالفا من عدد من الدويلات . ثم لم تلبث أن انهارت تحت تأثير دولة اخرى أو حلف كونه العبرانيون تحت زعامة داود . وقد بلغت دولة العبرانيين ذروة مجدها فى عهد سليمان . ومن المعروف أن سليمان لم يجر وراء مطامع استعمارية ، وانما كان يجرى ، كجيرانه واصدقائه الفينيقيين ، الى جمع الثروة بوسائلها السلمية ، أى عن طريق التجارة (٧٢) . ولم تلبث كذلك دولة العبرانيين أن تفككت بعد سليمان وانفصل قسمهـــا الشمالى وكون دولة اسرائيل وعاصمتها السامرة ، اما القسم الجنوبى فكون

(٧٠) Cf. Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 189-90.

(٧١) See, H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. p. 676.

(٧٢) « وبنى الملك سليمان سفنا فى عزيون – جبر – Ezion-geber التى تقع بالقرب من الوث على شاطىء بحر سوف فى أرض ادوم . وأرسل حيرام (ملك صور) فى السفن خدمه من البحارة الذين لهم خبرة بالبحر مع خدم سليمان . وأبحرت السفن الى اوفير فى طلب الذهب . واحضرت معه الى الملك سليمان أربعمائة وعشرين وزنة» راجع التوراة، سفر الملوك ، ١ ، الاصحاح ٩ ، أيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ . ويرى نلسون جلوك – N. Glueck من أبحاثه أن موقع عزيون – جبر يوجد حاليا على بعد نحو ٤٦٠ مترا من الشاطىء الحالى لخليج العقبة ، وعلى مسافة نحو ٦ر٥ كم غربى ميناء العقبة . راجع مقالة ص ٢–١٣ فى العدد ٧٢ (ديسمبر – كانون الاول ١٩٣٨) مـن مجلة – Bulletin of The American School of Oriental Research.

دولة يهوذا وعاصمتها اورشليم (٧٣) . ويستخلص مما تقدم ان سهول الشرق الاوسط لم تكن تتضمن فى جهاتها منطقة قامت فيها دولة قوية تنافس آشور ويخشى عليها من خطرها . أما فيما يتعلق بالهضاب الشمالية فى الشــرق الاوسط ، فقد كان الضغط الهيلينى لا يزال قائما عند السواحل الغربية لهضبة الاناضول ، ثم ازداد شدة بتقدم شعوب الدوريان (٧٤) . ويبدو أن ضغط هذه الشعوب الجديدة قد احدث اضطرابات فى داخل هضبة الاناضول ، وعلـى الاخص لان أسلحتهم كانت من الحديد ، وكان من بينها السيف البتار (٧٥) . ولقد هاجر بسبب هذه الاضطرابات نحو الشرق ونحو الجنوب الشرقي بعض شعوب من داخل هضبة الاناضول عرفت بأسم موشكى (٧٦) . واما فى شمال آشور وفى شمال بابل وشرقها ، فقد كانت تتجمع قبائل الايرانيين والميديين . وهنا ناحية جديرة بالاعتبار ، وهى أن علام كانت تقف مصدا يحول بدرجة كبيرة دون تقدم بعض هذه القبائل الى سهل العراق ، كما يحول دون ذلك ايضا لحد ما التباين الحاد بين انخفاض مستوى سهل العراق وبين ارتفاع مسـتوى

(٧٣) See, Robenson, T.H.; Israel in the Light of History, in H's. U.H.W., 7, pp. 816-17. and H's. U,H,W,, 6, Chronicle II ... ibid, p. 677. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 223 et seq.

راجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٢٣٢ وما بعدها و ص ٢٤٨ – ٩ و ٣٢٠ – ١ .

(٧٤) See, Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. p. 12.

(٧٥) See, Halliday, W.R.; The Dorian Invasion and Ionian Migrations ... ibid. p. 987.; H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid, p, 677, and Casson, S.; Greece on the Eve of the Greatest Glory, in H's. U.H.W., 9, p. 1032.

(٧٦) See, Macalister, R.A.S.; The New Peoples ... ibid. p. 797.; Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. p. 38. and H's. U.H,W,, 8, Chronicle III ... ibid. pp. 882-3.

تلال بشت كوه المشرفة عليه • بينما لم يتوفر لآشور مصد كعلام من جهة ، ولا يوجد من جهة اخرى التباين الحاد بين اراضيها وبـين ما يجاورها من مرتفعات كردستان • حقيقة ان وجود دولة حارى او حورى ، وهى تعرف أيضا باسم اورارتو ، القوية فى شرق هضبة الاناضول (٧٧) ، يمكن اعتبارها لحد ما مصدا لآشور ، الا ان عملها فى هذه الناحية أهم بالنسبة لهضبة الاناضول من جهة ولهضبة ايران من جهة اخرى • ووقوفها كمصد قوى بين هـذين الاتجاهين قد يؤدى الى تحويل سير الهجرات نحو الجنوب الى اشور ، كما حدث بالنسبة لقبائل الموشكى • فقد حولت دولة حارى اتجاه تقدمها نحـو الشرق الى جهة الجنوب • ولقد غزت هذه القبائل فعلا ارض اشور واستولت على بعض الاجزاء منها (٧٨) • واما فيما يتعلق بالجزيرة العربية ، فيبدو أن بعض بعض قلقلات كانت تحدث من جانبها بسبب هجرة قبائل عريبى او عربى • ومن المحتمل أن يؤدى ضغط هذه القبائل المتجهة خلال بعض مسالك الجزيرة العربية نحو وادى الفرات ونحو الصحراء السورية ، الى هجرة بعض القبائل الآرامية من مناطقها الى أرض الجزيرة والضغط على آشور •

ومما تقدم يلاحظ ان هذا الاستعراض للجغرافية السياسية لاقاليـم الشرق الاوسط خلال القرنين الحادى عشر والعاشر قبل الميلاد ، لم يهدنا فى الواقع الى سبب قوى يمكن ان يعلل به ضعف اشور خلال هذين القرنين • بل ان ظهور قبائل عريبى ليس دليلا على هجرة لهم • لانه يحتمل أن تكون هذه القبائل التى ينسب اليها جلب الجمل من القسم الجنوبى من الجزيرة العربية

---

(٧٧) See, Garstang, G.; The Empire of the Hittites ... ibid. pp. 715, 727 and 729.

راجع ايضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ·· المرجـع السابق ٣٠٣ •

(٧٨) See, Macalister, R.A.S.; The New Peoples ... ibid. p. 797.

الى القسم الشمالى منها واستخدامه فى النقل عبر الصحراء (٧٩) ، فدانتقلت نتيجة للاتصالات التى حدثت بين سليمان فى أرض فلسطين وبين بلقيس فى بلاد اليمن • ومن المعروف أن بلقيس قد حضرت لزيارة سليمان فى قافلة من الابل (٨٠) •

واذا تركنا الاسباب الغامضة التى ادت الى ضعف آشور خلال هـذه الفترة ، والتى بدا من الصعب تفسيرها على أساس جغرافى الى ناحية الاتصالات السلمية ، فانه يستنتج من بعض نواحى الاستعراض التى ذهبنا اليها لتعرف الاوضاع السياسية فى الشرق الاوسط ، ان سهل بابل بالرغم من حـدوث انقسامات داخلية فيه كان فى دور انتعاش اقتصادى • ويستدل على ذلك لحد ما من حالة الثراء الواسع التى كانت عليها المدن الفينيقية (٨١) • ذلك لان ثراء هذه المدن يرتبط ارتباطا وثيقا بنشاط الفينيقيين التجارى بين اليابس وبين الماء• ويعتبر الاقليم الواقع من الشرق الاوسط بين البحر المتوسط وبين الخليـج العربى وحدة اقتصادية متصلة النشاط تغذى المدن الفينيقية بالتجارة الشرقية، ومن المعروف انه كان للفينيقيين نشاط فى الخليج العربى ، ولهم هناك آثار فى منطقة الاحساء وفى جزر البحرين • ويتخذ بعض الباحثين من هذه الآثار دليلا على ان الفينيقيين قد نشأوا هناك ، بينما يتخذها البعض الاخر دليلا على على انهم كانت لهم هناك مستعمرات تجارية (٨٢) • ويمكن ان يستدل كذلك على الانتعاش الاقتصادى البابلى من نشاط العبرانيين وعلى الاخص فى عهـد سليمان ، اذا راعينا الاعتبارات الاثنوغرافية التي تربط بين الآراميين من جهة

---

(٧٩) See, Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 306.

(٨٠) راجع الاصحاح العاشر من سفر الملوك فى التوراة

(٨١) See, Fedden, R.; Syria ... ibid. p. 63.

(٨٢) See, Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 15-18 and 20. and Wilson Lt-Col. Sir A.T.; The Persian Gulf ... ibid. pp. 28-32.

وبين الفينيقيين والعبرانيين من جهة اخرى (٨٣) • فأن بعض الباحثين يجد هذه الصلات بين الكنعانيين وبين الفينيقيين وبينهم وبين العبرانيين ، كما يجد هذه الصلات أيضا بين العبرانيين وبين الخبيرو ، وهم قبائل آرامية ورد ذكرهم فى رسائل تل العمارنة مع قبائل سوتو وهى ارامية ايضا (٨٤) • ومما يعزز احتمال قيام صلات بين العبرانيين وبين سهل بابل فى ذلك الوقت ، أنه يلاحظ أن التأثيرات البابلية على اليهود من ناحية المعتقدات الدينية وآدابها بصفةعامة أقوى من التأثيرات المصرية ، وذلك بالرغم مما هو معروف عن الصلات التى قامت بين اليهود وبين مصر قبل أن يخرج بهم موسى ، وكذلك بالرغم من الصلات السياسية التى استمرت قائمة بعد ذلك بين مصر وبين شعوب فلسطين • وفى مقابل ذلك لا يعرف أن صلات قديمة مباشرة قد قامت بين اليهود وبين البابليين (٨٥) • ولهذا يبدو محتملا أن تكون هذه الصلات القوية بين اليهود وبين البابليين قد حدثت بطريق غير مباشر • أى عن طريق الآراميين اقرباء اليهود (٨٦) والذين كانوا على ما يبدو يسيطرون فى ذلك الوقت على مقدرات

---

(٨٣) See, Haddon, A.C.; The Races of Man ... ibid. pp. 96-7.

(٨٤) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ٠٠ المرجع السابق ، ص ٣٢٣ و ٣٢٩ • وراجع

Robinson, T.H.; Israel in the Light of History ... ibid. p. 814.; H's. U.H.W., 6, Chronicle II ... ibid. p. 666.; Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 805. and Schneider, H.; The History of World Civilisation, vol. 1 ... ibid. p. 300.

(٨٥) See, Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States Before the Rise of Babylon ... ibid. pp. 530 and 539-40.; Cook, S.A.; The Gods of Twilight ... ibid. p. 649.; Robinson, T.H.; Israel in the Light of History ... ibid. p. 813. and Cf. Hall, H.R.; Egypt in the Brilliance of Decay ... ibid. pp. 1007-8.

(٨٦) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. pp. 7 and 182. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 186.

سهل بابل من الناحية الاقتصادية على الاقل • ويبدو محتملا أيضا أن تكون هذه الصلات قد حدثت بطريق مباشر بين اليهود وبين البابليين ، أى عن طريق التجارة • حقيقة ان النشاط التجارى لليهود فى عهد سليمان كان بارزا مع عالم البحر الاحمر ومع القسم الجنوبى من الجزيرة العربية وربما مع مصر أيضا التى ارتبط بها سليمان عن طريق المصاهرة (٨٧) • الا ان هذا لا يمنع أن تكون لهم صلات تجارية مع سهل بابل ايضا ، فقد كان جيرانهم وأقرباؤهم الفينيقيون يتاجرون مع عالم واسع المدى • وليس من المعقول أن تتجاهل قوافل تجارة سليمان ارض بابل وهى اغنى اراضى الشرق الاوسط واوسعها نشاطا • وفضلا عما تقدم فان استخدام الجمل فى النقل خلال البادية (٨٨) بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط ، يقوى من احتمالات حدوث انتعاش اقتصادى فى سهل بابل •

ولقد تلا هذا الدور ظهور قوة آشور • واستمرت ثلاثة قرون (٩١١-٦١٢ ق٠م) تسيطر على المقدرات السياسية والاقتصادية لمعظم شعوب الشرق الاوسط (٨٩) • وفى خلال هذه القرون بدا ضعف بابل كثيرا من الناحية

---

(٨٧) See, Robinson, T.H.; Israel in the Light of History ... ibid p. 817. and Eldridge, F.B.; The Background of Eastern Sea Power, London, 1948, pp. 16-19.

وراجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ٠٠٠٠ المرجع السابق ص ٣٣٣ •

(٨٨) تشير بعض النصوص البابلية الى ان الجمل ذى السنامين قد استؤنس حول ١٠٠٠ ق٠م اما الجمل ذو السنام الواحد فقد وردت اول اشارة عنه حول سنة ٨٥٤ ق٠م • راجع •

Lowie, R.H. (Editor); An Introduction to Cultural Anthropology, New York, 1947, p. 45.

(٨٩) راجع عن تكوين الامبراطورية الاشورية عدة مقالات لسدنى سميث فى :

C.A.H.; vol. 3, pp. 1-131.

السياسية ، وان لم يبد ضعفها من الناحية الاقتصادية ، بل ومن المحتمل أنها ازدادت قوة فى هذه الناحية • وذلك لان استخدام الجمل فى النقل خلال البادية قد خط سير التجارة فى جانب وادى الفرات وقوى نشاطها بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط • وكذلك لان قوة الاشوريين ، وان قامت على اساس تجارى (٩٠) ، الا انه يبدو انهم لم يشتغلوا فى التجارة بأنفسهم • وانما تركوها لرعاياهم (٩١) مكتفين بما يقدمونه لهم من جزى وضرائب • واستخدموا هم قواتهم العسكرية فى صيانة مسالك التجارة وفى ارهاب الشعوب التى تعرقل سيرها او تمتنع عن دفع الجزية المفروضة عليها •

وكان ظهور قوة اشور أمرا متوقعا • ذلك لان الاحوال العامة فى الشرق الاوسط كانت تهىء لذلك • فأن استقرار هذه الاحوال من جهة وتركز النشاط التجارى بين الخليج العربى وبين شرق البحر المتوسط فى جانب وادى الفرات من جهة اخرى ، قد وجه الاشوريين على ما يبدو نحو تكوين اتصالات لهم عن طريق مسالك القسم الشمالى من ارض الجزيرة مع شعوب القسم الشمالى من سوريا وكذلك مع شعوب الهضاب الشمالية وحافاتها الجبلية • ومما تجدر ملاحظته فى هذا الصدد ، أن اشور فى أوقات نزاعها مع بابل ما كانت تحاول أن تفرض نفوذها عليها فى أوقات انتصارها بقدر ما كانت تعمل على زحزحة حدودها الاصلية نحو الجنوب واقتطاع أجزاء من القسم الشمالى من سهل العراق • ويبدو أنها كانت ترمى من وراء ذلك الى التحكم فى منفذ تجارة

(٩٠) See, Semple, E.C.; The Geography of Mediterranian Region ... ibid. pp. 197-202. and Cf. Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. p. 40. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 205.
وقارن ول ديورانت ، قصة الحضارة الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ و ٢٩٨

(٩١) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 57. and Cf. Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 205.

هضبة ايران من بوابة زاجروس (٩٢) • ومن المعروف ان بابل اذا كانت تسيطر على هذا المنفذ فانها تستطيع أن تحول سير هذه التجارة الايرانية من اتجاهها نحو البحر المتوسط خلال ارض اشور ، الى اراضيها ثم فى مسالك القسم الاوسط من حوض الفرات • ولما كانت أشور فقيرة فى ثرواتها الخاصة ، فانه من الحيوى لها ان تشتغل بالتجارة وبالوساطة التجارية بين بعض الدول وبين بعضها الاخر (٩٣) •

ولقد ترتب على اتصالات الاشوريين بشعوب الهضاب الشمالية ومقدماتها الجبلية بعض نتائج خطيرة ، منها انهم سبقوا البابليين فى التحضر بحضارة الحديد التى برعت فيها هذه الشعوب • وقد سبقت الاشارة الى ان الدوريان هم الذين ادخلوا الى هضبة الاناضول السيف البتار فى الالات الحربية • ولم يسبق الاشوريون البابليين فى هذه الحضارة الحديدية بسبب اتصالاتهم مع شعوب الهضاب الشمالية ومقدماتها الجبلية فحسب ، وانما لان اراضيهم تقع عند ابواب هذه الجهات ايضا • ومن الممكن ان يقال بأن الآشوريين بعد أن قوى أمرهم بسبب تحضرهم بهذه الحضارة قد عملوا على الا تصل الى غيرهم من شعوب سهول الشرق الاوسط • وبجانب أسبقية الاشوريين على هذه الشعوب فى التعرف على حضارة الحديد ، فانه لم تبد فى الشرق الاوسط عوامل هامة تحول دون استمرار نمو قوتهم • فقد كان سهل بابل منقسما على نفسه وكذلك كانت فى معظم الاوقات دويلات سوريا وفلسطين • أما فى الهضاب الشمالية فيبدو ان شعوبها قد استقرت اوضاعها (٩٤) • وفى الواقع انه لم تبد بين شعوب هذه الهضاب قلقلات خطرة كتلك التى شوهدت فى

(٩٢) See, Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. p. 9 and footnote.

(٩٣) See, Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 181 et seq.

(٩٤) See, Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. pp. 12-13.

القرن الثالث عشر قبل الميلاد وكذلك فى اوائل القرن الثانى عشر •

ويبدأ التاريخ المسجل لاشور حول ٩١١ قبل الميلاد • وحول هـذه السنة أيضا بدا الانتعاش فى قوة الاشوريين عندما تولى العرش اداد ـ نيرارى الثانى (٩٥) • ولقد حكم فى أشور من اول هذا الدور الى نهايته حول سنة ٦١٢ قبل الميلاد ، نحو ثمانية عشر ملكا • ولا يهمنا ان نتعقب اعمال كل واحد منهم ، بقدر ما يهمنا ان نشير الى ان الاحوال السياسية فى الشرق الاوسط كانت مهيأة لظهور قوتهم ولتحقيق اطماعهم فى تكوين الامبراطورية التجارية التى يساعد الموقع الجغرافى لبلادهم على قيامها • ولتحقيق هذه الاطماع نقل الاشوريون عاصمة ملكهم الى نينوى ومدوا حدود اراضيهم نحو الجنوب فى سهل العراق الى شمال منطقة بغداد بقليل • وذلك لكى يسيطروا على منفذ هضبة ايران فى بوابة زاجروس الى هذا السهل • كما مدوا حدودهم الغربية الى نهر الفرات ، وذلك لكى يسيطروا على معابر هذا النهر وعلى مسالك الاتصالات التى يتضمنها حوضه الاوسط • وتعتبر المنطقة التى تضمنتها دولة الاشوريين عقدة الاتصالات بين اتجاهات الشرق الاوسط سواء اكانت نحو هضابه المرتفعة أم كانت نحو سهوله وهضابه قليلة الارتفاع • وكذلك نحو عالم الخليج العربى من جهة ونحو السواحل الشرقية للبحر المتوسط من جهة اخرى •

ولقد ساق الاشوريون جيوشهم على طول هذه المسالك التجارية (٩٦) • كما ساقوها ايضا على طول المسالك الجانبية المغذية لها • وشهد التاريخ جيوشهم

(٩٥) See, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 247 et seq.

(٩٦) See, Newbigin, M.I.; The Mediterranian Lands ... ibid. p. 96.; Schneider, H.; The History of World Civilization, vol. 1 ... ibid. p. 128.; Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. pp. 7 et seq. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 193,

ذاهبة وآيبة (٩٧) على طول نطاق الهلال الخصيب بين نينوى وبين مصر مخضعة امارات سوريا ولبنان وموانى الساحل الفينيقى ومدن فلسطين • كما حاولت اكثر من مرة اخضاع مصر • وكذلك شوهدت جيوشهم فى مسالك جبال زاجروس وطوروس نحو داخل الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط لاخضاع بعض شعوبها كالميديين والاورارطيين (الحوريين) والموشكى وغيرهم ، أو لارهاب هذه الشعوب وابعاد خطرها عن مسالك التجارة الاشورية (٩٨) • ومثـل ذلـك شـهدته شـعوب الجـزيرة العربيـة وعلى الاخص ما يوجد منها على مسالك التجارة ، سواء اكانت فى مناطق البخور والتوابل فى ظفار وحضرموت ، او كانت على المسلك الرئيسى للتجارة بين اليمن وبين سيناء وما يتصل به من مسالك مغذية من جهة سهل العـراق والخليج العربى ، ام كانت على مسالك القسم الاوسط من حوض الفرات وممر اوشو (تدمر) بين الخليج العربى وبين خليج عكا (٩٩) • وكذلك شهد وادى دجلة

(٩٧) تشير النصوص المتعلقة باعمال الملك تجلات ـ بيلسر الاول ، الى انه غزا لبنان وعبر نهر الفرات ٢٨ مرة على الاقل • راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى • • المرجع السابق ص ٢٦٧ • وراجع ايضا : Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 54-5. and Landon, B. (Editor in Chief); Prehistoric Man and the Ancient East, vol. 1 ... ibid. p. 175.

(٩٨) See, H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid. pp. 882-3 and 889-90. Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. pp. 7, 24 and 38-40.; also Smith, S.; Early History of Assyria ... ibid. p. 281.; Haas, W.W., Iran ... ibid. pp. 5-6.; Lloyd, S,; Twin Rivers ... ibid. p. 54.; Fedden, R.; Syria ... ibid. p. 66.; Brestead, J,H,; Ancient Times ... ibid. pp. 194-6.; Sykes, Sir P.; A History of Exploration ... ibid. pp. 2-3.; Schneider, H.; The History of World Civilization ... ibid. pp. 127 and 318. and Thomson, R.C.; The Life of Imperial Nineveh and Babylon ... ibid. p. 945.

(٩٩) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. pp. 51-4 and 87.; Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. p. 35.; Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. pp. 56-8 and Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. p. 53.

ووادى الفرات سير جيوشهم لاخضاع سهل بابل • كما شهد وادى دجلة ايضا فى عهد سنحريب (٧٠٥–٦٨١ ق•م) سير اسطول لهم لغرض القضاء على قوة شعب القطر البحرى وقوة حلفائه العلاميين (١٠٠) • ولقد استطاع سنحريب أن يشل يد العلاميين ، وكذلك يد شعب القطر البحرى وان ينفى من ابنائه قسما الى الجرع فى منطقة الاحساء وان يأخذ منهم قسما اخر أسرى الى بابل (١٠١) •

واذا اعتبرنا من جهة مطامع الاشوريين فى الامبراطورية التجاريــة واعتبرنا من جهة اخرى انه قد اصبح لهم اسطول قوى فى الخليج العربى ، فانه يحتمل أن يكون نشاطهم التجارى قد امتد وراء محيط الشرق الاوسط الى الهند (١٠٢) • حيث جلبوا من هناك بذور القطن كما جلبوا بعض انواع النخيل الهندى • فقد عثر على نص لسنحريب حول ٧٠٠ ق•م ، وردت فيه اشارة الى القطن وتعتبر أول اشارة وردت عنه • كما عثر ايضا على قطعة من المرمر وعليها نقوش تمثل الارواح تتعبد أمام نخلة من نخيل الهند (١٠٣) • ومن المحتمل ان تكون هذه المؤثرات الهندية قد انتقلت بطريق البر بواسطة القوافل التجارية (١٠٤) • على ان الاكثر احتمالا ان تكون قد انتقلت بطريق

---

(١٠٠) See, Smith, S.; Sennacherib and Esarhaddon, in the C.A.H., vol. 3, p. 66. and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid, pp, 258-9,

(١٠١) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 64.; Eldridge, F.B.; The Background of Eastern Sea Power ... ibid. p. 15. and O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 60.

(١٠٢) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. p. 97. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 203.

(١٠٣) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى • • • المرجع السابق ص ٢٩ وكذلك حاشية ص ٢٨

(١٠٤) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 53.

البحر ، لان المعروف انها ظهرت عهد سنحريب (١٠٥) • ومن المعـ[illegible] كذلك ان ملوك اشور قبل عهد هذا الملك قد بذلوا عدة محاولات لكسر ش[illegible] شعب القطر البحر بواسطة جيوشهم البرية ولكنهم لم يفلحوا (١٠٦) • [illegible] وفق سنحريب الى فكرة انشاء اسطول ينازلهم به فى مناطقهم عند سواح[illegible] الخليج العربى • ولقد استعان سنحريب فى بناء هذا الاسطول بالفينيقيين [illegible] استعان فى ادارته ببعض البحارة منهم (١٠٧) • ومن المحتمــل ان يـ[illegible] سنحريب بعد ان وصل الى مصب الفرات وتفتح أمامه الخليج العربى قد [illegible] فيما فكر فيه دارا الفارسى بعده ، وكذلك الاسكندر فى كشف العالم ا[illegible] يكتنف هذا الذراع المحدد من البحر • وفى الواقع ان الظروف كانت [illegible] بدرجة كبيرة ، وعلى الاخص لوجود بحارة من الفينيقيين ، لفتح طريق للملا[illegible] بين مصب الفرات وبين مصب السند (١٠٨) • ومع ذلك فمهما كان الطـ[illegible] الذى انتقلت خلاله المؤثرات الهندية (بذور القطن واشجار النخيل الهنـ[illegible] فان هذه المؤثرات فى حد ذاتها دليل على قيام اتصالات بين ارض ما بين النهـ[illegible] وبين الهند فى عهد الاشوريين •

---

(١٠٥) [illegible]See, Thomson, R.C.; The Life of Imperial Nineveh and [illegible]ylon ... ibid. p. 947.

(١٠٦) قاد سرجون الثانى الذى حكم اشور قبل سنحريب مباشرة ، بطريق البر لاخضاع شعب القطر البحرى ولكنه لم ينجح ، واستطاع مو[illegible] ـ بلدان ملك هذا الشعب ان يستعيد سلطانه على بابل • راجع : [illegible]Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. pp. [illegible]0. also Smith, S.; Sennacherib and Esarhadden ... ibid. pp. 62 [illegible]eq.

(١٠٧) [illegible]See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 64.

(١٠٨) لا يبدو من المبالغة أن يمتد نفوذ الاشوريين أو اتصالا[illegible] الى وادى السند فى عهد سنحريب اذا صح ما يقول به بعض الباحثين أن سلفه سرجون الثانى قد مد فتوحاته نحو الغرب الى جزيرة قبرص بلاد اليونان • راجع : [illegible]Hall, R.R.; Egypt in the Brilliance of Decay ... ibid. p. 1014.

واذا صح ما ذهبنا اليه من فتح باب للاتصالات بين وادى الفرات وبين وادى السند عن طريق الملاحة فى الخليج العربى ، فمن المتوقع ان يترتب على ذلك بعض التغير فى مركز بابل من الناحية السياسية • ومن المتوقع ايضا أن تترتب عليه زيادة كبيرة فى نشاطها التجارى (١٠٩) • ذلك لان فتح هذا الباب يعطى لها وظيفتها كممر للتجارة بين شرق العالم القديم وبين غربه • كما ان استخدام الجمل فى النقل التجارى خلال الصحراء السورية بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط قد اجتذب بلا شك القسم الاكبر من هذه التجارة الى وادى الفرات الذى تقع عليه مدينة بابل ، وليس الى وادى دجلة الذى تقع عليه نينوى عاصمة الاشوريين •

وقد ظهرت سريعا اثار هذه المميزات الاقتصادية الجديدة لسهل بابل • فهجر الاشوريون سياسة الاحترام التقليدى التى جروا عليها نحو مدينة بابل (١١٠) وشددوا قبضتهم عليها • حتى ان سنحريب قد اخذ ملكها اسيرا الى نينوى • كما اخذ اليها ايضا الاله مردوخ البابلى ، واتخذ لنفسه لقب ملك سومر واكاد واقام ابنه اسرحدون فيها نائبا عنه • وبهذا لحم سهل بابل فى اشور وكون منهما معا دولة واحدة (١١١) • ومن الناحية التجارية ايضا ظهر فى بابل بعض المصارف والبيوت المالية • كما سكت فيها نقود من الفضة لتسهيل العمليات التجارية • وتعتبر هذه المسكوكات من أقدم ما عرفه

---

(١٠٩) See, H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid. p. 829.

(١١٠) See, King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. p. 3. and H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid pp. 886-7 and 888.

(١١١) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجـزء الثانى ... المرجع السابق ص ٢٦٨ ــ ٩ • وراجع :
Smith, S.; Sennacherib and Esarhadden ... ibid. pp. 68-9. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 64.

التاريخ (١١٢) • ولقد حملها التجار معهم الى اسيا الصغرى ومنها انتشرت الى بلاد الاغريق (١١٣) • وكذلك يلاحظ ان الفينيقيين قد ارسلوا بعوثا الى سهل بابل واقاموا لهم فيه وكالات تجارية (١١٤) • وفضلا عما تقدم ، يلاحظ ان بابل المنقسمة على نفسها والواقعة تحت الضغط الاشورى ما كانت تستطيع أن تنهض سريعا من كبوتها وتكون لها امبراطورية واسعة فى عهد الكلدان الا اذا كانت قد توفر لديها من اسباب الثراء ما مكنها من تجييش الجيوش واعداد معدات الحرب للقضاء على قوة الاشوريين اولا ثم تكوين الامبراطورية الكلدانية •

على ان الاشوريين وان استطاعوا بقوتهم العسكرية ان يجعلوا الشرق الاوسط كله او القسم الاكبر منه وحدة اقتصادية وثقافية (١١٥) وان يضموا اليها مصر بعض الوقت ، الا ان هذا كان بلا شك مجهودا جبارا يفوق طاقتهم • ولهذا اضطروا ان ينتهجوا سياسة ساعدت نتائجها قواتهم العسكرية على القضاء على العناصر المشاغبة فى جهات الامبراطورية وعلى فرض الامن والنظام فى انحائها • وكانت هذه السياسة تقوم على معاملة العصاة بالقسوة البالغة • وكذلك على تشتيت ابناء المدن العاصية والاقاليم بنقلهم الى مدن وأقاليم أخرى

---

(١١٢) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجـزء الثانى ... المرجع السابق ص ٢٠٨ وكذلك حاشية ص ٢٠٦ • وراجع أيضا :
Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. p. 74.

(١١٣) See, Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 182.

(١١٤) See, Eldridge, F.B.; The Background of Eastern Sea Power ... ibid. p. 16. and Semple, E.C.; The Geography of the Mediteranian Region ... ibid. p. 178.

(١١٥) See, Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. p. 1. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 207,

فى جهات الامبراطورية واسكان غيرهم فى محلهم (١١٦) • بعبارة اخرى انهم عمدوا الى عملية خلط السكان فى بعض البيئات لاضعاف الروح القومية فيها • والاشوريون بعملهم هذا قد اضعفوا القوة المادية بين الشعوب ذوى الحضارات القديمة فى سهول الشرق الاوسط كما اضعفوا فيهم الـــروح القومية • وبذلك أتاحوا فرصة التغلب عليهم لشعوب الهضاب الشمالية التى كانت قومياتها تنموا بدرجة كبيرة نموا طبيعيا ومضطردا (١١٧) • ولقد كان سهل بابل من بين الاقاليم التى تأثرت بعملية خلط السكان وبما ترتب عليها مـــن نتائج • ويلمس تأثير ذلك واضحا فى الانهيار السريع لدولة الكلدان أمـــام القومية الاخمينية الناشئة فى هضبة ايران • على أن عملية خلط السكان التى عمد الاشوريون اليها وان اضعفت الناحية القومية فى بعض الشعوب وعـــلى الاخص من سكان سهول الشرق الاوسط ، الا انها ادت من ناحية اخرى الى خلط عناصر حضارات بعض الشعوب فيها مع عناصر حضارات البعض الآخر وتكوين وحدة حضارية منسجمة • ولقد ساعد ضعف الروح القوميـــة فى شعوب هذه السهول كما ساعد اشتراكها فى وحدة حضارية على اســـتقرار الامور نسبيا فى عهد الامبراطورية الكلدانية •

---

(١١٦) See, H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid. pp. 876-8.; Lloyd, S. Twin Rivers ... ibid. pp. 58 and 59-60.; Turner, R.; The Great Cultural Traditions ... ibid. p. 242.; Thomson, R.C.; The Life of Imprial Nineveh and Babylon ... ibid. p. 963. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 199-200 and 205.

وراجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضـــارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٢٦٦ – ٢٦٧ ، و ٢٧٠ – ٢٧٧ •

(١١٧) See, H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid. pp. 888-9.

٧ – الكلدانيون

(٦٣٥ – ٥٣٩ ق٠م)

يختلف بعض العلماء فى اصل الكلدانيين • فمنهم من يرى انهم مـــن القبائل الارامية التى هاجرت الى سواحل الخليج العربى ثم غزت القسم الجنوبى من سهل العراق وقضت على نفوذ القطر البحرى فيه • (١) • ويرى لويد ان الكلدانيين هم شعب القطر البحرى (٢) • ويحاول بارتون أن يوفق الحد ما بين هذين الرأيين المتناقضين • فهو يذكر ان الكلدان من الاراميين ، وانهم ظهروا على مسرح التاريخ حول سنة ١٠٠٠ ق٠م • وانهم جاءوا من مكان ما فى بلاد العرب يسمى أرض البحر (٣) • أما طومسون فيذكر ان كلديا تسمية قديمة ، ولكن الذى كون دولة الكلدان قائد اشورى يسمى نبوبلصر كان قد ارسل على رأس حملة للقضاء على نفوذ القطر البحرى (٤) • وهناك رأى اخر يرجع اصل الكلدانيين الى قبيلة متدينة ، كانت تسكن فى منطقة حران ، وهى مركز لعبادة القمر • كما انها كانت على درجة كبيرة من الحضارة (٥) •

---

(١) See, Peake, H. and Fleure, H.J.; The Horse and the Sword ... ibid. p. 79.; Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. p. 47. and Cf. Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 54-5.

(٢) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 45 and 70. See also Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. pp. 43-4. and Brestead, J.H; Ancient Times ... ibid. p. 206.

(٣) See, Barton, G.A.; Semitic and Hamitic Origins ... ibid. pp. 82-3.

(٤) See, Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire, in the C.A.H., vol. 3, pp. 207-8.

(٥) See, Ainsworth, W.; Researches in Assyria ... ibid. pp. 152-6.

وليس هذا الرأى بعيد الاحتمال • لانه لوحظ ان نبونيدس ، وهو آخر ملوك الكلدانيين ، كانت له اتصالات قوية بحران وبمعبد القمر فيها • وكان أبوه او أحد أفراد أسرته الكاهن الاكبر لهذا المعبد ، وكذلك كانت ابنته كاهنة لمعبد القمر فى أور (٦) • والتوراة تؤيد الرأى القائل بأن الكلدان من الآراميين « فكلم الكلدانيون الملك بختنصر بالآرامية » (٧) • اما اذا عولجت نشأة الكلدان من الناحية الجغرافية فان المنطقة التى ظهرت فيها قوتهم تتضمن بعض احتمالات اخرى •

ظهرت قوة الكلدان كما ظهرت قبلهم قوة القطر البحرى فى القسم الجنوبى من العراق ، بين ارض سومر القديمة وبين الخليج العربى • وبعض أراضى هذا القسم يابس ، بينما البعض الاخر تشغله برك وأهوار (مستنقعات) • وتبلغ مناطق البرك والاهوار اعظم اتساع لها فى جنوب ارض سومر مباشرة وقد عرفت فى التاريخ القديم باسم الاهوار الكلدانية ، وهى التى تعرف بقاياها فى الوقت الحاضر باسم هور الحمار • واما الاراضى اليابسة فتبلغ اعظم اتساع لها بين هذه الاهوار وبين الخلج العربى • اى انها كانت تكون جزءا مما يعرف فى الوقت الحاضر باسم منطقة شط العرب ، او باسم لواء البصرة •

وليست مناطق الاهوار سطحا واسعا من الماء ، فانها وان غلب عليها هذا المظهر فى اوقات الفيضانات الا انها تتضمن بعض الجزر وتتسع مساحتها كثيرا فى وقت الانخفاض • وربما كان السكان القدماء يعملون على توسيع مساحة هذه الجزر وعلى تكوين جزر اخرى كما يفعل سكان الوقت الحاضر (٨) • وفى وقت الانخفاض ايضا تنكمش مساحة الاهوار وتنحسر المياه عن بعض

---

(٦) See, Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire ... ibid. pp. et seq. also Thomson, R.C.; Babylonia in the Days of Hammurabi ... ...ibid. pp. 580 and 583.

(٧) دانيال ، الاصحاح الثانى ، الآية ٤ •

(٨) يلاحظ هذا فى منطقة ناحية الجبايش (الجزائر) فى هور الحمار •

جهاتها وتترك وراءها اراضى عظيمة الخصوبة بسبب ما يتراكم عليها سنويا من التكوينات الغرينية • وفى مثل هذه الاراضى يزرع سكان الوقت الحاضر الارز والدخن وبعض انواع الذرة • وفى بعض جهات أخرى منها ، عند حافات جزرها وعلى جوانب ما لا حصر له فيها من الجداول مختلفة الاتساع ، ينمو الغاب (القصب) والبوص (البردى) وأنواع اخرى من نباتات المستنقعات • وعلى هذه النباتات يربى السكان [illegible]وس ، ويستعينون بجانبه على معاشهم بصيد الاسماك والطيور المائية • وفى مثل هذه البيئة تستطيع العناصر المضطهدة من سكان سهل العراق ان تجد ملجأ فيها (٩) • كما تجد ما يحفظ علها حياتها بصيد الاسماك والطيور وزراعة بعض الغلات • وكذلك يستطيع الخارجون على القانون ان يجدوا فيها مخبأ ، ويكونون عصابات تفاجىء بالغزو مناطق العمران فى القسم الجنوبى من سهل بابل • متحدين من مخبئهم سلطة الحكومة القائمة (١٠) • وكذلك تستطيع هذه العصابات ان تمنع او تعرقل سير الاتصالات الجارية بالطرق المائية بين سهل بابل وبين الخليج العربى ، كما فعل الزط وكذلك الزنج فى العصر العباسى فى منع سير الاتصالات بين البصرة وبين بغداد (١١) • وكما فعلت بعد ذلك قبائل كعب وآل شبيب وغيرهما فى العصر التركى (١٢) • وقد فعل السكان الحاليون ذلك لحدما أثناء غزو الانجليز

---

(٩) ذكر لى لشيخ ثعبان بن الشيخ سالم آل خيون شيخ قبيلة بنى أسد فى ناحية الجبايش ، أنهم كانوا يسكنون فى منطقة الحلة ثم اضطروا تحت ضغط وقع عليهم الى الالتجاء الى هور الحمار •

(١٠) See, Fulanain; Hagi Rikkan ... ibid. pp. 221 et seq.

(١١) راجع الدكتور عبدالعزيز الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى ، بغداد ، ١٩٤٨ ص ٢٠ — ٢١ و ٦٨ — ٠٧٣

(١٢) See, Longrigg, S.H.; Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1925, pp. 32-3, 78-81, 172-3 and 190 et seq.

للعراق فى الحرب العالمية الاولى (١٣) •

أما الارض اليابسة التى تبلغ اعظم اتساع لها فى جنوب الاهوار الكلدانية، فأنها تكون بيئة جغرافية قائمة بذاتها وتفصلها هذه الاهوار عن سهل بابل • وتفرض بيئتها الجغرافية ان تكون اتصالات سكانها مع عالم الخليج العربى من جهة ومع عالم الاهوار الكلدانية من جهة اخرى • وكذلك مع عالم داخل الجزيرة العربية حيث يكون وادى البطن طريقا طبيعيا للاتصالات بينهما (١٤) • كما تفرض على سكانها ان يستغلوا للزراعة كل مايمكن استغلاله من أراضيها، وكذلك تفرض عليهم ان يوجهوا اهتماما كبيرا نحو التمدن بمدنية ركوب الماء لاستغلال خيرات السطوح المائية التى تكتنفهم ، وان يوجهوا كذلك مثل هذا الاهتمام نحو التجارة سواء التى تحملها قوافل على البرأم التى تحملها سفن فى الماء • وفى الواقع ، اننا اذا اعتبرنا ان رى المزروعات فى ذلك الوقت كان يقوم على حركات المد والجزر كما هو قائم فى الوقت الحاضر ، فأنه يمكن القول بأن النشاطين المائى والتجارى اللذين تدعو اليهما الظروف الجغرافية لهذه المنطقة كان يتوفر لهما الوقت الكافى •

هذه العوامل الجغرافية للمنطقة التى ظهرت فيها قوة الكلدان قد مكنت أسلافهم شعب القطر البحرى أن يبقى شوكة فى جنب الحكومات التى قامت فى سهل بابل حتى استطاع سنحريب أن يخمد بعض الاخماد من شوكتهم • كما مكنت سكانها من الكلدان ومن غيرهم فيما بعد ان يكونوا ملاحين

---

(١٣) See, Foulanain; Hagi Rikkan ... ibid. Chap. 7 (pp. 127 et seq.).

(١٤) يلاحظ أن منطقة شط العرب كانت فى العصر التركى تكون ولاية البصرة وكانت أحيانا مستقلة عن بغداد • وبسبب عزلتها كانت دائما موضع أطماع الفرس كما كانت موضع أطماع بعض شيوخ القبائل العربية وبعض الاسر الغنية • راجع :
Longrigg, S.H.; Four Centuries of Modern Iraq ... ibid. pp. 31-3, 108, 120-1 and 156-7.

مهرة ، وقد قامت على اكتافهم البحرية الفارسية فى عهد الساسانيين (١٥) • وكذلك مكنتهم من توسيع افق نشاطهم التجارى • ومما تجدر ملاحظته فى هذا الصدد أن الجمل الذى أحدث ثورة فى النقل بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط قد ورد ذكره فى النصوص البابلية باسم الحمار الاتى من القطر البحرى (١٦) • وكذلك تجدر ملاحظة أنه بعد ان استقر الامر فى سهل بابل للكلدان سكان هذه المنطقة ، اهتموا باستغلال مزاياها التجارية وانشأوا عند مصب الفرات ميناء تريدون الذى يبدو انه كان فى موضع الزبير الحالية (١٧) •

على أن هذه المنطقة ، قبل أن تكون مع سهل بابل ما عرف باسم كلديا، لابد انها كانت بسبب احتمالاتها الكبيرة موضع أطماع بعض الشعوب، وعلى الاخص التجارية منها كالآراميين والفينيقيين وغيرهم • كما لابد أنها كانت بسبب هذه الاحتمالات وبسبب صغر مساحتها وانكشافها معرضة للغزو من جهة بعض القبائل فى الجزيرة العربية وكذلك من جهة القراصنة فى الخليج العربى وفى الاهوار الكلدانية •

ومما تقدم يبدو أن الكلدان خليط من شعوب مختلفة ، وبعضه من السكان القدماء وبعضه من شعوب وفدت حديثا (١٨) • وقد سبقت الاشارة الى السياسة التى انتهجها الاشوريون فى القسوة على الشعوب الثائرة والمهزومة وتشتيت كثير من أبنائها الى جهات مختلفة (١٩) • ومن المحتمل أن بعض من نقل من أبناء هذه الشعوب الى سهل بابل قد لجأ الى أرض الكلدان فى

---

(١٥) راجع فيما يلى موضوع « الساسانيون » •

(١٦) See, Thomson, R.C.; The Golden Age of Hammurabi ... ibid. p. 501.

(١٧) راجع فيما سبق موضوع « السهل الفيضى » وراجع أيضا :
Wilson, Lt-Col. Sir A.T.; The Persian Gulf ... ibid. pp. 33 and 42.

(١٨) See, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 43.

(١٩) راجع فيما سبق موضوع « الآشوريون »

الاهوار الكلدانية أو فى منطقة اليابس حول شط العرب • وفى النصوص الاشورية ما يدل على ان الملك الاشورى تجلات – بيلسر الثالث فى احدى حملاته سنة ٧٣١ ق•م على الكلدان (المقصود الشعوب التى كانت تسكن فى جنوب سومر) قد نقل منهم الى جهات اخرى نحو ٥٥ الف من بيت شيلان ونحو ٥٠ر٤٠٠ من بيت ساآلى • وكذلك فعل معهم سرجون الثانى ، فقد غزا بلادهم واخذ منهم أسرى وأرسل الكثير منهم الى سوريا واسكن مكانهم حيثيين من سكان الجبال (٢٠) • ولا تبدو كذلك مخاطبة الكلدانيين لملكهم بالارامية دليلا قويا على ان الكلدان كلهم من الارامين (٢١) • بل أن تأكيد الكتاب المقدس على النص بأن المخاطبة كانت بالارامية ، يحمل معنى ان الملك آرامى وأن المخاطبين له غير آرامين ، وانهم قد تعلموا الآرامية حتى يستطيعوا أن يخاطبوا بها الملك الآرامى • ومع ذلك ، فانه من الملاحظ أن هذا النص الدينى لايمكن استخدامه دليل نفى او دليل اثبات • لان تسمية كلديا لا يقصد بها كلديا الاصلية وحدها وانما يقصد بها المملكة الكلدانيــة التى اصبحت تتضمنها كما تتضمن سهل بابل ايضا (٢٢) • كما ان بختنصر لم يكن ملكا على الكلدان وحدهم من سكان كلديا الاصلية وانما كان ملكا على البابليين ايضا • وما يستنتج مما تقدم هو ان اللغة الارامية كانت لغة الاسرة الحاكمة ، كما انها حلت محل اللغة البابلية كلغة رسمية للدولة • وكذلك يستنتج ان الــكلدان عندما سيطروا على بابل كانوا خليطا من شعوب مختلفة وتسيطر عليه طبقة

---

(٢٠) See, Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire ... ibid. p. 40.; H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid, p, 885, and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 60.

(٢١) See, H's. U.H.W., 8, Chronicle 3 ... ibid. p. 884 and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 55.

(٢٢) See, Ainsworth, W.; Researches in Assyria ... ibid. p. 155.

ارسطوقراطية ارامية • أما فيما يتعلق بتأثير العلاقات الجغرافية بين سهل بابل وبين كلديا الاصلية ، فانه يلاحظ أن ارض كلديا الاصلية كارض آشــور تتضمن خطرا على سهل بابل اذا قامت فيها دولة مستقلة عنه • وهى فى الوقت نفسه كاشور لازمة له لضمان سير اتصالاته بين عالم الخليج العربى وبين عالم شرق البحر المتوسط •

ولقد قامت دولة الكلدانيين على أنقاض دولة الاشوريين • وكانت تتوفر أمامها بعض عوامل تهىء لقيام امبراطورية على جانب كبير من الرخاء ، كما كانت تتوفر بعض عوامل أخرى غير ملائمة • وهذه العوامل الاخيرة ، وان لم تبد على جانب كبير من الخطورة ، الا ان كفتها قد رجحت فى عهد بعض ملوك ضعفاء من الكلدانيين ، وقوضت الدعائم الصالحة التى قامت عليهــا الامبراطورية الكلدانية •

أسس نابوبلصر دولة الكلدان ، وقد تضمنت شعوبا ذات حضـارات عريقة كالبابليين والاشوريين وغيرهم • كما تضمنت شعوبا أخرى اشتهرت بنشاطها فى البر وفى البحر كالارامين والفينيقيين وشعب القطر البحـرى وكذلك اليهود • ويوجد شك فى نسبة نبوبلصر الى سلالة معينة • ويرى بعض الباحثين انه قائد أرسله سن – شار – اشكون اخر ملوك اشور لحماية كلديا « سهل بابل » من شعب القطر البحرى فثار ضد سيده واستقل بها (٢٣) • على أنه مهما كانت الجماعة التى ينتسب اليها نبوبلصر ، فان الظروف كانت مهيأة أمامه لتحقيق أطماعه • اذ ان ضعف آشور قد بدا منذ اواخر عهــد آشور – بانيبال حين عجزت جيوشها عن صد هجمــات بعض قبــائل من الاسكيذيان والكمريان عندما أغارت على القسم الغربى من الامبراطوريــة

---

(٢٣) See, Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire ... ibid. pp. 207-8.

الاشورية تحت دفع مملكة ليديا لهم او غيرها من داخل هضبة الاناضول [٢٤] .
ولقد انتهزت هذه الفرصة معظم الامم ذات المصالح فى الشرق الاوسط . فقام فى بابل ثورة تولى نبوبلصر زعامتها وأسرع الى الاتفاق مع مملكة ميديا لطعن الاشوريين من جهة الجنوب والجنوب الشرقى ، بينما تقدمت قوات مصر فى عهد أبسماتيك الاول (٦٦٣ - ٦٠٩ ق.م) من جهـة الجنوب والجنوب الغربى لاسترداد نفوذها القديم فى فلسطين وسوريا [٢٥] .

وعندما سقطت نينوى حول ٦١٢ ق.م كانت القـوات الرئيسية فى الشرق الاوسط هى مصر فى بعض جهات فلسطين وسوريا . وليـديا فى هضبة الاناضول ، وميديا فى هضبة ايران وكذلك فى القسم الشـرقى من حوض نهر دجلة ، ثم قوة الكلدانيين فى ارض ما بين النهرين [٢٦] . وبجانب هذه القوى الرئيسية ، كانت توجد ثلاث قوى اخرى ثانوية هى قوة يهوذا فى فلسطين ، وقوة فلول الاشوريين المتجمعين فى حران [٢٧] ، ثم قـوة الفرس الاخمينين فى انشان عند رأس الخليج العربى من جهة هضبة ايران . وفيما عدا ذلك كانت المدن الفينيقية تتمتع باستقلالها بعيـدة عن المطامـع الاستعمارية ، كما كانت بعض قبائل من الاسكيذيان ومن الكمريان ، وهى

---

(٢٤) See, H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid. pp. 888-89 and 897-98.; Robinson, T.H.; Israel in the Light of the History ... ibid. pp. 832-3.; Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. p. 118. and Schneider, H.; The History of World Civilization, vol. 1 ... ibid. pp. 128-9.

(٢٥) Cf. Hall, H.R.; Egypt in the Brilliance of Decay ... ibid. p. 1016. and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 57. and H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid. p. 898.

(٢٦) See, H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid. p. 898.

(٢٧) See, Thomson, R.C.; The Life of Imperial Nineveh and Babyon ... ibid. p. 945. and H's. U.H.W., 8, Chronicle ..... ibid, p, 898.

التى اشتهرت فى ارض ما بين النهرين باسم اومان مندا ، تسرح فى القسم الشمالى من ارض الجزيرة [٢٨] .

ومن الطبيعى ان يقوم صراع بين بعض هذه القوى وبين البعض الاخر بعد ان خلا ميدان الشرق الاوسط من آشور . وقد كان هناك فعلا ميدانان لهذا الصراع ، احدهما فى سهول الشرق الاوسط بين بعض قوى هـذه السهول وبين بعضها الآخر . والآخر فى هضابه الشمالية بين بعض قواهـا وبين بعضها الآخر أيضا . أما فى ميدان السهول فقد كان الصراع السياسى بين البابليين من جهة وبين المصريين من جهة اخرى . وقـد وقفت فلول الاشوريين فى جانب المصريين بينما وقفت قبائل الاسكيذيان والكمريان فى جانب البابليين . اما يهوذا فكانت تعمل لمصالحها الخاصة . ولقد وقفت هـذه الدويلة فى وجه مصر عند ثغرة مجدو ، ولكنها هزمت ، وتقدمت القـوات المصرية وانضمت اليها فلول الاشوريين فى حران . وعندما تقابل الحلـف المصرى مع الحلف البابلى عند قرقميش فى سنة ٦٠٥ ق.م ، هزم الحلـف المصرى بقيادة نخاو الثانى (٦٠٩ - ٥٩٤ ق.م) وعاد متراجعا تتبعه قـوات الحلف البابلى بقيادة بختنصر الثانى ، وفى عهد المملكة الكلدانية ، الى حدود مصر [٢٩] . ومخضعة فى طريقها الدويلات القائمة فى سوريا وفى فلسطين . بعبارة اخرى ان حدود دولة الكلدان قد امتدت الى البحر المتوسط . واصبح الكلدانيون يسيطرون على بعض أبواب التجارة عند السواحل الشرقية لهذا

---

(٢٨) See, Robinson, T.H.; Israel in the Light of History ... ibid. pp. 832-3.

(٢٩) See,Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire ... ibid. pp. 210-12.; Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 129-3, H's. U.H.W., B, Chronicle III ... ibid. p. 899. and Delaporte, L,; Les Peuples de L'Orient Méditerranéen, 1 ... ibid. pp. 278-9.

راجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجـزء الثانى ... المرجع السابق ص ١٩٦ .

البحر ، كما كانوا يسيطرون على بابها من جهة الخليج العربى • ومع ذلك ، فانه فيما بين هذا الخليج وبين البحر المتوسط من اراضى الشرق الاوسط ، لم تكن كل مسالك التجارة الكلدانية حرة • فمثلا لكى يحتفظ الميديون لتجارتهم من بوابة زاجروس بمنفذ حر نحو البحر المتوسط جعلوا نصيبهم من الامبراطورية الاشورية القسم الشرقى من حوض نهر دجلة • وبذلك لم يعد سير التجارة الكلدانية حرا فى مسالك هذا القسم • وكذلك لم يكن سيرها حرا فى مسالك القسم الشمالى من ارض الجزيرة بسبب سيطرة قبائل الاسكذيان والكمريان عليه • وفيما يتعلق بمسالك التجارة الكلدانية فى جانب نهر الفرات ، فان منافذها نحو المدن الفينيقية ونحو سواحل فلسطين كانت ايضا مقلقلة (٣٠) • ذلك لان مصر لم تكن قد فقدت أملها فى استعادة نفوذها هناك فكانت تشجع ما يقوم هناك من ثورات ضدهم (٣١) • على ان هذه العقبات لم تكن خطيرة أمام التجارة الكلدانية • وذلك للصلات الوثيقة التى كانت تربطهم بالميديين من جهة ، ولان التجارة الكلدانية تعتبر حيوية بالنسبة للمدن الفينيقية من جهة اخرى • الا انه يبدو ان بختنصر كان متأثرا بالسياسة الاشورية فى اخضاع المدن العاصية والشعوب (٣٢) • فقد خرب صور ، وعامل بقسوة بعض الدويلات الاخرى وعلى الاخص يهوذا فقد خرب أورشليم واخذ معظم ابنائها اسرى الى بابل (٣٣) • ولقد وجهت صور بعد ذلك وجهة نشاطها نحو البحر الاحمر • ولا شك فى أن هذا قد أضر بعض

---

(٣٠) See, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 58.

(٣١) Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 208.

(٣٢) See, H's. U.H.W., 8, Chronicle 3, ... ibid. p. 899. and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 58.

(٣٣) See, Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient Méditerr-aneen, 1 ... ibid. pp. 282-3.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 72.; Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire ... ibid. pp. 213-14. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 231.

الضرر بالتجارة الكلدانية (٣٤) •

أما فى ميدان الهضاب الشمالية فقد كان الصراع بين الميديين وبين الليديين على القسم الشرقى من هضبة الاناضول • ولم يكن لهذا الصراع نتيجة حاسمة ، لان الطرفين المتصارعين قد اتفقا على قبول تحكيم بختنصر ملك كلديا ومعه ملك كيليكيا • وكان الحكم يقضى بجعل نهر هالس ، وهو قزل ارمك ، حدا يفصل بين املاك الميديين من جهة الشرق وبين املاك الليديين من جهة الغرب (٣٥) • ولقد توج توقف الصراع بزفاف ابنة ملك ليديا الى ولى عهد ميديا • وبهذا ساد السلام فى الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط بتوثيق الصلات بين القوتين الكبيرتين فى هضبة ايران وفى هضبة الاناضول• كما انه قد سبق أن توثقت الصلات بين الميديين وبين الكلدان بسبب اشتراكهما معا فى القضاء على قوة أشور ، وبسبب تزوج بختنصر ملك كلديا من اميرة ميدية • ولقد كان بختنصر شديد التعلق بهذه الاميرة فبنى لها فى بابل قصورا فخمة وزينها بالحدائق المعلقة (٣٦) • وعدا صلات المصاهرة التى ربطت بين الميديين وبين الليديين من جهة وبينهم وبين الكلدان من جهة اخرى ، كانت توجد أميرة ميدية اخرى تزوجها قمبيز الاول ولى عهد مملكة انشان • ويبدو ان هذا الزواج كان له أثر فى أن يمد قمبيز نفوذه غربا الى السهول الغنية فى علام بعد ان انتهى عهد الاسرة العلامية القديمة فيها على يد آشور

---

(٣٤) See, Wilson, Lt-Col. Sir A.T.; The Persian Gulf ... ibid. pp. 35 and 42.

(٣٥) See, Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient Méditerr-anéen, 1 ... ibid. pp. 282-3. also Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 58. Grundy, G.B.; The Persians and the Empire of the Great King, in H's. U.H.W., 10, p. 1140. and H's. U,H,W,, 8, Chronicle III ... ibid, p. 898.

(٣٦) See, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 58. and Thomson, R.C.; The New Babylanian Empire ... ibid. p. 215.

بنيبال (٣٧) • وبهذا اصبحت دولة قمبيز الاول ، او كما اشتهرت تاريخيا بأسم دولة الفرس الاخمينيين ، تجاور دولة الكلدان من الناحية الجغرافية كما اصبحت ترتبط بها بصلات ودية عن طريق المصاهرة غير المباشر •

ومما تقدم يمكن القول أنه اثناء عهد بختنصر (٦٠٤ – ٥٦٢ ق•م) او اثناء قسم منه ، كان السلام يسود جهات الشرق الاوسط • وكان بعض شعوبه يرتبط بالبعض الاخر بصلات مصاهرة ومودة • بعبارة اخرى ان الظروف فى جهات الشرق الاوسط كانت مهيأة لنجاح المشاريع التجارية ، كما كانت مهيأة لانتشار عناصر الحضارات بين بعض هذه الجهات وبين البعض الاخر • ومن بين هذه الجهات، كانت كلديا تتمتع ببعض مميزات خاصة• كانت تتمتع بأنها أعرق هذه الجهات حضارة وأغناها من ناحية الانتاج الزراعى • كما تتمتع بمميزات موقعها الجغرافى كممر للتجارة بين شرق العالم القديم وبين غربه ، وكمركز تنتشر منه التجارة كما تنتشر الحضارة نحو الجهات التى تكتنفه فى الشرق الاوسط • وفضلا عن ذلك ، كانت من بين سكان كلديا شعوب حديثة، ضرب بعض منها بسهم كبير فى مغامرات التجارة بمسالك البر كالاراميين ، وضرب بعض آخر منهم بسهم فى المغامرات البحرية كشعب القطر البحرى وبعض الشعب الفينيقى • وبعبارة اخرى ، ان ظروفا ملائمة من الناحية الطبيعية ومن الناحية البشرية كانت مهيأة أمام دولة الكلدان لان تتمتع بخصائص الموقع الجغرافى لسهل العراق بدرجة لم تتوفر على ما يبدو أمام سكانه من قبل (٣٨) •

ولقد قدر الكلدانيون على ما يبدو هذه الظروف • كما قدروا من جهة اخرى الظروف الجغرافية فى الشرق الاوسط من ناحية تضمنه لبيئات جغرافية

---

(٣٧) See, Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire ... ibid. pp. 219-220.

(٣٨) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ••• المرجع السابق ص ١٩٦ – ١٩٧ و ٢٠٢ – ٢٠٥ •

مختلفة ، تختلف فيها السلالات كما تختلف مقومات الحياة البشرية • ولهذا لم تخل سياستهم من القسوة الكبيرة فى معاملة المدن العاصية والشعوب التى تعرقل خطوط مواصلاتهم ، كما كان يفعل الاشوريون (٣٩) • ولقد وجه الكلدان اهتماما خاصا نحو نهر الفرات فجعلوه صالحا للملاحة بين ثبساكس (فى منطقة مسكنة الحالية) وبين مصبه فى الخليج العربى (٤٠) • كما انهم أقاموا عند هذا المصب ميناء تريدون لاستقبال تجارة الشرق الاتية فى هذا الخليج • ولا يعرف ان كان الكلدانيون قد اهتموا أيضا بمجرى نهر دجلة أم ان اهتمامهم كان قاصرا على مجرى نهر الفرات • وذلك بسبب أن مجرى النهر الاول لم يكن يدخل ضمن ممتلكاتهم ، وانما كان ضمن ممتلكات الميديين • على انه يلاحظ أن مجرى الفرات ، وان لم يكن طريقا جيدا للملاحة ، الا انه افضل من مجرى نهر دجلة بسبب أن سرعة تيار مياهه أبطأ من سرعة التيار فى نهر دجلة ، كما ان مستوى مياهه يبقى مرتفعا مدة أطول منه فى نهر دجلة • ومهما يكن السبب فى توجيه الكلدان نحو اهتمامهم بنهر الفرات ، فلا شك انه قد ترتب على هذا التوجيه تقوية الصلات البشرية بين سهل العراق وبين الجزيرة العربية • ومما يعزز القول بأن الكلدان قد أدركوا الظروف الجغرافية الملائمة لبلادهم فى ذلك الوقت من الناحية التجارية ، أنهم مدوا نفوذهم على الساحل الجنوبى للخليج العربى وسيطروا على ميناء الجرع (٤١) • ومن المعروف ان موقع الجرع خطير ، وينافس موانى سهل العراق منافسة جدية فى التجارة الشرقية القادمة فى الخليج العربى • اذ يمكن

---

(٣٩) See, H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid. p. 899,

(٤٠) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ••• المرجع السابق ص ٢٠٣ •

(٤١) See, King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. pp. 6-7. and Wilson Lt-Col. Sir A.T.; The Persian Gulf ... ibid. p. 33.

أن ينتقل عن طريقها قسم من هذه التجارة فى مسالك الى داخل الجزيرة العربية • ومن هذا الداخل الى بعض موانى البحر الاحمر ، او الى بلاداليمن من جهة ، والى بلاد الانباط فى بطرى من جهة اخرى • ومن المعروف أنه توجد مسالك اخرى تصل بين الخليج العربى ، فيما بين الجرع وبين تريدون من جهة وبين داخل الجزيرة العربية من جهة اخرى •

أما عن المدى الذى بلغه النشاط التجارى فى عهد الكلدان فأنه غير محقق • الا اننا اذا اخذنا بعين الاعتبار الظروف الجغرافية السائدة فى الشرق الاوسط ، وكذلك الصلات البشرية ، أمكن وصف هذا النشاط بالاتساع • وربما امتد من بعض الاتجاهات فى الشرق الاوسط الى ما وراء حدوده ، أى نحو الهند مثلا ونحو بلخ والمراكز التجارية الاخرى فى بلاد ما وراء النهر عن طريق بوابة خراسان [٤٢] • ومما يعزز القول باتساع أفق النشاط التجارى فى عهد الكلدان ، ما ورد فى نص لبختنصر يشير الى انه قد جعل من الممرات الوعرة وغير المطروقة طرقا ممهدة [٤٣] • وهذا يحمل معنى ان اتصالات الكلدان قد امتدت وراء الطرق والمسالك المطروقة من قبل نحو اتجاهات اخرى • كما تعززه المستندات التى عثر عليها لبيت ايجيبى المالى والتى تدل على ان هذا البيت ، وربما بيوتا اخرى غيره ، كان يقوم بتمويل المشاريع التجارية والصناعية • كما كان يقوم باعمال الائتمان ونحوها من بعض الاعمال التى تقوم بها المصارف فى الوقت الحاضر [٤٤] • ولا شك فى أن

(٤٢) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥ • وراجع ايضا ،
Eldridge, F.B.; The Background of Eastern See Power ... ibid. p. 16. and Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire ... ibid. p. 215,

(٤٣) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٢٠٣ •

(٤٤) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع المرجع السابق ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ •
Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. p. 74.

اعادة بناء بابل على صورة أعظم مما كانت عليه قبل تخريبها على يد الاشوريين [٤٥] ، وكذلك أعمال العمران الواسعة الاخرى التى قام بها بختنصر ، دليل مادى على مبلغ الثراء الذى اصابه الكلدان من الاعمال التجارية [٤٦] •

أما عوامل الضعف فى بناء دولة الكلدان فتوجد فى بعض نواحيها الداخلية • ويميل بعض الباحثين الى ارجاعها الى تفوق رجال الدين [٤٧] • وهم يرون أن بختنصر لم يعتل عرش كلديا بعد وفاة أبيه الا لان جيشه كان فى ذلك الوقت مستعدا • وكذلك لانه قدم هبات مالية الى رجال الدين وأرضاهم باعمال عمرانية قام بها للاله مردوخ • الا ان القول بتفوق رجال الدين يكتنفه الغموض من الناحية التاريخية • ذلك لانه لايتفق معه مثلا ان يقوم نبونيدس ، آخر ملوك الكلدان (٥٥٥ ـ ٥٣٩ ق•م) ، فى وجه هذا التعصب الدينى باهمال العناية بعبادة الاله مردوخ ، وهو كبير الالهة الكلدانية ، وبتوجيه اهتمامه نحو عبادة القمر فى حران • ومما يقوى هذا الغموض ، أن نبونيدس لم يكن من الملوك الذين يفرضون شخصيتهم على التاريخ ، اذ انه كان شيخا مسنا وصارفا نشاطه نحو عبادة القمر من جهة ونحو الابحاث الاركيولوجية من جهة اخرى • وأكثر من ذلك ، انه قضى السنوات الاخيرة

(٤٥) See, Turner, R.; The Great Cultural Traditions, vol. 1 ... ibid. p. 243. and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 56.

(٤٦) Delaporte, L.; Les Peuples de L'Orient Méditerranéen ... ibid. pp. 279-80. also Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 58. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 70-1.

(٤٧) See, Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire ... ibid. pp. 208-9 and 217-18.

من حكمه بعيدا عن بابل ومعتكفا فى تيماء (٤٨) • ويستخلص مما تقدم أن وجود تعصب دينى فى كلديا ليس واضحا ، وبالتالى لا يصح أن يعتبر ناحية ضعف فى البناء الداخلى لدولة الكلدان •

وتلمس اثار الضعف فى هذا البناء فى حدوث كثير من الثورات • فمن المعروف تاريخيا انه قد حدثت ثورات فى كلديا وترتب عليها سقوط أسرة نبوبلصر ، وقيام بعض أسر اخرى على عرش بابل • وكانت كل أسرة تقوم لا تلبث أن تسقط على أثر ثورة تقوم بها أسرة اخرى قوية من الاسر الطامعة فى العرش (٤٩) • ولما كان التكوين الاثنوغرافى للشعب الكلدانى غير منسجم ، لانه مكون من قوميات متعددة كالبابليين القدماء وكالاراميين وشعب القطر البحرى والحيثيين واليهود والفينيقيين وغيرهم من ابناء الشعوب الذين اجتذبتهم نواحى النشاط الاقتصادى فى كلديا او نقلوا قسرا من بلادهم الاصلية فى عهد الاشوريين وفى عهد الكلدان • ولما لم يكن قد مضى على هذه القوميات ، غير الاصلية ، فى كلديا ، وقت يكفى لكى تنصهر وتكون مع القومية البابلية وحدة منسجمة ، فانه يبدو ان اسباب الثورات التى حدثت فى كلديا انما ترجع الى رغبة كل قومية فى ان تسيطر على العرش الكلدانى • وبعبارة اخرى ان أهم نواحى الضعف فى بناء دولة الكلدان ترجع الى تعدد القوميات فيها • ولم يقتصر تأثير تعدد القوميات على ضعف البناء الداخلى لكلديا فحسب ، وانما امتد أيضا الى اضعاف مراقبتها للاحداث التى كانت

---

(٤٨) See, Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 59. and Thomson, R.C. The New Babylonian Empire ... ibid. pp. 218-19 and 220-22.

راجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ص ٢٦١ •

(٤٩) See, Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire ... ibid. p. 208. and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 59.

تجرى فى بعض الجهات التى تكتنفها والتى كانت تهدد كيانها السياسى • فان المشاكل الداخلية قد صرفت انظار الطبقة المسيطرة فيها عن التطلع الى دولة الاخمينيين التى كانت قد نهضت فى علام واخذت فى ابتلاع دولة الميديين •

وتوجد بعض اشارات تبدو غامضة ، وهى تتعلق بما يعرف باسم الحائط الميدى الذى يقال ان بختنصر قد بناه بين سيبار على الفرات وبين اوبيس على دجلة • وقد سبقت الاشارة الى الحائط التدنى او الحائط العمورى الذى يقال ان جميل – سن قد بناه فى اواخر عهد الاسرة الثالثة فى اور (٥٠) • ويبدو ان موقع سيبار قد تحقق ، أما موقع أوبيس فلا يزال يكتنفه الشك • وبعض الباحثين يضعه فى منطقة القادسية على نهر دجلة حيث تبدأ تكويناته الفيضية ، بينما يضعه البعض الاخر جنوب بغداد فى منطقة سلوكيا (٥١) • على انه مهما يكن موقع اوبيس فلا توجد اسباب واضحة تدعو لبناء مثل هذا الحائط لا بواسطة بختنصر الذى يعتبر عصره عصر كلديا الذهبى ، ولا بواسطة غيره من ملوك الكلدان • اذ ليس من المعقول ان تبذل جهود ضخمة فى بناء هذا الحائط لا لشىء الا لسد باب واحد لكلديا ، هو باب ارض الجزيرة ، وهو اضيق أبوابها • اذ تحدده بعض عوامل جغرافية ، بينما أبوابها نحو الاتجاهات الاخرى مفتوحة ويصعب سدها ، سواء اكانت من وادى دجلة أم من وادى الفرات ، أم كانت من جهة الخليج العربى • ومهما يكن من أمر هذا الحائط فانه لم يمنع خطر الاخمينيين الداهم الذى قضى على دولة الكلدان •

---

(٥٠) راجع فيما سبق موضوع « العموريون » وراجع أيضا :
Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 211.; Delaporte, L. Les Peuples de L'Orient Méditerranéen ... ibid pp. 280-1.; Ainsworth, W.; Researches in Assyria ... ibid. pp. 173-4.; Musil, A.; The Middle Euphrates ... ibid. pp. 259 et seq. and Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 71.

(٥١) راجع فيما سبق موضوع « السومريون » وراجع أيضا :
Musil, A.; The Middle Euphrates ... ibid. pp. 216, 226, 259-60 and 263-6.

٨ ـ الفرس الاخمينيون

(٥٣٨ - ٣٣١ ق٠م)

الفرس الاخمينيون من الشعوب الارية وقد نشأوا فى بيئة صغيرة ومتحضرة من البيئات العديدة التى تكونها الوديان النهرية فى اقليم الفارس ثم مدوا نفوذهم الى علام بعد انهيارها على يد آشور بانيبال • وكان انهيار علام انهيارا للمصد الذى وقف مدة طويلة يحمى سهل العراق من غزو القبائل الايرانيـــة ونحوها • وأضحى غزو هذا السهل محتملا من قبل أى قوة تتوفر لهـــا القدرة للوثوب عليه • وقد حدث غزوه والاستيلاء عليه على يد قورش الثانى مؤسس دولة الفرس الاخمينيين[1] • وكان قورش طموحا • فلما تـولى امارة الاخمينيين بعد أبيه سنة ٥٥٨ ق٠م• حارب الميديين وانتصر عليهـم ثم أخذ يمد فتوحه في الهضاب الشمالية نحو الشرق ونحو الغرب ، وبعـد أن تم له الامر فيها نزل الى سهول الشرق الاوسط واستولى على بابـل سنة ٦٣٨ ق٠م • وبسقوط دولة الكلدان ورث أمـلاكها التى كانت تمتد بـين حدود مصر وبين الخليج العربى •

والطريق الذى سلكه قورش لفتح سهل العراق غير محقق • والقصة التي يرويها هيرودوت عنه غامضة • فهو يذكر أن قورش بعد أن وصل الى نهر جندس ، وهو نهر دياله فى رأى بعض المؤرخين ، عجز عن عبوره • ويضيف أن تيار هذا النهر جرف واحدة من أفراسه ، وهى بيضـاء اللون

(١) See, Grundy, G.B.; The Persians and the Empire of the Great King, in H's. U.H.W., 10, pp. 1136-7.; Olmstead, A.T,; History of the Persian Empire ... ibid. pp. 2, 9, 34, 37 and 60.; The Historian's History of the World, vol. 2, p. 589.; Haas, W.W.; Iran ... ibid. pp. 6-7.; Delaporate, L.; Mesompotamia ... ibid. pp. 343-4.; Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 261 et seq.; Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 117 and 160-1. and H's. U.H.W., 8, Chronicle III ... ibid. pp. 882 and 990-1.

ومقدسة عنده،فغضب وصمم على أن يبدد مياهه حتى تستطيع النساء عبوره• وقد تم له ذلك ، ولكنه أضاع عـلى نفسه فرصـة الاستفادة من فصـل الصيف[2] • ومن الواضح أن رواية هيرودوت خيالية بدرجة كبيرة، لان فصل الصيف هو فصل الانخفاض فى مستوى مياه أنهار العراق • وديالـ نهر صغير ويمكن أن يجتاز خوضا عند أكثر من موضع • واذا تركنا رواية هيرودوت يكون قورش قد سلك بجيوشه لفتح سهل العراق أحد المسالك المعروفة التى تصل بينه وبين داخل هضبة ايران ، أو بينه وبين الاتجاهات الاخرى التى يحتمل أن يكون قورش قد تقدم منها كأرض علام أو أرض آشور • واذا كان قد تقدم من علام[3] ، فمن اتحتمل أن يكون تقدمـ قد جرى خلال مستنقعات سوسيانا ، أو على حافتها ، الى أرض سـومر القديمة ، وهي القسم الجنوبى من هذا السهل • أما اذا كان قد تقدم مـن اكباتانا ، وهى عاصمة دولة الميديين وقد اتخذها قورش عاصمة لـه أيضا فتكون بوابة زاجروس هى مدخله الطبيعي•وأما اذا كان قد تقدم من أرض آشور فيكون مسلكه طريق كركوك أو طريق وادي نهر دجلة • وقدومـ من هذا الاتجاه الاخير أكبر احتمالا • ذلك لان فتح بابل قد حدث مباشر بعد فتح هضبة الاناضول • وكذلك لان أحد الامراء فى أرض آشور كان يقود قسما من جيشه أثناء الفتح[4]•

(٢) أنظر الاشارة الى هذا المرجع فى :
Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 76-8.

(٣) See, Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire ... ibid. p. 223.

(٤) See, Gray, G.B.; The Foundation and Extension of the Persian Empire, in the C.A.H., vol. 4, pp. 11-12.; Delaporate, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 59.; Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire ... ibid. pp. 223-4.; Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 262.; Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 163-6. and H's. U.H.W., 10 Chronicle IV, Persia and Greece in Collision: 550-47 B.C., p. 1086.

وقد حدثت أول موقعة بين الفرس وبين الكلدانيين فى أوبيس • ولو تحقق موقع هذه المدينة لسهل بدرجة كبيرة معرفة الاتجاه الذى قدم منه قورش ، الا أن موقعها غير محقق ، وتتضارب حوله الآراء • فيرى بعض الباحثين احتمال أن يكون فى المنطقة المحيطة بموقع سوكيا ـ طيسفون[٥] • أى فى المنطقة التى يصب عندها نهر دياله فى نهر دجلة • واذا صح ذلك يحتمل كثيرا أن يكون قورش قد تقدم من بوابة زاجروس • الا أن الموقع المتواتر لهذه المدينة يقع الى الشمال بمسافة كبيرة ، أى فى منطقة القادسية ، وهى تقع فى جنوب سامراء بعدد قليل من الكيلومترات[٦] • واذا صح أن أوبيس كانت فى هذا الموضع الاخير يكون قدوم قورش من بوابة زاجروس موضع شك • لان أوبيس عندئذ لاتكون على طريق بابل ، وانما تكون فى اتجاه مضاد لاتجاهها • وكذلك لان موقع أوبيس عند رأس خط التحصينات المعروف بالحائط الميدى ، يعنى أنها كانت حصنا قويا • وليس من المعقول أن يضعف قورش قوته فى مهاجمة حصن لا يعترض طريقه ، بينما ينبغى عليه أن يحتفظ بقوته سليمة لموقعة مدينة بابل ، وهي الاقوى تحصينا • والذى يستنتج مما تقدم هو أنه اذا كانت أوبيس تقع فى منطقة سلوكيا ، فمن المحتمل أن يكون قدوم قورش قد حدث من بوابة زاجروس • وأما اذا كانت تقع فى منطقة القادسية ، فالاكثر احتمالا أن يكون قدومه قد حدث خلال أرض آشور •

وبعد أن أتم قورش اخضاع سهل العراق عاد الى مناطق الهضاب

---

(٥) See, Lloyd; Twin Rivers ... ibid. p. 76. See also Musil, A.; The Middle Euphrates ... ibid. pp. 263-6.

(٦) See, Brown, Sir H.; Irrigation ... ibid. footnote 1 p. 5. and Ainsworth, W.; Researches in Assyria ... ibid. p. 174.

أنظر الخريطة رقم ٣ • وراجع أيضا الفريق طه الهاشمى ، مفصل جغرافية العراق ••• المرجع السابق ص ١١٨ •

لاخماد ثورة قامت فيها ، وهناك قتل • وخلفه قمبيز الثانى الذى تم على يديه فتح مصر وجزيرة قبرص والجزر اليونانية الواقعة أمام سواحل آسيا الصغرى • أما دارا الاول (٥٢١ – ٤٨٦ ق•م) فقد مد حدود الامبراطورية الفارسية وراء ذلك • فمدها نحو الغرب الى وادى الدانوب ونحو الشرق الى وادى السند والى ما وراء نهر أوكسس[٧] • وهو بهذا يكون قد ربط ربطا مباشرا بين حضارة الشرق الاوسط وبين حضارة الهند من جهة ، وبينها وبين حضارة الاغريق وجنوب شرق أوربا من جهة أخرى • واذا صح قول نيوبجين ، أن الارز لم يدخل الى سهل العراق الا فى القرن الخامس قبل الميلاد[٨] ، فمن المرجح أن يكون دخوله قد حدث فى عهد دارا نتيجة للاتصالات التى أوجدها بين وادى السند وبين وادى دجلة والفرات • أما فتوحات الفرس فى الجزيرة العربية ، فالمعروف أن قورش الثانى بعد أن فتح بابل وجه حملة الى تيماء التى كانت من ممتلكات الكلدان لمنع الانباط من الاستيلاء عليها • وفيما عدا ذلك ، لايبدو أنهم قد بذلوا محاولات جدية فى سبيل السيطرة على الجزيرة العربية • وانما المحتمل ، كما يقول هيرودوت ، أنهم صادقوا بعض سكانها واتخذوهم حلفاء لهم[٩] • ومع ذلك ، يلاحظ

---

(٧) See, The Historian's History of the World, vol. 2, pp. 609 et seq. Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 174-7. and H's. U.H.W., 10, Chronicle IV ... ibid. pp. 1090-1.

(٨) See, Newbigin, M.I.; The Mediterranian Lands ... ibid. p. 74. and Cf. Myres, J.L.; The Dawn of History ... ibid. p. 88,

وقارن حامد محمود الباقينى ، زراعة المحاصيل المصرية القاهرة ، ١٩٤٣ ، ص ٢٦٢ •

(٩) راجع الدكتور جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الاول •• المرجع السابق ص ٣٧١ •

O'Leary, De L.; Arabia Before Mohammad ... ibid. pp. 43-4.

أن دارا كان يلقب نفسه بلقب ملك بلاد العرب بجانب ألقابه الاخرى(١٠) •
وقد وردت اشارات فى نصوص تنسب اليه ، انه كان يأخذ الجزية من كل الملوك الذين يسكنون القصور بين البحر الاعلى وبين البحر الاسفل ، وكذلك من كل الملوك الذين يعيشون فى الخيام فى الاراضى الغربية(١١) •

وكانت الامبراطورية الاخمينية عظيمة الاتساع • وكان سكانها فى مجموعهم أرقى حضارة من الفرس أنفسهم • وكانوا لهذا شديدى الحساسية وسريعى الثورة والانتفاض • ولم يستكن البابليون ، في بادىء الامر ، لحكم الفرس وقاموا بعدة ثورات حتى جاء دارا وأخمد احداها بقسوة • ويقال أنه هدم أسوار بابل ومثل بثلاثة آلاف من سكانها وطرد منها الباقى • ثم أعاد تعميرها بسكان آخرين جاء بهم من جهات أخرى(١٢) • ولا تعرف هذه الجهات على وجه التحديد ، ولكنها اذا كانت تقع فى خارج محيط العالم السامى فان دارا يكون بعمله هذا قد أضاف الى التكوين الاثنوغرافي للشعب البابلى تعقيدا بجانب ما أضافه اليه الاشوريون ثم الكلدان • على أن أكبر من زاد فى التعقيد البشرى لسهل العراق مائة ألف من الجنود المرتزقة جمعهم قورش الصغير من جهات أسيا الصغرى أثناء تقدمه لمحاربة أخيه أخشويرش الثانى (٤٠٤ – ٣٥٩ ق•م•)فى موقعة كوناكسه فى سهل بابل ثم تشتتهم فى هذا السهل بعد هزيمته وقتله(١٣) • ومن الملاحظ ، أنه كلما ازداد التعقيد

(١٠) See, The Historian's History of the World, vol. 2 ... ibid. p. 613.

(١١) See, Gray, G.B.; The Foundation and Extension of the Persian Empire ... ibid. p. 14. and Stark, F.; The Southern Gates of Arabia, London, 1944, p. 5.

(١٢) See, The Historian's History of the World, vol. 2, p. 606.
وراجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج ٢ ••• المرجع السابق ص ٤٠٦ •

(١٣) The Historian's History of the World, vol. 2 ... ibid. p. 619.

فى التكوين البشرى ازداد ضعف الاحساس بالروح القومية • واذا نظرنا الى الشعب البابلى لا نجده ، فى الواقع ، قد قام بعد ذلك بثورات مهمة • ولا يعرف ان كان هذا بسبب ما أصاب روحه القومية من ضعف ، أم كان بسبب المزايا التي ترتبت على الموقع الجغرافي لبلاده بين جهات الامبراطورية الاخمينية • لان المسالك الطبيعية الآتية من داخل هضبة الاناضول أو من مصر والعالم السورى نحو اكباتانا أو نحو سوسه،تلتقى فى سهل العراق• كما تلتقى فيه تجارة الهند والخليج العربى مع تجارة الجزيرة العربية الآتية في بعض المسالك • ولهذا ، كان من الطبيعى جدا أن يلعب هذا السهل دورا هاما فى ذلك الوقت • ولعل من أوضح الادلة على هذه الاهمية ، اختيار الفرس مدينة بابل لتكون عاصمة لهم بجانب عواصمهم الاخرى فى هضبة ايران(١٤) •

ولا شك فى أن اختيار بابل عاصمة قد صان لسهل العراق تراث حضارته القديمة ، وحفظ له وظيفته كمركز رئيسى لنشر الحضارة على طول خطوط مواصلاته مع جهات الشرق الاوسط • كما قوى مركزه كسوق كبير للتجارة تخرج منه قوافل وتتجه اليه أخرى من جهات الامبراطورية الاخمينية • الا انه يلاحظ ، أن العواصم الفارسية كانت متركزة فى جزء صغير من جسم الامبراطورية المترامية الاطراف • وهذا ، يكون ناحية ضعف خطيرة فى بنائها • فقد شجع على قيام ثورات مستمرة فى الجهات النائية منها ، وخاصة فى الجهات الغربية كمصر وبلاد اليونان(١٥) • ولقد عالج أباطرة الفرس ، وعلى الاخص دارا الاول ، هذا

(١٤) See, The Historian's History of the World, vol. 2, pp. 633 and 644 King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. p. 8. and Cf. Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 167, 176-7 and 217.

(١٥) See, Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 195 et seq.

طر بعدة وسائل • وكان من بينها ربط ولايات الامبراطورية بمراكـز
كم بطرق ممهدة ، وكذلك ربطها بنظام محكم للبريد يضمن نقل الاخبار
رسائل بسرعة كبيرة أدهشت هيرودوت(١٦) •

ومن المحتمل أن يكون الفرس قد قلدوا الاشوريين أو البابليين في
ام البريد ، لانه كان معروفا لديهم من قبل(١٧) • واستفادة الفرس من
عب البابلى – الاشورى في كثير من الاشياء محتملة • وعلى الاخص
هم كانوا ضعيفى الحضارة • وقد لوحظ أن عناصر الفن الفارسى كانت
ها تقريبا مستقاة من الخارج(١٨) • وتعطى صلات الجـوار ، كما يعطى

(١ See, Gray, G.B. and Cary, M.; The Reign of Darius, in the C.A.H. vol. 4, pp. 193 et seq., Lloyd, S.; Twin Rivers ... ib p. 79. Schneider, H.; The Histiry of World Civilisation, vol. 1 ... ib p. 326.; Grundy, G.B.; The Persians and the Empire of the Gr King ... ibid. pp. (1143-4.); The Historians History of the World, v 2 ... ibid. pp. 606-8.; Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ibid. p. 59. and Marriott, Sir J.; The Conception of Empire ... ib p. 401.

وراجع أيضا ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثانى ... المرجع
سابق ص ٤١٢ و٤٢١ •

(١ See, Thomson, R.C.; The Influence of Babylonia, in the C.A.H., vol. 3, p. 242. also Thomson, R.C,; The Life of Imperial Ninev and Babylon...ibid. pp. 959-60.; Schneider, H.; The History of Wo Civilisation ... ibid. p. 327.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. pp. 6 and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 198.

(١ See, Grundy, G.B.; The Persians and the Empire the Grea King ... ibid. p. 1145.; Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ib pp. 168-9.; See also Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ibid. pp. 61-7. and Gray, G.B.; and Cary, M.; The Reign of Darius ibid. p. 201.

وراجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضـارة ، ج ٢ ... المرجــع
سابق ص ٤٤٥ و٤٥٣ •

الوضع السياسى لمدينة بابل كعاصمة ، ترجيحا فى أن يكون تأثر الفـرس
بالحضارة البابلية أكبر من تأثرهم بحضارات الجهات الاخرى التى تتضمنها
الامبراطورية •

ومن بين ما أخذه الفرس عن البابليين فن الكتابة • فقد أخذوا علامات
الخط المسمارى واشتقوا منها أحرفا(١٩) ، كما أخذوا أحرفا أخرى مـن
الخط الآرامى ، ووضعوا أساس الكتابة البهلوية • الا أنهم ، على ما يبدو ،
قد احتضنوا الكتابة الآرامية واستخدموها فى كتابة وثائقهم(٢٠) • وهـذا
طبيعى الى حد كبير ، لان الكتابة الآرامية كانت أسهل بكثير من الكتابــة
المسمارية التى كانت علاماتها تبلغ نحو ٥٥٠ علامة • كما أن اللغة الآرامية
قد أضحت المتفوقة بين اللغات السامية الاخرى ، وعلى الاخص فى شـئون
التجارة • وكان احتضان الفرس للكتابة الآرامية عاملا على نشرها فى جهات
الامبراطورية وفيما وراء محيطها من بعض الاتجاهات(٢١) • كمـا كان
عاملا على اضعاف اللغة البابلية وكتابتها • ويبدو أن اضمحلال الخط المسمارى
كان سريعا • اذ قد أصبح غير ذى موضوع • ذلك ، لان معرفة الكتابة كانت

---

(١٩) Minns, E.H.; The Alphabet: Its Origins and Importance for Civilisation ... ibid. p. 1069.; King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. p. 2.

وراجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضـارة ، ج ٢ ... المرجــع
السابق ص ٤١١ •

(٢٠) See, Schneider, H.; The History of World Civilisation, vol. 1 ... ibid. p. 350.; Minns, E.H.; The Alphabet ... ibid. pp, 1070 and 1080.; Gray, G.B. and Cary, Mi; Reign of Darius.. ibid. p. 202.; and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 265-6.

(٢١) See, Minns, E.H.; The Alphabet ... ibid. pp. 1075 and 1080.; Gray, G.B. and Cary, M.; The Reign of Darius ... ibid. p. 202.; The Historian's History of the World, vol. 2 ... ibid. pp. 633-4. and O'Leary, De L.; How Greek Science passed to the Arabs ... ibid. p. 280.

قاصرة على طبقة معينة • وهذه كانت بلا شك متأثرة باحتضان الفرس للكتابة الآرامية التي كانت تتميز بأنها تكتب بالقلم والحبر • أما اللغة البابلية، فيبدو أنها قاومت مدة أطول من مقاومة الكتابة • وذلك لانها لغة الشعب، ومنه رجال الدين المحافظون على الشعائر الدينية التقليدية • ومنه أيضا الفلاحون ، وهم أغلبيته • ومن الملموس أن صلات الفلاحين بالمؤثرات التى تؤثر كثيرا فى سكان المدن تكون عادة محدودة • ومع ذلك يلاحظ أن اللغة البابلية قوية الصلة باللغة الآرامية ، لان كلا منهما يعتبر فرعا من مجموعة اللغات السامية • ولهذا يكون أخذ احداهما من الاخرى ألفاظا وتعابير أمرا محتملا • وليس بعيد الاحتمال أن تكون اللغة المستعملة فى سهل العراق فى أواخر عهد الاخمينيين قد أضحت خليطا من اللغة البابلية القديمة ومن اللغة الآرامية الحديثة(٢٢) • واذا صح أن احتضان الفرس لكتابة الآراميين قد أدى الى انتشار لغتهم وكتابتهم فى سهل العراق على حساب لغة البابليين وكتابتهم ، فانهم بذلك يكونون قد أدوا خدمة للمسيحية ساعدت على انتشارها فى هذا السهل ، كما أنهم يكونون قد ساعدوا على انتشار الثقافة الهيلينية فيه • ذلك لان نساطرة نصيبين وأدسا الذين قاموا بنشر المسيحية الاغريقية فى الامبراطورية الفارسية وخاصة فى سهل العراق ، كانوا ينشرونها بلغة السريان وكتابتهم ، أى بلغة الآراميين وكتابتهم(٢٣) •

وبالرغم مما تقدم ،تبغى الاشارة الى أن الكتابة البابلية كانت تستخدم بصورة رسمية • وكانت تسجل بها أيضا الحوادث التاريخية ، كما تدل على

---

(٢٢) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. p. 7.

(٢٣) O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. pp. 7-8. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. pp. 185 and footnote.

ذلك نصوص دارا التى عثر عليها منقوشة على صخرة فى مرتفعات ميديا(٢٤) • واستخدام الكتابة البابلية يعطى احتمالا فى أن يكون دارا وغيره من بناة الامبراطورية الاخمينية قد استفادوا من الشرائع التي وضعها حمورابى • ذلك لانها كانت لا تزال مطبقة فى سهل العراق • كما يعطي أيضا احتمالا فى أن تكون آداب بابل وعلومها قد أثرت فى الثقافة الفارسية، وعلى الاخص النواحي التى كانت لها فيها شهرة مدوية كعلوم الطب والتنجيم(٢٥) • على أننا اذا تركنا الناحية الثقافية التى يصعب فيها تحديد مدى تأثير الثقافة البابلية فى الثقافة الفارسية بالنسبة لتأثير ثقافات الشعوب الاخرى فيها ، نجد أن الناحية المدنية أكثر وضوحا • اذ توجد بعض آثار تدل على أن الفن الفارسى قد تأثر بالفن البابلى كما تأثر بالفن الاشورى • الا أنه يستدل من هذه الآثار على أن تأثير الفن الاشورى كان أقوى من تأثير الفن البابلى(٢٦) • وهذا طبيعى • لان هناك بعض أوجه شبه بين أرض آشور وبين هضبة ايران وعلى الاخص من ناحية توفر الحجارة لدى كل منهما ، بينما تفتقر أرض سهل العراق اليها افتقارا كليا • وبالرغم من ذلك ، يلاحظ أن الفرس قد أخذوا عن البابليين فكرة الابنية المدرجة ،

---

(٢٤) See, Thomson, R.C.; The Influence of Babylonia ... ibid. pp. 243-5. Macalister, R.E.S.; Exploration and Excavation ... ibid. pp. 124-5. and Olmstead, E.T.; History of the Persian Empire ... ibid. pp. 68 and 116-17.

راجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضارة .. المرجع السابق ص ٢٣٦ _ ٧ .

(٢٥) See, Schneider, H.; The History of World Civilization, vol. 1 ... ibid. pp. 170 et seq.

(٢٦) See, Schneider, H.; The History of World Civilization, vol. 1 ... ibid. p. 358.; Hall, H.R.; Egypt in the Brilliance of Decay ... ibid. p. 1029. and the Historian's History of the World, vol. 2 ... ibid. p. 634.

أى الزاقورة ، واستخدموها فى بناء بعض قصورهم فى سوسه وفى برسبوليس وفى غيرهما[٢٧] • ولكنهم بدلا من أن يقيموها على أسس من الآجر ، كما كان يفعل البابليون مضطرين ، أقاموها من الحجارة المتوفرة لديهم • وكذلك أخذ الفرس عن الاشوريين وعن البابليين الكثير من فن النحت• ومن أوضح الادلة على ذلكتماثيل الثيران الضخمة ذات الاجنحة وذات الوجه البشرى • فان هذه التماثيل التى ترجع الى أصل قديم فى آشور وفي بابل ، وجدت تزين مداخل بعض القصور الفارسية • كما أخذوا عن البابليين مدنية الطوب المطلى بالميناء واستخدموه فى زخرفة قصورهم[٢٨] •

أما تأثير الفرس على البابليين[٢٩] فيبدو أنه كان ضعيفا • وهذا طبيعى • لاننا اذا استثنينا الحضارة العلامية التى قامت فى سهول سوسيانا ، لا نجد فى هضبة ايران بيئة تصلح لان تقوم فيها حضارة راقية • ومما يلاحظ أن الفرس ، كطبقة حاكمة ، قد فشلوا في نشر لغتهم فى أنحاء امبراطوريتهم • وربما يرجع ضعف التأثير الفارسى الى السياسة التى اتبعوها فى ادارة امبراطوريتهم ، فانها قد قامت على التسامح وعلى ترك كل ولاية تدير شئونها الداخلية بنفسها • على أن تشترك بنصيب فى الدخل

---

(٢٧) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ··· المرجع السابق ص ٤٤٩ • وراجع أيضا :
Gray, G.B. and Cary, M.; The Reign of Darius ... ibid. p. 202.

(٢٨) See, Gray, G.B. and Cary, M.; The Reign of Darius ... ibid. pp. 202-4. and Schneider, H.; The History of World Civilisation, vol. 1 ... ibid. pp. 358-9.

راجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ··· المرجع السابق ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ و٢٤٩ ، ٢٥١ •

(٢٩) أشرنا الى تأثير الفن الاشورى فى الفن الفارسى لانه كان ممثلا • أما بعد أن سقطت نينوى فلم يعد هناك من يسمى بالشعب الاشورى •

العام للامبراطورية • وعلى أن تشترك أيضا بنصيب فى القوة المحاربة كلما طلب منها[٣٠] • ومن أبرز ما يدل على هذا التسامح ، أنهم لم يحاولوا أن يفرضوا على شعوب امبراطوريتهم مبادىء العبادة الزرادشتية التى اعتنقوها • وتركوا لكل ولاية حريتها فى العبادة • بل انهم قد ساعدوا بعضها ماديا على اعادة بناء معابدهم التي كانت قد تخربت أثناء الحروب الاشورية والكلدانية[٣١] • وأكثر مما تقدم ، يبدو أن الفرس أنفسهم ، بعد عهد دارا ، قد ابتعدوا بعض الشىء عن مبادىء العبادة الزرادشتية[٣٢] • وربما حدث ذلك تحت تأثير عبادات بعض شعوب الامبراطورية • لانه من المعروف أن دارا كان يبتهل الى اله واحد فقط هو ، أهور ـ مزدا • أما اخشويرش الثانى فكان يبتهل الى ثلاثة آلهة من بينها أناهيتا ، الهة الخصوبة عند البابليين • ويقول بروسس المؤرخ البابلى أن أخشويرش الثانى هو أول من علم الفرس عبادة الآلة فى صورة بشرية[٣٣] • ومع

---

(٣٠) See, Marriott, Sir J.; The Conception of Empire ... ibid. p. 401.; H's. U.H.W., 10, Chronicle IV ... ibid. pp, 1087-8,; Grundy, G.B.; The Persians ... ibid. p. 1144.; Schneider, H.; The History of World Civilisation, vol. 1 ... ibid. p. 327. and Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 169 et seq.

(٣١) See, Gray, G.B.; The Foundation and Extension of the Persian Empire ... ibid. pp. 12-15.; Cook, S.A.; The Fall and Rise of Judah, in the C.A.H. vol. 3, pp. 409 et seq.; Macalister, R.A,S,; The Topography of Jurasalem, in the C.A.H., vol. 3, p. 352.; Haas, W.W.; Iran ... ibid. pp. 10-11.; Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 170-3.; H's. U.H.W., 10, Chronicle IV ... ibid, p, 1087, and Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. pp. 94-106.

(٣٢) See, Schneider, H.; The History of World Civilisation, vol. 1 ... ibid. p. 323.

(٣٣) See, Gray, G.D. and Cary, M.; The Reign of Darius ... ibid. pp. 210-11. and Schneider, H.; The History of World Civilisation ... vol. 1. ibid. pp. 332-3 and 341.

ذلك ، فان بعض الباحثين يرى أن الديانة الزرادشتية قد خلفت آثارا فى الديانة البابلية • وأن أهورا ـ مزدا عند الفرس قد أخذ تسمية مثراس ، وهى الزهرة ، عند البابليين[٣٤] •

ويمكن أن يستنتج من اهتمام الفرس بمد الطرق في أنحاء امبراطوريتهم من مراكز الحكم فيها ، ان الحضارة البابلية قد شقت طريقها وراء ما يكتنفها فى بعض اتجاهات الشرق الاوسط الى العالم الاغريقى[٣٥] • وذلك ، لان الطريق الملكى الذى كان يبدأ من بابل أو يتصل بها اتصالا وثيقا ، كان ينتهى عند بعض الموانىء الهامة الواقعة على الساحل الغربي لاسيا الصغرى الذى تسكنه عناصر اغريقية والذى يشرف على العالم الاغريقى فىجزر بحر ايجه ووراء الجوانب الاخرى لهذا البحر • ومن المعروف أن استخدام الطريق الملكى لم يكن قاصرا على الرسل الملكيين وعلى سعاة البريد فحسب ، وانما كانت تستخدمه أيضا الجيوش وقوافل التجارة •

ومن الطبيعى أيضا أن يتأثر البابليون كذلك بحضارات الاغريق وغيرهم من شعوب الامبراطورية الاخمينية • الا أن مدى هذا التأثير غير محقق • ذلك ، لان الاغريق مثلا كانوا أمة بحرية • وكان نشاطهم

(٣٤) See, Cook, S.A.; The Gods of the Twilight ... ibid. pp. 654 et seq.

(٣٥) عن تأثير الحضارة البابلية فى الحضارة الاغريقية ، راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ... المرجع السابق ، ص ٢٦٢ • وراجع أيضا :

Thomson, R.C.; The Life of Imperial Nineveh and Babylon ... ibid. pp. 976-7 and 980.; Cornford, F.M.; Mystery Religions and Pre-Socratic Philosophy, in the C.A.H., vol. 4, p. 539.; Hogarth, D.G,; The Ancient East ... ibid. p. 240.; Rostovtzeff, M.; Rhodes, Delos and Hellenistic Commerce, in the C.A.H., vol. 8, p. 661. and Olmstead, A.T.; History of the Persian Empire ... ibid. p. 74.

لا يزال قاصرا بدرجة كبيرة على السواحل الشمالية الشرقية والشرقية للبحر المتوسط ، ولم تتهيأ لجموعهم الفرصة للتوغل فى داخل بلادالشرق الاوسط الا بعد فتح الاسكندر[٣٦] • أما فى العهد الاخمينى فقد كان تأثيرهم لا يزال قاصرا بدرجة كبيرة على ما تحمله تجارتهم من عناصر حضارتهم •

ولعل أعظم من ربط بين حضارة الاغريق وبين الحضارة البابلية ـ الفارسية ، جماعة من مغامرى تجار الاغريق ومكتشفيهم،وكذلك بعض ذوى المؤهلات الخاصة الذين استخدمهم ملوك الفرس في بعض الاغراض • ولهذا تهيأت الفرصة بالنسبة للاغريق لان تنقل هذه الجماعة اليهم بعضا من النواحى المادية والروحية للحضارة البابلية ، بينما لم يتهيأ مثل ذلكعلى مايبدو بالنسبة للبابليين• لان بابل كانت فىذلكالوقت قبلة للشرق وللغرب • فانها لم تكن عاصمة من عواصم الامبراطورية فحسب بل كانت أيضا سوقها التجارى ومركزها الصناعى[٣٧] ، مما جعلها بؤرة تلتقى فيها مؤثرات الجهات ذات الحضارات القديمة مع مؤثرات الجهات الاخرى ذات الحضارات الحديثة ثم تنصهر فى حضارتها وتنطبع بطابعها الخاص •

وفي الواقع أن بابل قد لعبت في عهد الاخمينيين الدور الذى يؤهلها له موقعها الجغرافى بين جهات الشرق الاوسط • فقد أصبحت لاول مرة مركزا رئيسيا فى وحدة سياسية تضمنت كل جهات هذا الشرق ، كما تضمنت أيضا المواقع التى تجعل اتصالاتها حرة مع العالم الخارجى • فقد

(٣٦) See, Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. 83-4.

(٣٧) See, The Historian's History of the World, vol. 2 ... d. p. 633.

تفتحت أمامها الابواب ، دون حواجز ، الى الهند والى وسط أسيا من جهة، والى قلب أوربا والى قلب افريقية من جهتين أخريين • ولم تكن امبراطوريتهم الاخمينيين وحدة سياسية فاقت رقعتها رقعة أى امبراطورية أخرى عرفها الشرق القديم من قبل ، بل كانت أيضا وحدة اقتصاديـة وتتضمن ثروات اقتصادية ضخمة زراعية ورعوية ومعدنية ، كما كانت تتضمن أعظم البيئات التجارية البحرية المعروفة سواء فى البحر المتوسط أم فى الخليج العربى •

وكان قسم من هذه الثروات تحمـله قوافل نحو عواصم الامبراطورية • وبذلك لـم تكن بابل احـدى عواصم الامبراطورية فحسب ، بل كانت أيضا روما الفرس تتجه اليها قوافل التجارة مـن الاتجاهات المختلفـة • وكانت لهذا ، المركز الاول للنشاط البشرى فيها • فكانت شوارعها تموج بأبناء الشعوب المختلفة الذين جاءوا اليها طامعين فى الثـراء(٣٨) • وحتى أسرى اليهود قد فضل عدد كبير منهم البقاء فيها بعد فك أسره على العـودة الى أورشليم(٣٩) • ولا نجد أدل على مبلغ تأثير الموقع الجغرافى لسـهل العراق على نشاطه التجارى من أنه كان مهدا لاول نظام للبنوك عرفـه العالم(٤٠) • كما كان الوحيد بين مقاطعات الامبراطورية الذى كان عليـه أن يدفع كل يوم مقدارا من الفضة يقدر بمبلغ نحو ٣٠٠ ألف جنيـه ، وهذا عدا ما كانت تدفعه عينا من غلاتها • وكان حاكم بابل يجبى كل يوم

---

(٣٨) See, The Historian's History of the World, vol. 2 ... ibid. p. 633.

(٣٩) See, Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 172-4. and Brestead, J.H.; Ancient Times ... ibid. p. 233.

راجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ٠٠٠ المرجع السابق ص ٣٦٤ ـ ٦٥ •

(٤٠) See, Rostovizeff, M.; Rhodes, Delos and Hellenistic Commerce ... ibid. pp. 660-1.

مبلغا آخر يوازى نحو ١٠٠ ألف جنيه • ويروى هيرودوت قصة عن هذا الحاكم وكيف أنه كان مخصصا أربع قرى من قرى سهل العراق لسـد مطالب كلاب صيده التى كان يأتى بها من الهند(٤١) • وهذه القصة قد تدل على فساد في الحكم ، ولكنها ، بجانب ذلك ، قد تدل أيضا على حياة بالغة الترف والرفاهية من الثراء المسبب عـن نشاط واسع في التجـارة وفـى الصـناعة •

ولم يكن النشاط التجارى فى سهل العراق قائما على ما تحمله القوافل بطريق البر فحسب ، بل كان يقوم ايضا على ما تحمله السفن بطريق المـاء سواء اكانت فى البحر المتوسط بواسطة سفن الفينيقيين وشعوب عالم بحـر ايجه ام كانت فى الخليج العربى بواسطة سفن الفرس انفسهم وسفن بعض البيئات البحرية على السواحل العربية لهذا الخليج • والنشاط البحرى فى الخليج العربى هو خلاصة ممارسات طويلة بدأت منذ عهد السومريين أوقبل عهدهم • وقد استمر هذا النشاط ، ولم يتوقف خلال حكم البابليين والآشوريين والكلدان • ويقول بلاتو الذى عاش حول اواخر القرن الخامس او فى اوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، ان الفرس لا يغلبون فى البحر لكثرة عدد سفنهم وقوتها وكذلك لمهارتهم الملاحية(٤٢) •

ولم يغفل الاخيمينيون عن أهمية الموقع الجغرافى لسهل العراق • فحاولوا منذ عهد دارا الاول ربطه ببعض الجهات النائية فى الامبراطورية بمواصلات بحرية بجانب الطرق البرية • ففى سنة ٥١٢ ق•م وصل دارا فى فتوحاته

---

(٤١) See, The Historian's History of the World, vol. 2 ... ibid. pp. 609 and 646-7.

(٤٢) See, Chesney, Lt-Col. F.R.; The Expedition for the Survey of the River Euphrates and Tigris, vol. 2, London 1850, pp. 576-7. and Eldridge, F.B.; The Background of Eastern Sea Power ... ibid. p. 19.

الى البنجاب (٤٣) • ولكنه لم يمد فتوحاته فى سهول هندستان الخصبة، وانما نزل في وادى السند ليفتتح طريقا ملاحيا الى سهل العراق • وهذا طبيعى ، لانه بالرغم من أن الهند تجاور أرض فارس ، الا أن الممرات الجبلية التى تربط بينهما وعرة وتستطيع بعض القبائل الجبلية أن تسيطر عليها وتمنـــع المرور فيها (٤٤) • كما أن الجليـد يغلفها فى بعض الاوقات فــى فصـــل البرودة (٤٥) • وفضلا عن ذلك فان النقل الملاحى أسـهل وأرخص • اذ تستطيع السفينة الواحدة ان تحمل من مواد التجارة مثلا بقدر ما تستطيـــع عشرات من البغال أو الحمير أن تحمله • ولفتح الطريق البحرى أنشأ دارا أسطولا قاده سكيلاكس – Scylax الاغريقى ونزل به مصب السـند الى مياه البحر العربى • والمدة التى قضاها سكيلاكس مبحرا ادت الى جدل بين العلماء فيما اذا كان دارا قد رمى من وراء هذا الاسطول الى فتح طريق محدد بين وادى السندوبين وادى الرافدين، أم أنه قد رمى الى كشف جغرافى أبعد مدى • والمعروف ان سكيلاكس وصل بعد ثلاثة شهور تقريبا من رحلته الى سواحل جدروشيا • وتختلف الاراء حول هذه الارض • فتراها بعض المصادر فى ساحل مكران • بينما تراها بعض مصادر اخرى فى بلاد العرب، او على سواحل الخليج العربى والمقصود به هنا البحر الاحمر (٤٦) • ومهما

---

(٤٣) See, H's. U.H.W., 10, Chronicle IV ... ibid. p. 1090.

(٤٤) See, Sykes, Sir P.; Persia ... ibid. p. 98. and Cary, M.; The Geographic Background ... ibid. p. 197.

(٤٥) See, Forbes, R.; Russian Road to India By Kabul and Samarkand, in Penguin books, 1940, pp. 80 et seq.

(٤٦) See, Cary, M.; The Geographic Background ... ibid. p. 194.; The Historian's History of the World, vol. 2 ... ibid. pp. 609-11.; Wilson Lt-Col. Sir A.T.; The Persian Gulf ... ibid. p. 36.; Spilhaus, M.W.; The Background of Geography ... ibid. p. 28. and Sykes, Sir B..A History of Exploration ... ibid. p. 17.

كانت الارض التى وصل اليها سكيلاكس ، فانه وصل فى النهاية الى رأس الخليج العربى وفتح طريقا بين وادى السـند وبين وادى الرافدين (٤٧) • ويبدو أنه في عهد دارا ايضا قد فتح طريق بحرى اخر يصل بين وادى النيل وبين وادى الرافدين (٤٨) • لانه من المعروف أن دارا قد أمر باعادة حفر القناة التى كانت تربط بين النيل وبين البحر الاحمر (٤٩) • اذ يقـول فى بعض نصوص له لقد امرت بحفر قناة من النيل الى البحر الذى يذهب الى فارس • كما يقول فى نص آخر ما يدل على ان هذه القناة قد حفرت فعلا ، وان الطريق الملاحى قد افتتح ، وان السفن كانت تأتى فى هذه القناة من مصر الى فارس (٥٠) • والواقع ان آثار ذلك قد ظهرت سريعة فى مصر ، اذ اخذ يفد اليها تجار من البابليين ومن الفرس وغيرهم • كما اخذت الكتابة الآرامية تظهر في عهد دارا فى كتابة العقود بجانب الكتابة المصرية • وبازدياد النشاط

---

(٤٧) See, King, L.W.; A History of Babylon ... ibid. p. 7.; Wilson, Lt-Col. Sir, A.T.; The Persian Gulf ... ibid. p. 36. and O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 67.

(٤٨) See, Eldridge, F.B.; The Background of Eastern Sea Power ... ibid. p. 19. and Herzfeld, E.; Zoroaster and his World, Princeton, 1947, vol. 2, pp. 652-669.

(٤٩) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 72.; Eldridge, F.B.; The Background of Eastern Sea Power ... ibid. p. 19. and Wilson, Lt-Col. Sir A.T.; The Suez Canal, Oxford, 1939, pp. 1 et seq.

راجع أيضا ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ••• المرجع السابق ص ٤١٤ •

هذا ويبدو أن هذه القناة كانت تبدأ من الفرع البيلوزى فى منطقة الزقازيق وتمتد خلال وادى طميلات الى منطقة السويس •

(٥٠) See, Gray, G.B. and Cary, M.; The Reign of Darius ... ibid. p. 200.

البابلى – الفارسى ازداد طغيان الكتابة الارامية على الكتابة المصريـة[٥١] • ولعل هذا الوقت مناسبا للقول بأنه فى خلال هذه الاتصالات انتقلت من مصر الى بابل معرفة اوراق البردى والكتابة عليها[٥٢] •

وقد استمرت بابل ، بسبب موقعها الجغرافى ، محتفظة ببعض رخائهاطوال مدة الاضمحلال التى اصابت غيرها من بعض الجهات الاخرى فى اواخـر عهد الامبراطورية الفارسية[٥٣] ، حتى جاء الاسكندر فحاول ان يعيد لها مجدها ، ولكن تصرف السلوكيين، وهم خلفاؤه،قد أدى الى ابعادها عن هذا المجد خلال مدة حكمهم •

---

(٥١) See, Hall, H.R.; Egypt to the Coming of Alexandar, in the C.A.H., vol. 6, p. 137.

(٥٢) See, Rostovtzeff, M.; Rhodes, Delos and Hellenistic Commerce ... ibid. p. 665.

(٥٣) The Historian's History of the World, vol. 2 ... ibid. pp. 632-3.

٩ – الاسكندر والسلوكيون

أدت فتوحات الاسكندر الى بدء علاقات جديدة بين الشرق وبـين الغرب ، وحولت مجرى التاريخ من أسيا الى اوروبا • فقد مد الفرس في عهد دارا الاول فتوحاتهم في بلاد البلقان ولكن خلفاءه لم يستطيعوا المحافظـة عليها • وقد أزالت عودة العشرة آلاف اغريقى سالمين [١] من موقعة كوناكسه فى سهل بابل عن أعين الغرب غموض الشرق وكشفت لهم عن ضعفه • ولعل هذا كان أكبر مشجع للاسكندر على غزوه ووراثة ملك الاخمينيين •

كان تقدم الاسكندر من هضبة الاناضول نحو سهول الشرق الاوسط عن طريق بوابة كيليكية والبوابة السورية ، وهى ممـر بيلان • وبعـد أن استولى على سوريا ثم على مصر ومدن فينيقية عاد واتجه الى الفرات وعبره عند ثبساكس[٢] التى توجد آثارها على مقربة من مسكنه الحالية • والطـريق الطبيعى الذى يبدو ان الاسكندر قد سلكه بعد ذلك هو الصعود فى وادى وادى البليخ الى حران أو الى أورفه ومع طريق القوافل فى القسم الشمالى من أرض الجزيرة الى الموصل[٣] • ومن هناك اتجه نحو سـهل أربيـل لملاقاة دارا الثالث فى موقعة جوجاملا • ولقد فر دارا بعد هزيمته سالكـا طريق راوندوز الى القسم الغربي من هضبة ايران[٤] • أما الاسكندر فقد

---

(١) See, Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 187 et seq.

(٢) See, Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 208 et seq.

See, also Musil, A.; The Middle Euphrates ... ibid. pp. 218-19.

(٣) See, Semple, E.C.; The Geography of the Mediteranian Reign ... ibid. p. 189. See also Musil, A.; The Middle Euphrates ... ibid. p. 218.

(٤) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 93.

استمر فى طريقه مارا بكركوك الى بابل (٥) • وبعد أن استولى على سهل العراق وعلى هضبة ايران ، تقدم لفتح أبواب الشرق الاوسط نحو وسط أسيا والصين • ثم اتجه نحو الهند مجتازا جبال هندكوش الى وادى السند (٦) • وهناك أراد أن يعيد فتح الطريق الذى سبقه اليه دارا الاول • فأعد أسطولا قاده نياركوس Nearchus من مصب السند على طول المياه الشاطئية للساحل الايرانى الى مصب الفرات • أما هو فقد عاد بطريق البر على امتداد الساحل الى سوسه •

وبفتوحات الاسكندر ، استرد سهل العراق مزايا موقعه الجغرافى التى كان يتمتع بها فى عهد دارا الاول • وقد أصبح مرة أخرى ممرا حرا وسوقا للتجارة بين هضاب الشرق الاوسط وبين سهوله • كما أصبح كذلك أيضا بين القسم الشرقي من العالم القديم وبين القسم الغربي منه • ويبدو أن الاسكندر أراد أن يبقى مدينة بابل ، كما كانت فى عهد الاخمينيين ، احدى عواصم امبراطوريته (٧) • وترى بعض المصادر أنه أراد أن يزيد فى أهميتها ويجعلها ميناء الشرق • وأنه أعد العدة لتقوية اتصالاتها بالجهات الداخلية فى الجزيرة العربية ، ولفتح طرق منظمة للاتصالات ، بطريق البحر ، بينها وبين الهند من جهة وبينها وبين مصر من جهة أخرى • كما

(٥) راجع عن حملة الاسكندر الى بابل فى :
The Historian's History of the World, vol. 4, pp. 283-329.

(٦) عن الطرق التى سلكها الاسكندر فى هضبة ايران والاجزاء الشمالية الشرقية من امبراطورية الاخمينيين وكذلك نحو الهند ، راجع :
Sykes, Sir B.; A History of Exploration ... ibid. pp. 14-19. and Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History ... ibid. pp. 197-8.

(٧) See, Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History ... ibid. p. 182. and Delaporte, L.; Mesopotamia ... ibid. p. 60.

عمل أيضا على انشاء حوض واسع وأرصفة على الفرات أمامها لتسهيل عمليات تفريغ السفن وتحميلها بمواد التجارة (٨) • ولكن بعض هذه الآراء تبدو فيها ناحية مبالغة • ذلك لان بابل لاتصلح لان تكون ميناء لسهل العراق ، بله ميناء للشرق • بسبب أن مجرى نهر الفرات فى جنوبها ضعيف القيمة من الناحية الملاحية لتبدد مياهه فى الاهوار البابلية • ولقد تعجب منه هيرودوت ، وذكر أنه يشذ عن غيره من الانهار الاخرى • اذ بينما هى تزداد فى مجاريها الدنيا اتساعا ، فانه على العكس منها يضيق • ولا تزال هذه الظاهرة فيه ملموسة ، وعلى الاخص عند منفذه في هور الحمار بالقرب من جرمة بنى اسماعيل (٩) • ومما يلاحظ أن الاسكندر قد عمل على اعادة حفر مجرى قديم يقع فى غرب فرات بابل عرف باسم البلاكوباس (١٠) • ولو قصد جعل بابل ميناء لاهتم بتطهير مجرى الفرات المار بها وتقوية جسوره وجعلها طرقا جيدة للمواصلات • والاكثر احتمالا أن البلاكوباس لم يكن غير قناة أراد الاسكندر منها تخفيف غوائل فيضانات الفرات عن

(٨) See, The Historian's History of the World, vol. 4, pp. 375-6.; Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 95.; Cary, M.; The Geographic Background ... ibid. p. 182. and Tarn, W.W.; Alexander: The Conquest of the Far East, in the C.A.H., vol. 6, pp. 421-2.

(٩) See, Chesney, Lt-Col. F.R.; The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris, vol. 1 ... ibid. p. 57.
فى أوائل شباط سنة ١٩٤٨ ركب المؤلف فى الفرات من سوق الشيوخ ، موتورا صغيرا نزل به فى جرمة بنى سعيد والمزلج • وقد عجز الموتور عن اجتياز مصب المزلج فى بركة الحمار بالقرب من قرية بنى سعيد بسبب ضحالته • كما عجز أيضا عن أن يستدير ليعود الى سوق الشيوخ بسبب ضيق المجرى •

(١٠) See, Musil, A.; The Middle Euphrates ... ibid. pp. 279-80. and Willcocks, Sir W.; Irrigation of Mesopotamia ... ibid. pp. XIV-XV and 13-14.
راجع أيضا الدكتور أحمد سوسه ، وادى الفرات ••• المرجع السابق ص• ١٨٢ وما بعدها •

هذه المدينة وصرف مياه المستنقعات الموبوءة بالملاريا ـ التى تكتنفها • أما الميناء الطبيعى لسهل العراق فان موقعه يكون عند رأس الخليج العربى (١١) •

ولعل أبو لوجص Apologus التي عرفها العرب باسم الابلة ، أو شاراكس (خاراكس) ـ Charax التى عرفت أيضا بالاسكندرية والتى أقامها الاسكندر عند رأس هذا الخليج (١٢) فى موضع المحمرة الحالية ، هى المقصود بميناء الشرق ، وليست مدينة بابل • ومع ذلك ، فمهما كانت أهداف الاسكندر ومطامعه فى هذه المدينة ، فان نشأته فى بيئة بلادالاغريق البحرية قد وجهته نحو جعل مجارى أنهار دجلة والفرات وكذلك الكارون طرقا جيدة للملاحة • ولتحقيق هذا الغرض ، يبدو أنه أمر بتدمير السدود المقامة على مجاريها لاغراض الرى • ولكن الآراء تختلف حول ما اذا كان قد دمر السدود فعلا ، أو أنه هم بذلك ثم عاجلته منيته قبل أن ينفذه (١٣) • واذا كانت هذه السدود قد دمرت فعلا ، فان الاسكندر ، بعمله ، يكون قد دمر أيضا جانبا كبيرا من الاساس الاول الذى تقوم عليه الحياة فى سهل العراق وهو الزراعة •

ولقد مات الاسكندر وماتت معه أهدافه فى الامبراطورية التى كونها • وذلك لان جهاتها قد دخلت بعد وفاته في عهد من الفوضى سببه الصراع المستمر بين الطامعين فى الحكم • وقد بدأ هذا الصراع بين القواد ، وقامت بينهم حروب لقى فيها بعضهم حتفه على يد الآخر ، حتى لم يبق منهم سوى

(١١) See, Marriott, Sir J.; The Conception of Empire ... ibid. p. 403.

(١٢) See, Tarn, W.W.; Alexander: The Conquest of the Far East ... ibid. p. 421. and Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. p. 100.

(١٣) See, Lloyd, S.; Twin Rivers ... ibid. p. 95.; King, L.W.; The History of Babylon ... ibid. p. 7. See also Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. p. 21.

بطليموس فى مصر وسلوكس فى بابل وليسماكس في تراقيا وكسندر فى مقدونيا وانتيجينوس في باقى جهات الامبراطورية • وكان أنتيجينوس أقواهم وأكثرهم حرصا على الاحتفاظ بوحدة هذه الامبراطورية • ولكنهم تحالفوا عليه وقتلوه • ثم قام بين بعضهم وبين البعض الآخر صراع على ما كان تحت يده • وقد استمر هذا الصراع حتى تمكن الفرثيون من الشرق والرومان من الغرب ، من القضاء عليهم جميعا •

ولقد تأثر الموقع الجغرافى لسهل العراق كثيرا بالظروف السياسية التى سادت فى الشرق الاوسط أثناء حكم السلوكيين له • ومن الصعب أن نعدد الحروب والحوادث التاريخية الاخرى التى أثرت فيه ووجهت سير اتصالاته مع جهة أو مع أخرى من الجهات التى تكتنفه • ومع ذلك ، فانه يبدو من الضرورى لتوضيح هذا التأثير أن نعطى صورة واضحة بعض الشىء عن سير الحوادث التى كانت تجرى فى منافذه المختلفة •

اتخذ سلوكس الاول مدينة بابل على نهر الفرات عاصمة له فى بادىء الامر • ولكن استيلاء المصريين على فلسطين وعلى القسم الجنوبي من سوريا بما فيه ساحل فينيقية (١٤) ، وهى المنافذ الطبيعية لمسالك اتصالات هذا النهر ، قد جعلته يهجر مدينة بابل ويبنى سلوكيا على دجلة ، وهى تقع على ضفته اليمني وعلى مقربة من مقابل مصب نهر ديالى فيه • وقد تمكنت هذه المدينة التى كان باستطاعة السفن البحرية أن تصعد فى نهر دجلة اليها أن تسلب من بابل مركزها السامى وأن تقضى عليها تدريجيا (١٥) • وقد ساعد على تحقيق ذلك أن سلوكس أنشأ عند النهاية الطبيعية لمسالك جانب

(١٤) See, Cary, M.; The History of the Greek World from 323 to 146 B.C. ... ibid. pp. 82-3. See also Grant, C.B.; The Syrian Desert ... ibid. p. 54.

(١٥) See, Cary, M.; The Geographic Background ... ibid. p. 182.

نهر دجلة ميناء سلوكيا عند مصب نهر العاصي • كما اختار هو أحد خلفائه، على القسم الادنى من مجرى هذا النهر ، موقعا مناسبا وبنى فيه أنطاكيـة واتخذها عاصمة لدولته • وقد استمرت أنطاكية عاصمة لدولة السلوكيين حتي انتهى عهدهم على يد بومبى القائد الرومانى • وقد ترتب على ذلك أن انتقل مركز الجذب السياسى والنشاط الاقتصادى من سهل العـراق الى سوريا • كما أصبحت مملكة السلوكيين تعرف أيضا في التاريخ باسم مملكة سـوريا •

وقد قضى سلوكس الاول معظم وقته في حروب مستمرة فى سـبيل بناء مملكة سوريا ، وعندما مات فى سنة ٢٨٠ ق٠م كانت تضم تقريبا كـل هضاب الشرق الاوسط • كما كانت تضم أيضا المقاطعات التي تقع فى شمال شرق هضبة ايران الى نهر أياجزارتس (سرداريا) بجانب سـهل العراق وأرض الجزيرة والقسم الشمالى من سوريا(١٦) • وبهذا أصبحت اتصالات سهل العراق حرة فى اتجاهاته نحو الخليج العربى من جهة ونحو القسـم الشمالى الشرقى للبحر المتوسط من جهة أخرى ، بجانب اتجاهاته نحـو الهضاب الشمالية • ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الاتجاهات جميعهـا ترتبط بدرجة كبيرة بوادى دجلة أكثر مما ترتبط بوادى الفرات • أمـا باقى اتجاهاته الاخرى ، وهى التى لا تدخل تحت نفوذ السلوكيين ، فانها ترتبط بوادى الفرات فقط • وعلى هذه الاتجاهات الاخـيرة كان يسيطر المصريون والانباط والسبئيون والمعينيون وغيرهم من بعض الشعوب والقبائل العربية الاخـرى •

وتنبغى الاشارة الى أن هذه الشعوب والقبائل جميعها كانت تشـتغل

---

(١٦) The Historian's History of the World, vol. 4, pp. 552 et seq.

بالتجارة(١٧) • ولا بد أن يؤدى نشاطها والمنافسات بينها الى التأثير عـلى سهل العراق بطريق مباشر أو غير مباشر • وكان نشاط السبئيين والمعينيين مركزا فى الركن الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية ، ولكن نفوذهم كان يمتد على طول طريق قوافل الحجاز الى منطقة المدينة تقريبا • كما كان يمتد على سواحل الجزيرة العربية نحو الخليج العربى من جهة وعلى ساحل شرق أفريقية من جهة أخرى(١٨) • وربما كان نشاطهم قد امتد أيضا الى سواحل الهند • وهم بهذا النشاط ، يستطيعون أن ينافسوا سهل العراق فى تجارته الشرقية ، وأن يحولوا جانبا مما يجرى منها فى الخليج العربى الى موانيهم على ساحل هذا الخليج • ولقد اشتهرت الجرع ، وهي فى موضع القطيف على الاغلب أو موضع العقير ، بأنها كانت أهم الموانىء هناك على الاطلاق • وكان بعض تجارتها يحمل الى سهل بابل ، بينما كان البعض الآخر يحمـل الى داخل الجزيرة العربية(١٩) • وكانت قوافل الانباط تنافسهم فى حمله، كما كانت تنافسهم أيضا فى تجارة لآلىء الخليج العربى(٢٠) •

وكذلك كان بعض من تجارة سبأ ومعين تحمله فى البحر الاحمـر سفن الى الموانيء المصرية أو الى ميناء تاتسن Ta-tsein عند رأس خليج

---

(١٧) See, Grant, C.B.; The Syrian Desert ... ibid. pp. 56 et seq.

(١٨) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Mohammad ... ibid. pp. 86 et seq. See also Stark, F.; The Southern Gates of Arabia ... ibid. pp. 262-3.

(١٩) See, Wilson, Lt-Col. Sir A.T.; The Persian Gulf ... ibid. pp. 29-30, 34 and 45-6. and Cf. Charlesw0rth, M.P.; Trade Routes and Commerce of the Roman Empire ... ibid. p. 99.

(٢٠) See, Cumont, F.; The Frontier Provinces of the East, in the C.A.H. vol. XI, p. 360. and O'Leary, De L.; Arabia Before Mohammad ... ibid. pp. 82 and 103-4.

العقبة(٢١) • كما كان بعض آخر تحمله القوافل بطريق البر نحو الشمال الى بطرا أو الى أمبيلون ـ Ampelone ، وهى ميناء أنشأه البطالسة عند مصب وادى الحمض • ويمكن أن يستنتج من أهتمام البطالسة بانشاء هذا الميناء ، وكذلك من اهتمام الانباط باقامة ميناء آخر لهم فى موضعه وهو ليوك كوم (٢٢) ـ Leuce Come ، بعد أن ضعف النشاط التجارى للبطالسة ، على أن قسما هاما من تجارة الجرع ومن تجارة سهل العراق كان يأخذ طريقه خلال بعض المسالك فى داخل الجزيرة العربية نحو منطقة المدينة ثم مع وادى الحمض الى مصبه فى البحر الاحمر • وكذلك يمكن أن نستنتج من توقف نفوذ الانباط عند تيماء أو العلا(٢٣) ، أن هذه التجارة كانت تخضع للنفوذ المصرى فى أوقات عظمة البطالسة •

ويستخلص من النشاط الكبير لميناء الجرع التى تقع قبيل مدخل سهل العراق من جهة الخليج العربى ، ومن التنافس الكبير على تجارتها بين شعوب تعتبر من أعظم شعوب الشرق الاوسط نشاطا تجاريا ، وكذلك من ملاحظة أن مسالك تجارة كل منهما تأخذ اتجاهات لا علاقة لها بأراضى سهل

---

(٢١) راجع عن أهمية هذا الميناء فى النصوص الصينية وعن مناقشة حول تحديد موقعه فى :
Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 98 et seq. and footnotes

(٢٢) See, Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. p. 58 and footnote. O'Leary, De L.; Arabia Before Mohammad ... ibid. p. 72.; Anderson, J.G.C.; The Eastern Frontier under Augustus, in the C.A.H., vol. X, p. 248. See also Semple, E.C,; The Geography of the Mediterranian Region ... ibid. p. 188.

راجع أيضا الدكتور جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ١ ... المرجع السابق ص ١٠٠ وحاشيتها •

(٢٣) Cook, S.A.; The Inauguration of Judaism, in the C.A.H., vol. 6, pp. 181-2.

العراق ، على أن التجارة الشرقية المارة بهذا السهل قد اضمحلت كثيرا في عهد السلوكيين • وقد تأثرت أيضا تجارة سهل العراق بصورة عامة وتجارة طريق وادى الفرات بصورة خاصة بسبب التنافس التجارى بين المصريين وبين الانباط من جهة، وبسبب التنافس السياسى بين المصريين وبين السلوكيين من جهة أخرى •

كان مركز الانباط فى بطرى ، الا أن نفوذهم كان يمتد وراء ذلك على طول مسالك التجارة نحو رأس خليج العقبة ونحو تيماء والعلا فى الجزيرة العربية من جهة ونحو تدمر ودمشق فى الصحراء السورية(٢٤) من جهة أخرى • وهم كانوا بهذا يقفون مصدا بين مصر وبين التجارة الآتية من داخل الجزيرة العربية • كما كانوا يقفون مصدا بينها وبين تجارة سهل العراق الاتية فى وادى الفرات • وقد كان باستطاعة الانباط أن يحولوا اتجاه هذه التجارة الى أنطاكية بدلا من أن تستمر فى سيرها خلال مسالكها الطبيعية نحو الاراضى المصرية نفسها أو نحو مناطق النفوذ المصرى فى فلسطين وفى موانيء الساحل الفينيقي • وقد كانت الاسباب متوفرة لان يفعل الانباط ذلك نتيجة لقيام المنافسة المصرية لهم فى تجارة البحر الاحمر وفى تجارة الجزيرة العربية •

وقد زاد اهتمام المصريين بالتجارة المنقولة فى البحار زيادة كبيرة منذ عهد بطليوس الثانى(٢٥) ، بسبب سيطرة الانباط من جهة

---

(٢٤) See, Cook, S.A.; The Inauguration of Judaism ... ibid. pp. 181-2.; O'Leary, De L.; Arabia Before Mohammad ... ibid. pp. 82 and 103.; See also Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. pp. 56-7. and Fedden, R.; Syria ... ibid. p. 94.

(٢٥) عن النشاط البحرى للمصريين ،
See, Cary, M.; The History of the Greek World ... ibid. pp. 79-83.; Rostovtziff, M.; A History of the Ancient World, vol. 1 ... ibid. pp. 356-8. and O'Leary, De L.; Arabia Before Mohammad ... ibid. pp. 71-4.

والسلوكيين من جهة أخرى على طرق التجارة الشرقية الاتيــة فى مسالك الجزيرة العربيةوفى مسالك أرض ما بين النهرين والصحراء السورية(٢٦) • وكان لهم أسطول تجارى فى البحر المتوسط ، تتاجر سفنه مع موانيهم فى ساحل فينيقية وفى الساحل الجنوبى لهضبة الاناضول(٢٧) • كما كان لهـم أسطول فى البحر الاحمر • وكان هدفهم فى هذا البحر الاستحواذ عـلى القسم الاكبر من تجارة المحيط الهندى ومن تجارة الجزيرة العربيةوأثيوبيا وجزر سقوطرى وتحويلها الى بعض الموانيء المصرية مثل بيرينيس وميوس هرموس ومن ثم الى الاسكندرية(٢٨) • ولتحقيق هذا الهدف أرسـلوا بعثات تجارية الى بلاد العرب والى الهند•وأنزلوا في البحر الاحمر أسطولا يقوم بسفرات تجرية منظمة ، كما أنزلوا فيه أيضا أسطولا حربيا يتـولى حماية السفن التجارية من اعتداء القراصنة عليها(٢٩) • وأنشأوا كذلـك ميناء أميلون على الساحل الشرقى لهذا البحر ، بالقرب من مصـب وادى الحمض فيه • ومن المحتمل أن يكونوا قد أقاموا لهم أيضا مستعمر تجارية فى منطقة المدينة ، لانها تمكنهم من توجيهقسم من التجارة الاتية من جنوب الجزيرة العربية ، وقسم آخر من التجارة الاتية من موانىء الخليج العربـى

(٢٦) See, Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East...ibid. pp. 86-7. O'Leary, De L.; Arabia Before Mohammad ... ibid. p. 71. and Chesney, Lt-Col. F.R.; The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris, vol. 2 ... ibid. p. 579.

(٢٧) See, Hogarth, D.G.; the Ancient East ... ibid. p. 222.

(٢٨) See, Rostovtzeff, M.; Rhodes, Delos and Hellenistic Commerce ... ibid. p. 653. and Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. p. 57.

(٢٩) See, Rostovtzeff, M.; The Social and Economic History ... ibid. vol. 2, pp. 923-9. Any Cary, M.; The History of the Greek World ... ibid. pp. 80-1. and Cf. Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. pp. 58-9.

ومن سهل العراق الى مينائهم أميلون • أما ما كان يتسرب من هذه التجارة نحو الشمال على يد تجار من الانباط فقد عمل المصريون على ألا يصل الى أيدى السلوكيين فى القسم الشمالى من سوريا • وقد عملوا ، لتحقيق هذا الغرض ، على مد حدود ممتلكاتهم فى فلسطين الى ما وراء منخفض الاردن• وأقاموا لهم بعض المراكز التجارية على طريق ممر شرق الاردن بين بطرى و بين دمشـــق(٣٠) •

وكان التنافس التجارى بين المصريين وبين الانباط عنيفا على ما يبدو• لاننا نجد المصريين يحولون سير تجارتهم فى البحر الاحمر من أرسينوى وقناة النيل فى الشمال الى بيرينيس وطريق فقط في الجنـوب • وبذلـك استطاعوا أن يتجنبوا منافسة الانباط فىقسم من التجارة الشرقية التىتحملها بعض السفن الاثيوبية والعربية(٣١) • ويبدو أن التنافس بينهما كان قويـا أيضا على التجارة الاتية فى مسالك جانب الفرات • على أن هذهالمنافسة قد يترتب عليها نشاط فى تجارة سهل العراق الجارية خلال هذه المسالك ، كما قد يترتب عليها عرقلتها ، وذلك حسب طبيعة هذه المنافسة•ومع ذلك فمهما كانت طبيعتها فقد كان أثرها محدودا • ذلك لان منافذ تجارة جانب الفرات نحــو البحــر المتوسط قـد أصبحت ميدان صراع مستمر بـين المصريين وبين السلوكيين(٣٢) منذ عهـد أنطيوخس الاول (٢٨٠ – ٢٦١ ق•م) •

(٣٠) See, Cary, M.; The History of the Greek World ... ibid. pp. 81-2. Cumont, F.; The Frontier Provinces of the East ... ibid. pp. 631 et seq. See also Cary, M.; The Geographic Background ... ibid. p. 173. and footnote.

(٣١) See, Anderson, J.G.C.; The Eastern Frontier Under Augustus ... ibid. pp. 252-3.

(٣٢) See, Cary, M.; The History of the Greek World ... ibid. pp. 82 et seq. and 298-9.; also Cary, M.; The Geographic Background ... ibid. p. 186. and Crant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. p. 57,

وقد كانت لهذا الصراع آثار بعيدة المدى على اتصالات سهل العراق مع بعض الاتجاهات في الدولة السلوكية ، بجانب آثاره على اتصالاته في اتجاهات أخرى خارج حدودها[٣٣]. فقد انتهز أمراء بعض الجهات فيها فرص انشغال السلوكيين فى حروب طاحنة مع المصريين ومع غيرهم واستقلوا بما تحت أيديهم • كما حاول بعض منهم توسيع رقعة نفوذه على حساب جيرانه مما جعل جهات الامبراطورية فى حالة فوضى وحروب داخلية شبه مستمرة •

واذا تتبعنا مجرى الحوادث التاريخية فى دولة السلوكيين وتدبرنا تأثيراتها على الموقع الجغرافى لسهل العراق ، أمكن القول بدرجة كبيرة من الصحة بأن هذا الموقع قد شل كثيرا عن تأدية وظيفته • اذ لم نعد اتصالات سهل العراق مع كثير من جهات الدولة السلوكية مستمرة أو منتظمة حتى مع أنطاكية نفسها التى سقطت فى يد المصريين فى أوائل النصف الاخير من القرن الثالث قبل الميلاد • وبعد أن استرد السلوكيون أنطاكية ، استمرت ميناؤها سلوكية عند مصب العاصى في أيدى المصريين حتى سنة ٢١٧ ق•م• وحتى أوائل القرن الثانى قبل الميلاد لم يكن للسلوكيين أى باب آخر على الساحل السورى عدا سلوكيا[٣٤]• وفى الجهات الاخرى من الامبراطورية، كانت أسيا الصغرى ميدان صراع بين السلوكيين وبين المصريين أحيانا وبينهم وبين بعض الامراء من الاغريق أو بعض قبائل الكلت أحيانا

---

(٣٣) See, Cary, M.; The History of the Greek World ... ibid. pp. 63 et seq.; Rostovtzeff, M.; Rhodes, Delos, and Hellenistic Commerce ... ibid. pp. 357 et seq. and The Historian's History of the World, vol. 4, pp. 552-561.

(٣٤) See, Cary, M.; The History of the Greek World ... pp. 87-93. and Semple, E.C.; The Geography of the Mediterranian Region ... ibid. p. 205.

أخرى[٣٥]• وتلمس لهذه الحوادث آثار فى تحول النشاط التجارى للمدن الاغريقية من جهات شرق البحر المتوسط الى عالم البحر الاسود[٣٦] • أما في هضبة ايران وما وراءها نحو وسط آسيا ونحو الهند ، فقد انفصلت عن دولة السلوكيين الجهات المتطرفة منها في وقت مبكر ثم تلتها الجهات الاخرى[٣٧] • ففى الهند ، انتهز ساندروكوتوس فرصة الانشقاق الذى حدث بين قواد الاسكندر عقب وفاته وطرد الجنود المقدونية من الهند ، ثم حمل سلوكس الاول على التسليم له بما تحت يده نظير عدد كبير من الفيلة[٣٨] • ويمكن القول بانه حول منتصف القرن الثالث قبل الميلاد أخذت تنقطع اتصالات سهل العراق مع غرب آسيا ووسطها من جهة ومع اقليم القوقاز من جهة اخرى • وذلك بسبب قيام ثلاث ممالك قوية • الاولى فى بلاد البخت وهى التى تقع حول بلخ ، والثانية فى فارثيا ، وهى منطقة خراسان فى القسم الشمالى الشرقى من ايران وما يجاوره من أفغانستان • والثالثة فى أذربيجان وهضبة أرمينية • ثم تلا قيام هذه الممالك حدوث ثورات وحركات انفصال اخرى في داخل هضبة ايران وفى حافتها المشرفة على سهل العراق • وقد تمكن ميلون ، أمير ميديا ، من الاستقلال بها فى عهد أنطيوخس الثالث (٢٢٣ – ١٨٧ ق•م) • وعندما اشرف على سهل

---

(٣٥) See, Rostovtzeff, M.; A History of the Ancient World, vol. 1 ... ibid. pp. 358-9.

(٣٦) See, Cary, M.; The History of the Greek World ... ibid. p. 298.

(٣٧) See, Cary, M.; The History of the Greek World ... ibid. pp. 67 et seq.

(٣٨) See, The Historian's History of the World, vol. 4 p. 554. See also Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. p. 84.

العراق نزل اليه بجنوده ودمر قوة السلوكيين فيه ثم استولى عليه (٣٩) • حقيقة استطاع انطيوخس أن يهزمه ، الا انه اصطدم بجيوش أمير عـــلام ولقى حتفه على يدها • وتبع ذلك ان تقدم هذا الامير واستولى على سلوكيا، وبذلك قطع الاتصالات الحرة لسهل العراق فى القسم الادني لنهر دجلة • وقد استرد السلوكيون ثانية سهل العراق وأعادوا له اتصالاته في هذا النهر مع الخليج العربى • ولكن حدث عقب موت أنطيوخس الرابع أن ثار حاكم شراكس وكون عند رأس الخليج العربى مملكة شراكين ومد نفوذه نحـو الشمال الى أباميا ، فى موضع القرنة ، كما مده ايضـــا على الاراضى التى تجاوره من الجزيرة العربية (٤٠) • ومعنى هذا ان سهل العراق لم يفقد اتصالاته الحرة خلال شط العرب مع الخليج العربى فحسب ، بل انه قـــد فقد أيضا اتصالاته مع عالم هذا الخليج بطريق البر • كما فقـــد اتصالاته عن طريق مسالك وادى البطن مع داخل الجزيرة العربية • وفى خلال هذه الحوادث ، كانت قوة الفرثيين تتقدم مخضعة في طريقها الامراء فى داخل هضبة ايران حتى وصلت الى سهل العراق واستولت عليه حوالى ســـنة ١٤٢ - ١٤١ ق٠م تحت قيادة مثريداتس الاول (٤١) •

ومما تقدم ، نجد أن سير اتصالات سهل العراق خلال منافذه نحـو جهات الامبراطورية ونحو الخليج العربي كانت تعرقلـه حـــروب أحيانا وثورات أحيانا أخرى • ولهذا انتقل الســـوق الرئيسى لتجارة الشرق الى الجرع على ساحل الخليج • كما تحولت مسالك هذه التجارة من أرض مـا

(٣٩) See, Cary, M.; The History of the Greek World ... ibid. pp. 67-70.

(٤٠) See, Tarn, W.W.; Parthia, in the C.A.H. vol. 9, pp. 578 and 584.

(٤١) See, Cary, M.; The History of the Greek World ... ibid. pp. 76 et seq.

بين النهرين الى داخل الجزيرة العربية (٤٢) • والواقع أن الظروف السياسية التى اكتنفت دولة السلوكيين لم تعطهم الفرصة للاهتمام بالتجارة ، بالرغـــم من أنهم قد نشأوا فى بيئة تجارية، وبالرغم من أن نفوذهم بين الخليج العربي وبين البحر المتوسط كان يعطيهم السيطرة على طريق رئيسى للتجـــارة الشرقية • ويستدل على ذلك من أنهم لم يضربوا باسمهم نقودا للتعامل بها فى جهات امبراطوريتهم • فقد كان القسم الشرقى منها يتعامل على الاغلب بنقود مملكة البخت ، بينما كان القسم الغربى منها يتعامل بنقـــود المـدن الفينيقية • وذلك باستثناء فترة قصيرة فى بدء أمرهم (٤٣) •

ومن الطبيعى أن تؤدى عرقلة اتصالات سهل العراق نحو الخليـــج العربى ونحو الاتجاهات الاخرى فى دولة السلوكيين الى ضـــعفه • كما تؤدى الى تحويل اتجاهها نحو داخل الجزيرة العربية • وقد رأينا أنه عند النهايات الطبيعية لطريق القوافل الاتية من سهل العراق خلال حايل قـــد قامت للانباط مصالح فى تيماء ، كما قام للمصريين مصالح عند مصب وادى الحمض • وتؤدى زيادة اتصالات سهل العراق مع داخل الجزيرة العربيـــة الى تقوية صبغته السامية • بينما يؤدى ضعف اتصالاته مع سوريا الى ضعف تأثره بمؤثرات الحضارة الاغريقية (٤٤) • ومع ذلك ، فينبغى أن نشير الى أن بعض ما تأثر به من هذه الحضارة قـد انتقل اليـــه من الاسكندرية خـــلال اتصالاته مع مصر ، كما انتقل اليه البعض الآخر خلال اتصالاته مع أنطاكية •

(٤٢) See, Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. pp. 37-8 and footnote and 56.

(٤٣) See, Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 244 Commerce ... ibid. p. 659.

(٤٤) See, Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 244 et seq. See also Rostovtzeff, M.; A History of the Ancient World, vol. 1 ... ibid. pp. 378 et seq.

الا أنه نظرا لان سلوكيا ، وهى المركز الرئيسى للاغريق في سهل العراق ، تقع على نهر دجلة ، ونظرا لصلاتها المباشرة عن طريق مسالك جانب هذا النهر مع أنطاكية وهى المركز الاول للحضارة الاغريقية في شرق البحر المتوسط ، فانه يمكن القول بأن تأثير الحضارة الاغريقية كان مركزا فى وادى نهر دجلة • ولهذا الوادى بعض خصائص تميزه عن وادى الفرات، وتجعلنا نستنتج بأن التأثيرات المتبادلة بين الحضارة الاغريقية وبين الحضارة البابلية كانت سطحية • ذلك لان وادى دجلة في سهل العراق لم يكن فى كل أدوار تاريخه السابق مركزا رئيسيا للحضارة البابلية النقية ، بل كانت حضارته خليطا من الحضارة البابلية ومن حضارات شعوب الجبال والهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط • أما وادى الفرات فقد كان دائما معقل الحضارة البابلية ، كما كانت بابل التى تقع عليه مركزها الرئيسى • ومما تجدر ملاحظته أن السلوكيين عندما نقلوا مركز الجذب السياسى من وادى الفرات الى وادى دجلة ، قد نقلوا اليه ضمنا الموظفين وكثيرا من طبقة الخاصة ومن العناصر التجارية النشيطة • ولهذا فمن المتوقع أن يقابل تسرب الحضارة الاغريقية الى وادى الفرات بقليل من الاكتراث من سكانه المحافظين من الفلاحين ومن رجال الدين (٤٥) • وخاصة ، وأن الاغريق يختلفون كل الاختلاف عن العناصر العربية من ناحية اللغة وهى الوسيلة الاولى للتعارف وللتأثير • كما يلاحظ أن سكان سهل العراق بصفة عامة وسكان وادى الفرات بصفة خاصة كانوا متأثرين تأثرا عميقا بنظام الحكم المطلق وبنظم اجتماعية تخالف النظم السياسية والاجتماعية التى كانت معروفة فى المدن الاغريقية (٤٦) •

---

(٤٥) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. p. 579.

(٤٦) See, Rostovtzeff, M.; A History of the Ancient World ... ibid. p. 370.

ولا شك فى أن السلوكيين قد ووجهوا فى سهل العراق بهذه الصعوبات • ويبدو أنهم بذلوا فى بادىء الامر محاولات للتغلب على بعض هذه الصعوبات التى تباعد بينهم وبين البابليين • وذلك مثل جلب بعض العائلات الاغريقية وتشجيع الجالية الاغريقية على تعلم اللغة البابلية • وكذلك مثل عملهم على نشر ثقافتهم بواسطة الفرق التمثيلية والموسيقية ونحوها وبواسطة المدارس الاغريقية المتنوعة التي افتتحوها (٤٧) • أما فيما يتعلق بما أثرت به كل من الحضارتين فى الاخرى فلا يعرف على وجه محقق • وان كان قد لوحظ أن الدين الاغريقي قد أخذ يتحول من الناحية المادية الى الناحية المعنوية • كما لوحظ أن الكتابات قد كثرت حول الحياة الآخرة وعن الصلات الوثيقة بين الدين وبين الاخلاق • ومع ذلك ، فانه لا يمكن نسبة هذا التأثير الى المؤثرات البابلية وحدها • لان المعروف أن الاغريق لم يقتصروا على ترجمة الكتب الدينية البابلية وحدها الى لغتهم ، بل ترجموا أيضا كتب الديانات الشرقية الاخرى (٤٨) • وتحاول بعض المصادر أن تنسب الى الاغريق تعليم البابليين معرفة الكتابة على صحائف البردى (٤٩) • ولكن هذا يبدو مبالغة • لان المعروف أن الاغريق قد عرفوا البردى عن الفينيقيين وهؤلاء عرفوه عن

---

(٤٧) See, Fedden, R.; Syria ... ibid. p. 91.; Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. p. 596.; Thomson, R.C.; The Inflauence of Babylonia ... ibid. pp. 248 et seq. and Rostovtzeff, M.; A History of the Ancient World, vol. 1 ... ibid. pp. 379 et seq.

(٤٨) See, Rostovtzeff, M.; A History of the Ancient World ... ibid. pp. 378 et seq. See also Hogarth, D.G.; The Ancient East ... ibid. pp. 232 et seq.

(٤٩) See, Rostovtzeff, M.; Rhodes, Delos and Hellenistic Commerce ... ibid. p. 665.

المصريين (٥٠). ومن المعروف كذلك أن صلات البابليين بالمصريين وبالفينيقيين أقدم وأوثق من صلاتهم بالاغريق • ومن المحتمل أن يكون الاغريق هم الذين عرفوا البابليين معرفة الكتابة على رقاق الجلد ، ان لم يكونوا قد عرفوها من قبل فى عهد الاخمينيين (٥١) • ومع ذلك تنبغى الاشارة الى أن الاغريق ، وان كانوا لم يحاولوا أن يفرضوا لغتهم (٥٢) ، الا أنها كانت اللغة الرسمية • ولابد أن يكون الموظفون على علم بها وكذلك الطبقة الخاصة والتجار الذين لهم اتصال برجال الحكم وبأعمال الحكومة • ومن الطبيعى أيضا أن يتعلمها أيضا طالبوا الالتحاق بالاعمال الحكومية من البابليين • ولهذا يمكن القول بأن اللغة الاغريقية وبعض مؤثراتها قد انتشرت بعض الانتشار بواسطة هذه الجماعات في بعض البيئات من سهل العراق • ويترتب على ذلك اضعاف اللغة القومية وكتابتها بعض الشيء • كما يترتب عليه اعتناقها لبعض مؤثرات اللغة الاغريقية وكتابتها • أما من ناحية الفن ، فلا يبدو للفن الاغريقى أثر على الفن البابلى • كما لا يبدو أن الفن البابلى قد بدا عليه شيء من الانتعاش فى عهد السلوكيين • وربما يرجع السبب الى أن لكل من الفنين البابلى والاغريقى نشأة خاصة فى بيئة تخالف الواحدة منهما الاخرى • وتتضح آثار هذه المخالفة فى أن الاغريق فى سهل العراق قد اضطروا أن يعتنقوا نظم البناء القديمة فيه • فنقلوا عن البابليين طريقة ضرب الطوب وطريقة حرقه • كما قلدوهم فى طريقة البناء ذى العقود والاقواس وذى الحجرات المبنية تحت سطح الارض (السراديب) (٥٣) •

(٥٠) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ٠٠ المرجع السابق ص ٢١٤ وراجـــع :
Cook, S.A.; The Semites ... ibid. p. 189.
(٥١) Cf. Tarn, W.W.: Parthia ... ibid. p. 590.
(٥٢) See, Rostovtzeff, M.; A History of the Ancient World ... ibid. p. 381.
(٥٣) See, Cary, M.: The History of the Greek World ... ibid. pp. 309 et seq.

١٠ ـ الفارثيون

(٢٤٧ ق٠م – ٢٢٦ م)

الفارثيون من الشعوب الآرية ، وقد نشأوا فى سهوب التركستان • وحول منتصف القرن الثالث قبل الميلاد اجتازوا بوابة خراسان الى فارثيا التى كانت تتضمن القسم الشمالى الشرقي من ايران وبعض ما يجاوره من افغانستان (١) • وهناك تغلبوا على الامارات الاغريقية ، واستولوا على مدينة هيكاتومبيلوس ، التى كانت تقوم في منطقة دمغان الحالية ، واتخذوها المركز الرئيسى لهم • وقد عرف ملوكهم فى هذا العهد الاول من تاريخهم باسم أرساكس أو أرساسس • ثم اتخذوا لانفسهم لقب ملك الملوك بعد أن كونوا امبراطوريتهم • ولقد قضوا نحو قرن من الزمان فى صراع مع السلوكيين ، ومع امارة بلاد البخت حول بلخ ، وهى شبه اغريقية • وكذلك مع بعض قبائل من الفرس ومن المغول • وبعد ان تم الامر لهم في هضبة ايران ، بدا لهم من مرتفعات ميديا ، سهل العراق مكشوفا • فنزلوا اليه من بوابة زاجروس واستولوا على سلوكيا على دجلة وكانت عاصمته فى ذلك الوقت (٢) •

ولقد لعب العامل الجغرافى دوره فى فتح سهل العراق • فأن موقعه بين الفارثيين فى ميديا وبين السلوكيين فى سوريا جعله ميدان صراع بينهما لمدة طويلة • وتناوبته أيدى كل منهما اكثر من مرة • وعندما تم للفارثيين الاستيلاء عليه نهائيا حول سنة ١٣٠ ق٠م فى عهد ميثريداتس الثانى ، لعب

(١) See, Grundy, G.B.; The Persians and the Empire of the Great King ... ibid. p. 1127.

(٢) عن الدور الاول من تاريخ الفارثيين قبل استيلاءهم على سهل العراق ، راجـع :
Cary, M.; The History of the Greek World ... ibid. pp. 63-78. and Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. pp. 574-585.

العامل الجغرافى أيضا دورا اخر • فقد عرقلت الاهوار الكلدانية امتداد الفتح الفارثي نحو الجنوب الى رأس الخليج العربى ، ومكنت دويلة شراكين فى أرض ميسان[٣] على جانبى شط العرب من مقاومته بعض الوقت • بينما مكن الامتداد الطبيعى لسهل العراق فى أرض الجزيرة الفارثيين من طرد السلوكيين بسهولة الى غرب نهر الفرات • ويلمس للعامل الجغرافى دور آخر • فانه بعد ان استقر الامر للفارثيين استطاعت دويلة شراكين أن تستمر محتفظة باستقلالها حتي نهاية حكمهم[٤] • بينما اصبح سهل العراق وسهل الجزيرة يكونان معا جزءا اصليا من مملكة فارثيا •

ولم تتضمن دولة الفارثيين بعد ان تم تكوينها كل الاراضى التى كانت تتضمنها دولة الاخمينيين او دولة السلوكيين • كما انها لم تكن ذات حدود طبيعية تفصل بينها وبين جيرانها وتعطيها خصائص حياة الاستقرار • وكذلك كانت الاسس التى قام عليها بناؤها ضعيفة • وقد أثر كل ذلك على خصائص الموقع الجغرافى لسهل العراق وحدد الاستفادة منه فى مجال ضيق • فهى من ناحية الاتساع لم تكن تتضمن من جهة الشرق المقاطعات الهندية ولا المقاطعات الاخرى فى شرق نهر أوكسس ، بل انها لم تكن تتضمن ايضا بعض الاجزاء الشرقية من هضبة ايران[٥] • كما انها من جهة الغرب لم تكن تتضمن سوريا ومصر وهضبة الاناضول • أما من ناحية الحدود ، فقد كانت الاجزاء الواضحة منها تتمشى مع نهر اوكسس فى الشمال الشرقى ، ومع نهرقورش وهوكورا الحالى ، فى الشمال ، ومع نهر الفرات شمال نيسيفوريم وهي

(٣) تسمى أيضا مسين وخراسين • راجــع :
Huzayyin, S.A.; Arabia and Far East ... ibid. p. 21 and footnote.

(٤) Cf. Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. p. 100.

(٥) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. pp. 581-4. and Cary, M.; The History of the Greek World ... ibid. pp. 73-5.

الرقة ، من جهة الغرب • وكان نهر أوكسس يفصل بينها وبين امارات صغيرة كونتها قبائل التوكارى والسكاى وقد سببت بعض المتاعب للفارثيين • كما كان نهر قورش يفصل بينها وبين البانى وأيبيرى ، وهما امارتان صغيرتان فى منخفض كورا – ريون • ويتمتع هذا المنخفض بأهمية كبيرة • ذلك لانه يكون ممرا طبيعيا يصل بين بحر قزوين وبين البحر الاسود[٦] • وقد ازدادت أهميته عندما تولدت عند الرومان فى عهد بومبى فكرة منافسة الفارثيين فى تجارة حرير الصين • او فكرة تحويل سيرها من خلال اراضيهم الى طريق يمتد من وسط اسيا وعبر بحر قزوين الى باكو • ثم خلال هذا المنخفض الى ساحل البحر الاسود • او عن طريق وادى نهر آراس وخلال هضبة أرمينيا الى هضبة الاناضول مباشرة[٧] • ويمكن القول بأنه منذ أن تولدت هذه الاطماع عند الرومان ، اصبح منخفض كورا – ريون وهضبة أرمينيا ميدانا رئيسيا من ميادين الصراع بين الفرس وبين الرومان •

ومن الطبيعي ان تتأثر مقومات الموقع الجغرافى لسهل العراق بالمدى الذى وصل اليه الفارثيون فى فرض نفوذهم على هضبة أرمينيا ، وعلى منخفض كورا – ريون ، وكذلك على مياه بحر قزوين • لان تفوق نفوذ الرومان على هذه الاماكن يعنى تمكنهم من الحصول على قسم من تجارة حرير الصين بطريق مباشر • بينما يعنى تفوق الفارثيين عليها ان الرومان ما كان باستطاعتهم

(٦) عن هذا المنخفض ، أنظر الخريطتين ١٤ ، ١٥ • وراجع ايضا :
Semple, E.C.; The Geography of the Mediterranian Region ... ibid. pp. 172-3. and Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History ... ibid. pp. 174-8.

(٧) See, Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. pp. 80, 85 and 98 et seq.; Huzayyin, S.A.; Arabia and The Far East ... ibid. p. 107. and The Historian's History of the World, vol. 5, p. 472.

الحصول على شيء منها الا عن طريق فارثيا ، وبالاحرى عن طريق سهل العراق •

واذا رجعنا الى الحوادث التاريخية ، نجد من جهة ان الفارثيين الذين لم يبد لهم نشاط بحرى فى الخليج العربى كانت لهم قوات بحرية في بحر قزوين (٨) • وهذا يدعو الى الاعتقاد بان القصد من هذه القوات كان عرقلة حدوث أى نوع من الاتصال بين الرومان وبين الصين ، او بينهم وبين تجار الحرير فى أسواق وسط آسيا وغربها • ومن جهة اخرى ، لا نجد ان الامر قد استقر للرومان في أرمينيا وما حولها وقتا كافيا لقيام مثل هذه الاتصالات (٩) • ويشير بعض الباحثين (١٠) الى انه بالرغم من الجهود التى بذلها الرومان ، استمر حرير الصين يأخذ طريقه خلال ممرات وسط آسيا وهضبة ايران الى سهل العراق • وهناك كان يتجمع فى سلوكيا ثم يوزع منها الى بعض الاتجاهات فى الشرق الاوسط • وكان قسم كبير منه تحمله القوافل المتجهة الى أنطاكية •

ومن جهة الغرب،كان نهرالفرات يكون حدا يفصل بين نفوذهم وبين نفوذ السلوكيين فى سوريا (١١) • كما ان الرومان ايضا قد وافقوا على جعله حدا لامتداد نفوذهم من جهة الشرق (١٢) • وكان الفرات يؤدى وظيفته كحاجز يمنع اصطدام القوتين ، عندما كان الرومان معتنقين مبدأ اقامة

---

(٨) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. p. 593.

(٩) See, Cary, M.; The Geographic Background ... ibid. pp. 177-8.

(١٠) See, Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. p. 108. and The Historian's History of the World, vol. 8, p. 74.

(١١) See, Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. 1, p. 24.

(١٢) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. p. 603. and O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. pp. 9-10.

دويلات موالية لهم عند الحدود تقف مصدات بينهم وبين الفارثيين • أما بعد أن هجروا هذا المبدأ منذ عهد تيبريوس (١٣) ، وساروا على سياسة تحويل هذه الدويلات الى مقاطعات رومانية تخضع لنفوذهم المباشر ، فقد اصبحت قوات الفرس وقواتهم يواجه البعض منها البعض الاخر على جانبى الفرات• وقد تأثر سهل العراق بكل من هاتين السياستين اللتين انتهجهما الرومان •

من الملاحظ ان دوافع الصراع بين الفرس وبين الرومان كانت دوافع اقتصادية (١٤) • وترجع في أساسها الى محاولات بذلت من جانب الرومان في سبيل الاستحواذ بطريق مباشر على قسم من تجارة حرير الصين التى كانت تقع كلها أو معظمها فى أيدى الفارثيين (١٥) • ومن الملاحظ أيضا أنه كان باستطاعة الفارثيين أن يتحكموا فيما يحتاج اليه الرومان منه• فباستطاعتهم ان يفرضوا عليه ضرائب باهظة • كما ان باستطاعتهم ان يمنعوه كلية عن الوصول اليهم •

ومعرفة الحرير انتقلت الى الرومان عن طريق الاغريق أثناء الفتح المقدونى (١٦) • ثم اصبح عندهم من الضروريات بعد ان امتد نفوذهم نحو الشرق واتصلوا مباشرة بالفرس • وقد بذلوا عدة محاولات كان الغرض منها ضمان وصوله اليهم بطريقة منتظمة • حاولوا فى بادىء الامر الوصول

---

(١٣) See, Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p. 47.

(١٤) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. p. 8.

(١٥) مما يدل على عدم رغبة الفارثيين فى حدوث اتصالات مباشرة بين الصينيين وبين الرومان راجع :
Huzayyin, S.A.; Arabia and The Far East ... ibid. p. 98. and Sykes, Sir P.; A Historay of Exploration ... ibid. p. 22.

(١٦) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 113. See also Huzayyin, S.A.; Arabia and Far East ... ibid. pp. 102-3.

الى مصدره في الصين بطريق البر • وفى سبيل ذلك ، دخلت هضبة أرمينيا وما حولها ميدان صراع بينهم وبين الفرس • كما حاولوا ايضا الوصول الى مصدره من الهند ومن الصين بطريق البحر • ولتحقيق ذلك ، وجهـــوا نشاطهم نحو البحر الاحمر • وأرسلوا حملة الى القسم الجنوبى الغربى من بلاد العرب للاستحواذ على تجارة الهند من أيدى عرب الجنوب • كمـــا أرسلوا وفدا تجاريا الى الصين ليفاوض في سبيل الحصول منها مباشرة على قسم من تجارة الحرير • ولكن هذه المحاولات كلها لم تنجح نجاحا يذكر • فعادوا يبذلون محاولات اخرى ، وكان من بينها الاتفاق مع الفرس على حياد تدمر وعلى سلامة قوافل تجارتها • ثم امتدت اطماعهم الى الاستيلاء عـــلى سهل العراق عندما بدا ضعف الفارثيين فى اواخر ايامهم •

فى فترة السلام والمودة سادت بين الفرس وبين الرومان فى بدء امتداد نفوذهم نحو الشرق ، كان سهل العراق يؤدى وظيفته كممر للتجارة الاتية من جهة الشرق سواء ما كان منها منقولا بطريق البر من وسط آسيا وخلال هضبة ايران ، أو كان منقولا بطريق البحر فى الخليج العربى • كما كان كذلك ايضا بالنسبة للتجارة الاتية من جهة الغرب ، من العالم الاغريقي - الرومانى • واستمر يؤدى هذه الوظيفة طوال الوقت الذى كان فيه يقف نهر الفرات ، كما تقف المصدات ، حائلا دون الاتصال المباشر بين قوات الفرس وبين قوات الرومان • ولم يتأثر بالصراع الذى حدث فى وقت مبكر بين هذه القوات فى هضبة ارمينيا • أما بعد ان ازيلت المصدات واضحت قوات الفرس تواجه قوات الرومان على جانبى الفرات فقد امتد ميدان الصراع بينهما عبره الى أرض الجزيرة • وتعرقلت تبعا لذلك مسالك تجارة سهل العراق بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط • وتأثرت به اولا مسالك جانب نهر دجلـــة والقسم الشمالى من ارض الجزيرة • لانها تتصل بأهم معابر الفـــرات الى هضبة الاناضول والى القسم الشمالى من سوريا • ولانها تكون المسالـــك

المباشرة التى تصل بين سلوكيا - طيسفون ، مركز النشاط الفارثي ، وبين انطاكية على العاصى ، مركز النفوذ الرومانى • ولقـــد ترتب على ذلك ان تحول سير القوافل الى جانب نهر الفـــرات والى مسلك وادى الثرثار • وبينما تحولت مدن القوافل على مسالك جانب نهر دجلة الى معســـكرات حربية ، نمت مدن القوافل القديمة على المسالك الاخرى كما ظهرت عليها ايضا بعض مدن جديدة •

فعلى طريق وادى الفرات ظهرت مدينتا فلجاسيا ونيابلس ، كمـــا ظهرت مدينة الحضر على طريق وادى الثرثار (١٧) • أما مدينة تدمر التى يتجه اليها كلا الطريقين فقد نمت نموا عظيما (١٨) • ويبدو أن هيرود في فلسطين قد أسرع لمقابلة هذا التطور فى سير التجارة • فانه قام ببذل جهود كبيرة لجعل قيصرية على البحر المتوسط جديرة باستقبال قوافل التجـــارة القادمة من تدمر عن طريق دمشق (١٩) • وقد استمر النشاط التجارى لسهل العراق مركزا فى مسالك جانب الفرات وفى مسلك وادى الثرثار خلال حكم الفارثيين وخلال قسم من حكم الساسانيين حتى ســـنة ٢٧٠ ميلادية • فحول هذه السنة ، قضى الامبراطور الرومانى أورليان على تدمر • وهو بعمله قد قضى ضمنا على التجارة المارة فى وادى الفرات (٢٠) • لان ميدان الصراع قد امتد جنوبا في هذا الوادى • كما اشتركت فيه ايضـــا

---

(١٧) انظر الخريطة رقم ٢ وراجع ايضا •
Musil, A.; The Middle Euphrates ... ibid. pp. 277-8.; Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. pp. 55 and 57 and cf. Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p.102.

(١٨) See, Fedden, R.; Syria ... ibid. p. 110.

(١٩) See, Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p. 42. and Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History ... ibid. p. 171.

(٢٠) See, Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. p. 48.

قوتان جديدتان ، هما قوة الحيرة الموالية للفرس وقوة غسان الموالية للرومان •

واذا نظرنا الى الاسس التى قام عليها بناء دولة الفرثيين وكانت عاملا مؤثرا فى مقومات الموقع الجغرافى لسهل العراق ، نلاحظ ان هذه الدولة لم تكن وحدة ، وانما كانت اتحادا (٢١) مكونا من مملكة فارثيا ومن عدد من الممالك الصغيرة • ولهذا ، كان الملك الفارثى يلقب نفسه بلقب ملك الملوك • وفيما يتعلق بمملكة فارثيا ، كان لملك الملوك عليها أشراف مباشر • وكانت تتضمن فى هضبة ايران جميع المقاطعات التى تقع على طريق الاتصالات بين بوابة خراسان وبين بوابة زاجروس • كما كانت تتضمن خارج هذه الهضبة من جهة بوابة خراسان، المقاطعات التى تقع على طريق تجارة الصين • أما من جهة بوابة زاجروس، فكانت تتضمن سهل العراق وأرض الجزيرة اللذين تمتد خلالهما مسالك الاتصالات نحو العالم الاغريقى – الرومانى • والذى يلاحظ من ذلك ، هو أن ملك الملوك كان حريصا على أن يحتفظ لنفسه بالاشراف المباشر على مسالك التجارة • سواء أكانت تجارة الحرير الاتية بطريق البحر من الصين أم كانت التجارة الجارية بصفة عامة بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط • وهذا يعزز بلا شك من أهمية الموقع الجغرافى لسهل العراق • أما الممالك الاخرى ، التى كانت تكون مع مملكة الفارثيين اتحادا ، فانها كانت تتمتع باستقلالها الذاتى فى شئونها الداخلية • كما كانت تتمتع بأن حكامها من أبنائها • ولم يكن ملك الملوك يتطلب منهم أكثر من الاعتراف له بالتبعية ، والقيام بما تستلزمه هذه التبعية من بعض الالتزامات (٢٢) •

---

(٢١) See, Anderson, J.G.C.; The Eastern Frontiers Under Augustus ... ibid. p. 257.

(٢٢) See, The Historian's History of the World, vol. 8 p. 59.

ولكن بعض من هذه الممالك يقع على طرق الاتصالات بين سهل العراق وبين بعض الجهات فى داخل هضبة ايران • كما كان البعض الآخر يقع أيضا على طرق اتصالاته مع جهات أخرى فى الشرق الاوسط • ففى جنوب سهل العراق ، قامت مملكة شراكين على جانبى شط العرب وحول رأس الخليج العربى • وهى بهذا الموقع ، تستطيع التحكم فى مداخله المائية والبرية من جهة هذا الخليج • كما تستطيع التحكم فى مدخله فى وادى كارون من جهة هضبة ايران وفى مدخله فى وادى البطن من جهة الجزيرة العربية • وفى شمال مملكة شراكين وشمالها الغربى ، قامت مملكة علام • وتتصل حدودها بحدود سهل العراق فى وادى دجلة ، فيما بين القرنة وبين الكوت • وهى بهذا الموقع، تشارك مملكة شراكين فى امكانية التحكم فى بعض مداخله من جهة الخليج العربى ، ومن جهة هضبة ايران فى وديان أنهار كارون وكرخة وغيرهما من الانهار الاخرى التى تنحدر نحوه من سفوح مرتفعات لورستان • أما فيما بين الحدود الشمالية الغربية لمملكة علام وبين الزاب الصغير من أراضى ، فكانت تكون جزءا من مملكة فارثيا، يربط بين قسمها الواقع فى هضبة ايران وبين قسمها الآخر فى أرض مابين النهرين • وأما الاراضى الواقعة بين الزاب الصغير وبين القسم الغربى من نهر الفرات ، فانها كانت تتضمن أربع ممالك • هى ، أديابين حول أربيل، وجوردين حول جزيرة ابن عمر ، وسوفين حول خربوط ، وأسرهيين حول أورفه • وتتحكم ثلاثة الممالك الاولى فى منافذ سهل العراق نحو اقليم كردستان ونحو هضبة أرمينية والقسم الشرقى من هضبة الاناضول • كما تتحكم فى معابر الفرات الى ملطية والقسم الداخلى من هذه الهضبة • أما مملكة أسرهيين ، فانها تتحكم فى معابره الى هضبة عينتاب والقسم الشمالى من سوريا • واتصالات سهل العراق مع هذه الممالك ومع الجهات الاخرى التى تقع وراءها فى داخل دولة الفارثيين وفى خارجها ، كانت

ترتبط بدرجة كبيرة بمقدار ولاء ملوك هذه الممالك لملك الملوك فى فارثيا • ويدل استقراء الحوادث التاريخية على أن هذا الولاء كان يرتبط بدرجة كبيرة بقوة دولة الفارثيين وبضعفها • ويمكن القول على وجه الاجمال بأنه كان ولاء ضعيفا فى معظم أدوار التاريخ الفارثى (٢٣) • ولم يكن لسهل العراق مداخل أخرى حرة الا مع الجزيرة العربية، فيما بين شمال مملكة شراكين وبين الرقة على نهر الفرات •

وكذلك كان لبعض نواحى الحياة الاجتماعية فى دولة الفارثيين تأثير على خصائص الموقع الجغرافى لسهل العراق • كانت النظم السائدة فيها اقطاعية • اذ كان فى كل مملكة من ممالكها ، كما كان فى كل مقاطعة من مملكة فارثيا ، طبقة أرستقراطية تعيش جل وقتها على ظهور الخيل للفروسية والصيد • ويجد بعض الباحثين فى ذلك شبها بينها وبين الهنود الحمر فى أمريكا (٢٤) • وبجانب هذا لم يكن لدولة الفارثيين جيش دائم ومستعد • وانما كان يجمع عادة عند الضرورة من قوات أمراء الولايات فى مملكة فارثيا ومن قوات الممالك التابعة لها ، وهى قوات قد دربت بعناية على الفروسية • وكانت لذلك آثار خطيرة على دولة الفارثيين • اذ أنها جعلت عرش ملك الملوك غير ثابت الدعائم • كما جعلت دولة الفارثيين ، من آن لآخر ، مسرحا لفتن وحروب داخلية يثيرها الطامعون فى العرش من الامراء وغيرهم (٢٥) • ومن الطبيعى أن يتأثر سهل العراق بهذه الاوضاع • لانها كانت تؤدى بين وقت وآخر الى قطع اتصالاته مع بعض الاتجاهات •

---

(٢٣) See, The Historian's History of the World, vol. 8, p. 59.

(٢٤) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. pp. 589 and 594. and, H's U.H.W., 8, ... ibid. p. 47.

(٢٥) See, Anderson, J.G.C.; The Eastern Frontier ... ibid. pp. 257-8.

وهذا الوضع الذى قامت عليه دولة الفارثيين ، لم يساعدها على بناء حضارة خاصة تتميز بها كل أجزائها • كما لم يساعدها أيضا على ذلك ، أنهم تركوا معظم أمورها تجرى بمثل ما كانت تجرى من قبل • ولم يحاولوا التدخل فى الشئون الخاصة برعاياهم • وحتى من الناحية الدينية ، كانوا يحترمون كل العبادات ، ولم يعترضوا أو يقيدوا أية ديانة محلية (٢٦) • واذا صح ذلك أمكن القول بأن الديانة البابلية قد استمرت خلال حكم الفارثيين تمارس بحرية فى معابد مدن سهل العراق • وأنها استطاعت أن تقاوم نفوذ الديانات الفارسية كالزرادشتية والمزدكية ، وأن تنتشر على طول مسالك التجارة حيث كان لها تأثير واضح فى كبادوكيا وفى تدمر (٢٧) •

ولم تنقطع اتصالات سهل العراق بالحضارة الاغريقية فى سوريا بالرغم من انقطاع الصلات السياسية بينهما • وذلك لان هذا السهل قد استمر بحكم موقعه الجغرافى حلقة الاتصالات بين القسم الشرقى من العالم القديم وبين القسم الغربى منه • كما أن العناصر الاغريقية ، سواء أكانت فى سلوكيا على دجلة أم كانت فى شراكس على شط العرب ، قد استفادت من روح التسامح السائدة • واستمرت تمارس نشاطها الاقتصادى فيه ، وتربط بينه وبين أنطاكية على العاصى التى أضحت أعظم مركز للحضارة الاغريقية فى شرق البحر المتوسط • وكذلك ، لان ملك الملوك اعتنق النظم الاغريقية السابقة فى ادارة دولته ، كما استمر يستخدم بعض الموظفين الاغريق فيها (٢٨) • ولا شك فى أن ذلك يكون فى حد ذاته عاملا مساعدا

---

(٢٦) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. p. 594.

(٢٧) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. pp. 594 and 597.

(٢٨) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. pp. 591 and 595-6.; Rostovtzeff, M.; Rhodes, Delos and Hellinistic Commerce ... ibid. pp. 665-6. and Fedden, R.; Syria ... ibid. p. 93.

للعناصر الاغريقية الاخرى على الاستمرار فى نشاطها • وقد لمست بعض مظاهر لهذا النشاط • ومع ذلك ، تنبغى الاشارة الى أن هناك بعض عوامل أخرى كانت تعمل على اضعافه • وكان من بينها تفوق العنصر السامى فى سهل العراق بسبب اتصاله الحر مع الجزيرة العربية • وقد بدا لهذا العنصر استعداد خاص دلت عليه سيطرته على مملكة شراكسين وصبغها بالصبغة السامية[٢٩] • وكان من بينها أيضا ، تكرار الصراع بين الفارثيين وبين العالم الاغريقى ـ الرومانى • ثم أصيب بضربة قاضية على يد كاسيوس الذى دمر سلوكيا على دجلة ، وهى معقل الحضارة الاغريقية ، وأعمل السيف فى رقاب أربعمائة ألف من سكانها[٣٠] •

ومما تقدم يلاحظ أن خصائص الموقع الجغرافى لسهل العراق كانت فى هذا العصر متأثرة ببعض عوامل داخلية وخارجية • وأن الاتصالات التى قامت له خلال منافذه فى الشرق الاوسط كانت غير منتظمة ، وكانت تتحول من منفذ الى آخر بسبب تدخل عامل أو آخر من هذه العوامل • الا أن أهم عامل أثر فى هذه الخصائص كان نوع العلاقة القائمة بين الفرس وبين الرومان ، وذلك بسبب قيام الاخيرين عند الطرف الغربى لمعبر الشرق الاوسط الذى يقوم سهل العراق عند طرفه الشرقى • وفيما يلى ، سنقسم تاريخ هذه العلاقات الى أدوار • وسنحاول أن نوضح فى كل دور أثر علاقاته على سهل العراق •

١ ـ الدور الاول من هذه الادوار ينتهى بوفاة مثريداتس الثانى فى سنة ٨٨ ق•م • وفيه كانت العلاقات ودية بين الدولتين • فقد أرسل مثريداتس وفدا الى سولا قنصل روما لانشاء علاقات صداقة ومودة • كما

(٢٩) See, Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p. 102.

(٣٠) The Historian's History of the World, vol. 8, p. 73.

استقبل باحتفال كبير رسولا من وو ـ تى ، امبراطور الصين من أسرة هان ، لانشاء مثل هذه العلاقات بين الصين وبين فارثيا • وفى هذا الدور أيضا كانت علاقات فارثيا طيبة مع جيرانها الاخرين[٣١] • ولعل هذه الدولة لم تشهد فى كل أدوار تاريخها عهد سلام كالذى شهدته فى هذا الدور• وربما كان الامر كذلك بالنسبة لسهل العراق • فان اتصالاته قد امتدت خلال منافذه الطبيعية نحو مصر والعالم الاغريقى ـ الرومانى فى آسيا وفى أوروبا من جهة ، ونحو الهند والصين ووسط أسيا من جهة أخرى[٣٢] • وكان أعظم ما تأثر به ، فتح طريق برى للتجارة بين فارثيا وبين الصين خلال مسالك وسط آسيا • وكان الحرير أهم ما تنقله قوافل هذا الطريق من الصين[٣٣] • وقد اجتذب النشاط التجارى القائم على هذا الطريق نشاطا مماثلا مع الهند أيضا ، وجعل بلخ ومرو وبخارى، اواقعها عند منافذ هذه التجارة محطات لها وأسواقا • الا أن سوقها الرئيسى كان سلوكيا بلا شك • لانها تكون المركز الطبيعى لتوزيعها نحو العالم المتحضر فى الشرق الاوسط وما وراءه من جهة الغرب • ومسالك جانب نهر دجلة ، هى المسالك الطبيعية التى تؤهلها الظروف الجغرافية والعلاقات السياسية والاجتماعية بين سلوكيا على دجلة وبين أنطاكية على العاصى ، لحمل هذه التجارة الى العالم الاغريقى ـ الرومانى • الا أنها ليست المسالك الطبيعية التى توصل الى مصر ودولة الانباط فى بطرى • ولهذا اشترك

(٣١) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. pp. 585-6. See also Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. p. 97.

(٣٢) See, Huzayyin, S.A.; Arabia and theFar East ... ibid. p. 21. and Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. p. 598.

(٣٣) See, Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 101 and 152.; Tarn, W.W.; ... ibid. pp. 598-9. and Sykes, Sir P.; A History of Exploration ... ibid. p. 21.

محتملة • ١ - عبر بحر قزوين الى باكو ، وفى وادى نهر أراس الى أرتاكساتا عاصمة أرمينية • ٢ - طريق خراسان ، من بوابة خراسان الى قزوين ، وفى وادى زنجان مارة عن طريق ميانة وأردبيل أو تبريز الى وادى آراس ومن ثم الى أرتاكساتا • ٣ - طريق خراسان ، بين بوابة خراسان وبين بوابة زاجروس• ثم تتحول بعد خروجها من البوابة الاخيرة مباشرة فى اتجاه مسلك كركوك الى تجرانوسرتا ، فى شمال شرق ديار بكر ، وهى العاصمة الجديدة التى اتخذها تجرانس لمملكته(٣٨) • ومن الملاحظ أن العاصمة الجديدة تتصل بالعاصمة القديمة عن طريق وادى موش المعروف باسم بوابة أرمينية • على أن خضوع هذه الطرق التجارية الثلاثة لتجرانس لا يعنى أن تجارة حرير الصين قد سدت جميع مسالكها عن سهل العراق ، لان الاجزاء الباقية فى أيدى الفارثيين من هضبة ايران تتضمن مسالك أخرى ويمكن أن ينتقل خلالها بعض هذه التجارة الى موانى الساحل الشمالى للخليج العربى • ومن الملاحظ أن شراكس ، عاصمة مملكة شراكين الواقعة عند رأس هذا الخليج ، كان لها فى ذلك الوقت نشاط ملاحى مع بعض هذه الموانىء(٣٩) •

على أن وجود محطات لتجارة الحرير على الساحل الايرانى للخليج العربى ، بعيدة عن المياه الاقليمية لمملكة شراكين ، وفى ذلك الوقت الذى كانت فيه الاحوال الداخلية مرتبكة فى دولة الفارثيين ، لابد أن تجتذب

(٣٨) انظر الخريطتان رقم ٢ ، ١٤ • وراجع ايضا :
The Historian's History of: the World, vol. 5, p. 469. See also Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p. 101. and Semple, E.C.; The Geography of the Mediterranian Region ... ibid. p. 205.

(٣٩) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. p. 599. and Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p. 102.

اليها نشاط العناصر البحرية على الساحل العربى لهذا الخليج وعلى الاخص بتجارة ثغر الجرع المشهور • ولما كان الحرير سلعة خفيفة الوزن وغالية الثمن فى الوقت نفسه ، فانه كان من الممكن نقله بسهولة بواسطة تجار الانباط خلال مسالك داخل الجزيرة العربية الى بطرى والى الاراضى المصرية • أما ما كان ينقل الى شراكس من هذه التجارة ، فانها لكى لاتقع فى أيدى الارمن الذين كانوا فى ذلك الوقت يسيطرون على مسالك جانب نهر دجلة فى أرض آشور وفى القسم الشمالى من أرض الجزيرة ، عمل الفارثيون على تحويلها الى ثغر فولجاسيا على نهر الفرات حيث يمكن نقلها فى بعض المسالك الى بطرى أو خلال مسلك خط العيون وامتداده فى درب الساعى الى تدمر ودمشق(٤٠) • وتحول التجارة الى فولجاسيا ، لابد أن يترتب عليه ضعف النشاط التجارى فى سلوكيا على دجلة وضعفه أيضا فى نيابوليس التى ترتبط بها وتعتمد عليها • وفى الواقع أن فولجاسيا قد نمت وازدادت أهميتها كثيرا حتى أصبحت أكبر سوق فى سهل العراق يتجه اليه تجار تدمر(٤١) •

وقد ازدادت أيضا فى هذا الدور أهمية مسلك وادى الثرثار • كما ازدادت أيضا أهمية مدينة الحضر القائمة عليه • وذلك لان قبائل أسكينيت القائمة على هذا المسلك كانت على صلات ودية مع تجرانس(٤٢) • ولان مدينة الحضر تتصل اتصالا طبيعيا ، كما هو معروف، عن طريق قلعة شرقاط ومطمور بمسالك جانب نهر دجلة(٤٣) التى تحمل التجارة الى تجرانوسرتا العاصمة الارمينية الجديدة • ومن الملاحظ أن مسلك وادى الثرثار ينتهى

(٤٠) انظر الخريطة رقم ٣ •

(٤١) See, Rostovtzeff, M.; The Sarmatae and Parthian ... p. 123.

(٤٢) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. p. 603.

(٤٣) انظر الخريطة رقم ٨ •

الى تدمر كما ينتهى اليها طريق درب الساعى • وقد أثرت الحضر بسبب ذلك ثراء كبيرا وجه اليها أنظار أنطونيوس الرومانى • ويمكن أن نستنتج من حالة الضعف السائدة فى دولة الفارثيين ، ومن الصلات الودية القائمة بين هذه القبائل العربية وبين تجرانس ، وكـذلك من النشاط التجارى الواسع الذى كانت تقوم به ، أن الظروف كانت مناسبة تماما لتغلغل دماء عربية جديدة الى سهل العراق والى أرض الجزيرة •

ولم تتغير كثيرا هذه الظروف بعد سقوط تجرانس • لان بومبى قد أخل بالاتفاق الذى عقده معه أفراهاط الثالث، ولم يقبل أن يسترد الفارثيون كل الاراضى التى اغتصبها تجرانس منهم • وعمل على ابقائه على عرش أرمينيا محتفظا له ببعض ما كانت تحت يده من دولة الفارثيين، وهو يشمل قسما من أرض آشور والقسم الشمالى من أرض الجـزيرة • وذلك فى مقابل أن يكون مواليا لروما(٤٤)•وبعبارة أخرى أن بومبى أبقى تجرانس مصدا على أهم طريق ملائم لسير الجيوش بين سهل العراق وبين القسم الشمالى من سوريا • وهذا طبيعى ، لان بومبى بعد أن استرد منه سوريا لم يعدها الى أصحابها السلوكيين ، وانما احتفظ بها لروما •

وكان من نتائج حروب بومبى أن امتد نفوذ الرومان حـول سنة ٦٦ ق•م الى القسم الشمالى الغربى من سهول الشرق الاوسط • ويعتبر هذا التاريخ بدء دور جديد فى العلاقات بين الرومان وبين الفرس ، وهو دور الصراع الحقيقى على تجارة الشرق • فلم يكن من الطبيعى أن يتوقف الرومان عند هذا الحد من فتوحاتهم فى سهول الشرق الاوسط • وعلى الاخص ، لان توسعهم الاقليمى لم يقم فى بادىء الامر على أساس الرغبة فى امتلاك الاراضى بقدر ما كان قائما على الرغبة فى الاستحواذ على الاسواق التجارية • وهذا القسم الذى استولى الرومان عليه ، وان كان سوقا هاما

(٤٤) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. pp. 603-4.

لتجارة الشرق القادمة عن طريق سهل العراق الى شرق البحر المتوسط ، الا أنه لا يتضمن كل أسواقه هناك • ولهذا كان من الطبيعى أن يحاول الرومان بسط نفوذهم على هذه الاسواق الاخرى فى القسم الجنوبى من سوريا وفى فلسطين وشرق الاردن • وهناك سوف تمتد أطماعهم الى عالم البحر الاحمر والى مصر وهى مصادر أخرى لتجارة الشرق وأسواق لها• ولقد مد بومبى نفوذ روما الى القسم الجنوبى من سوريا وعلى يهوذا فى فلسطين • أما الانباط فى شرق الاردن فقد قاوموه مزدرين أن يكونوا تبعا لروما(٤٥) •

وقد واجه امتداد النفوذ الرومانى فى هذا القسم الغربى من الشرق الاوسط مشكلة القبائل البدوية الضاربة فى الصحراء السورية وفى أرض الجزيرة • وقد عالجها بومبى، فأقام أبجر الثانى ، وهو أمير عربى على ما يبدو ، ملكا على أسرهيين ليكون مصدا فى وجه قبائل أرض الجزيرة • كما أقام أميرا عربيا آخر ، هو الخودونس أو الخيدانس ملكا فى غرب الفرات(٤٦) ، ليقف مصدا فى وجه قبائل الصحراء السورية • وموقع أسرهيين حول أورفه معروف ، أما موقع مملكة غرب الفرات فغير محقق• ومن المحتمل أن تكون قد قامت حول تدمر ، لان موقعها الجغرافى يمكنها من السيطرة على منافذ هجرات القبائل نحو القسم الشمالى من سوريا(٤٧)• ولا شك فى أن قيام مملكة قوية فى تدمر تعتمد بدرجة كبيرة على التجارة(٤٨) بسبب فقر بيئتها ، من شأنه أن ينشط الحركة التجارية فى

(٤٥) See, Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History ... ibid. p. 186.

(٤٦) See, Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. p. 604. and Ormerode, H.A. and Cary, M.; Rome and the East ... ibid. p. 394.

(٤٧) انظر الخريطة رقم ١٢ •

(٤٨) See, Fedden, R.; Syria ... ibid. p. 114.

وادى الفرات بما تفرضه من الامن على مسالكها • وقد كانت الظروف ملائمة لهذا النشاط ، لان قيام ممالك موالية لروما على وادى دجلة وفى القسم الشمالى من أرض الجزيرة ، وهى فى الاصل من أملاك الدولة الفارثية ، قد أدخل مسالك التجارة التى تجتازها فى ميدان الصراع المتكرر بين قوات الفرس وبين قوات الرومان • وهو صراع استمر الى أوائل عهد أفراهاط الرابع • وقد خرج الفارثيون منه باسترداد كل ممتلكاتهم الى نهر الفرات •

٣ ـ يبدأ هذا الدور الثالث بعهد أفراهاط الرابع ويستمر الى أوائل عهد خسرو ، (١٠٦ ـ ١٢٩م) • وقد عاصر أفراهاط أغسطس ، أول أباطرة روما • وكان هذا الامبراطور مقتنعا بأن الامبراطورية الرومانية قد وصلت الى الحد الذى ينبغى أن تقف عنده فى توسعها • وأن المصلحة تقتضى توجيه العناية نحو الاهتمام بشئونها الاقتصادية(٤٩) • ولعل من أهم الاسباب التى أدت الى هذا التوجيه الجديد فى السياسة الرومانية أن مصر قد أصبحت تابعة لروما (منذ ٣١ ق•م) ، وعن طريقها أصبح قسم من تجارة الشرق فى متناول يد الرومان عن طريق البحر الاحمر • ولتحويل هذا البحر الى بحيرة رومانية ، أرسل أغسطس حملات لايقاف أعمال القرصنة التى كان يقوم بها بعض البحارة من العرب ومن الاثيوبيين(٥٠) • كما أرسل حملة بطريقى البر والبحر فى سنة ٢٥ ق•م تحت قيادة أيليوس جالوس Aelius Gollus لاخضاع الممالك التجارية فى

(٤٩) See, Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. 1, pp. 1-2.; Anderson, J.G.C.; The Eastern Frontier Under Augustus ... ibid. pp. 254 et seq. See Also Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p. 58.

(٥٠) See, Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p. 60.

القسم الجنوبى من الجزيرة العربية(٥١) ، ووضع ثرواتها الطبيعية والتجارية تحت يد الامبراطور • وقد كان من الطبيعى أن تؤدى سيطرة الرومان على قسم كبير من تجارة الشرق(٥٢) الى اضعاف أهمية طريق سهل العراق فى نظر الرومان ، وكذلك الى اضعاف أهمية أرمينية • ويمكن القول بدرجة قليلة من الشك أن أغسطس قد فكر فى ترك أرمينية نهائيا للفارثيين(٥٣) ، لولا أن طريق البحر الاحمر وتجارة الهند فيه لم تحقق للرومان سد احتياجاتهم من الحرير • لان الهند ، ولو أنها كانت تنتج الحرير الا أنه كان قليل الكمية • كما أنه كان رذىء النوع بالنسبة لحرير الصين(٥٤) الذى استمر فى مجراه الطبيعى خلال وسط آسيا وهضبة ايران الى سهل العراق • ولهذا تراجع أغسطس عن تفكيره فى هجر أرمينية ، واحتفظ بالنفوذ الرومانى عليها • وبدا فى المحيط الرومانى اقتراح حول مد نفوذهم خلال الجزيرة العربية الى الجرع على ساحل الخليج العربى حيث يمكن الاستحواذ على تجارتها من حرير الصين • كما بدا أيضا نشاط من الجغرافيين الرومان نحو اكتشاف طرق أخرى لاستيراد حرير الصين(٥٥) • وقد بدا من أفراهاط تساهل فى مسألة أرمينية ، فأثار ذلك عليه

(٥١) عن قصة هذه الحملة راجع : Anderson, J.G.C.; The Eastern Frontier Uunder Augustus ... ibid. pp. 247-54. See also, Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. 111.

(٥٢) See, Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. pp. 43 and 59 et seq.

(٥٣) See, Anderson, J.G.C.; The Eastern Frontier ... ibid. p. 260.

(٥٤) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad...ibid. pp. 113-14.

(٥٥) See, Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. pp. 61-2 and 67-8. and 99-100. See also Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 103-5 and 108.

سخط قومه • وقامت فتن داخلية أدت الى ابعاد أسرته عن العرش ، وهى أسرة متريداتس الثانى مؤسس الدولة الفارثية • كما أدت الى كوارث أضعفت فارثيا ثم قضت عليها(٥٦) •

ولم تتحقق للرومان أطماعهم فى الجرع ولا فى كشف طريق آخر لحرير الصين • ولهذا انتهجوا سياسة جديدة ، هى تجنيب منافذ سهل العراق نحو العالم الرومانى ، كلها أو بعضها على قدر المستطاع ، ويلات المنازعات التى تحدث بينهم وبين الفارثيين • لان عن طريق هذه المنافذ وحدها يمكن أن ينقل اليهم ما يحتاجون اليه من هذا الحرير • ولم يكن الفارثيون أقل منهم استجابة لتحقيق هذه الرغبة • ولهذا اتفق الطرفان مرة أخرى على أن يكون نهر الفرات حدا يفصل بينهما • كما اتفقا أيضا على حياد تدمر لتقف مصدا بين قوتيهما من جهة ولتنظيم العلاقات التجارية بينهما من جهة أخرى •

وقد اتبع بعض الاباطرة الذين خلفوا أغسطس هذه السياسة السلمية• وقد ظهرت آثارها فى رخاء بعض المدن فى العراق وفى سوريا على السواء(٥٧) • الا أن بعضا آخر منهم قد انتهج سياسة تحويل الممالك الموالية لروما ، أى المصدات ، الى ولايات رومانية تخضع لنفوذ روما المباشر(٥٨) • وبهذا أضحى الاصطدام متوقعا بين الفرس وبين الرومان

(٥٦) See, Anderson, J.G.C.; The Easter Frontier From Tiberius to Nero, in the C.A.H., vol. X, pp. 747 et seq.

(٥٧) See, Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. 1, pp. 2-3.; See also O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. p. 10. and Charlesworth M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. pp. 50-1.

(٥٨) See, Cumont, F.; The Frontier Provinces of the East, in the C.A.H., vol. XI, p. 617. See also Charlesworth, M.P.; Trade Routes ... ibid. p. 37.

على جانبى نهر الفرات ، بعد أن كان قاصرا على هضبة أرمينية فى الغالب • وقد حدث الاصطدام فعلا بين القوتين عبر الفرات فى القسم الشمالى من أرض الجزيرة • الا أنه لم يتكرر• لان الفرس من جهة كانوا مشغولين فى مشاكلهم الداخلية ، ولان أباطرة الرومان من جهة أخرى قد شغلوا بحياة الترف والملاذ ، وأهملوا النواحى الحربية • وتركوا أمر المحافظة على الحدود الى حكام المقاطعات المباشرة لها(٥٩) • ويبدو أن حياة الترف التى سادت الامبراطورية الرومانية والتراخى الذى بدا فى نشاطها التجارى قرب نهاية القرن الاول الميلادى(٦٠) ، قد ساعد على نشاط الحركة التجارية الاتية من سهل العراق • كما ساعدها أيضا ضعف منافسة التجارة التى كان يحملها الانباط فى ممر شرق الاردن الى أسواق سوريا • وقد حدث هذا الضعف بسبب منافسة الموانىء المصرية من جهة، ومن جهة أخرى لان الانباط باشتراكهم فى حملة آلوس جالوس قد فقدوا ثقة الشعوب التجارية فى القسم الجنوبى من الجزيرة العربية • كما فقدوا أيضا ثقة الرومان • والواقع أن بطرى قد بدا ضعفها بعد ذلك ، ولم تخلف آثارا تستحق الذكر منذ عهد ملكها الحارث الرابع الذى عاصر طيبريوس(٦١)، وهو امبراطور روما بعد أغسطس •

ومن الطبيعى أن يؤدى ضعف منافسة بطرى فى أسواق سوريا الى نشاط تدمر(٦٢) • وقد أثرت هذه المدينة بسبب ذلك ثراء كبيرا •

(٥٩) See, Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall ... ibid. p. 3.

(٦٠) See, Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. pp. 98 and 99. See also Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 115.

(٦١) راجع جورج زيدان ، كتاب العرب قبل الاسلام ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٣٩ ص ٧١ •

(٦٢) See, Fedden, R.; Syria ... ibid. pp. 110-11.; and Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. pp. 45, 48 and 59.

واستطاعت أن تمد نفوذها تدريجيا على بعض المراكز فى الصحراء السورية وعلى شيوخ القبائل البدوية التى تمر طرق تجارتها خلال ديارهم • ومن المحتمل أن تكون قد استخدمت ابلهم فى نقل تجارتها خلال مسالك الصحراء • ومن المحتمل أيضا أن تكون قد استخدمت بعضا منهم فى قيادة قوافلها • وعلى الاخص ، لان اتساع نشاطها التجارى قد استلزمها فتح مسالك أخرى مباشرة نحو أسواق التجارة • وكان من بين هذه المسالك مسلك يمتد من تدمر مباشرة الى هيت على الفرات ، وهو الطريق الذى عرف فيما بعد باسم درب الساعى (٦٣) •

ومع أن ثراء تدمر قد نتج عن اشتغالها بالتجارة بين مدن سهل العراق وبين مدن القسم الغربى من الهلال الخصيب وربما مع مصر أيضا (٦٤) • الا أن موقع تدمر بالنسبة لمسالك جانب نهر الفرات قد جعل نشاطها مركزا مع مدن هذا النهر • ويتضح هذا من أنه لا توجد فى النصوص الكثيرة المتعلقة بتدمر اشارات الى مدينة سلوكيا على دجلة ، رغم أهميتها ، الا مرة واحدة • وربما كان ذلك قبل نهوض فولجاسيا • كما يتضح من أنه كان للتدمريين جاليات كبيرة وبيوت تجارية فى فولجاسيا وبابل وشراكس وفرات وغيرها من المدن الواقعة على نهر الفرات (٦٥) • ومن المتوقع أن يؤدى هذا

(٦٣) انظر الخريطتين ٨ ، ١٢ • وراجع ايضا :
Cumont, F.; The Frontier Provinces of the East ... ibid. p. 613. and Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. p. 129.

(٦٤) See, Fedden, R.; Syria ... ibid. p. 113.

(٦٥) See, Rostovtzeff, M.; The Sarmatae and Parthian ... ibid. p. 123 and footnote.; Cumont, F.; The Frontier Provinces of the East ... ibid. p. 632.; Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p. 59. and Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. p. 129.

النشاط التجارى فى وادى الفرات الى اجتذاب بعض الجماعات اليه من داخل الجزيرة العربية وحافاتها • وعلى الاخص ، من أصيب منها بضرر من جراء ضعف تجارة داخل الجزيرة العربية الذى حدث بسبب اضمحلال بطرى من جهة ، ومن جهة أخرى بسبب تحول النشاط التجارى فى البحر الاحمر الى جانب مصر ووصول سفنها الى الهند لجلب التجارة منها مباشرة (٦٦) •

ولقد وجه ثراء تدمر أنظار أباطرة الرومان اليها • وفى بادىء الامر ، اهتموا باقامة صلات صداقة معها • ثم قويت أطماعهم فيها فى عهد تراجان (٩٨ – ١١٧ م) ، فاتجهوا نحو القضاء على استقلالها (٦٧) • ويمكن القول بدرجة قليلة من الشك بأن ما دفع تراجان الى فعل ذلك ، كان دافعا اقتصاديا • وهو الرغبة فى وضع يد الرومان على الارباح الطائلة (٦٨) التى كانت تدمر تجنيها من أعمالها فى الوساطة التجارية بين العالم الفارسى وبين العالم الاغريقى – الرومانى •

وقد تأثر سهل العراق بأطماع تراجان فى تدمر • وخاصة ، لان هذه الاطماع لم تقف عند أسوارها ، وانما امتدت على طول خطوط تجارتها • وقد ترتب على ذلك أن دخل وادى الفرات لاول مرة ميدان الصراع بين الفرس وبين الرومان • على أن هذا الدخول كان فى الواقع لفترة قصيرة •

(٦٦) See, Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 112-13. Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. pp. 42-3 and 60-2. See also Chesney, Lt-Col. F.R.; The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris, vol. 2 London, 1868, p. 580.

(٦٧) See, Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. 1, p. 306.

(٦٨) See, Cumont, F.; The Frontier Provinces ... ibid. p. 632.

لان هدريان الذى خلف تراجان قد هجر سياسته واعتنق من جديد سياسة السلام التى وضعها أغسطس •

٤ ـ يبدأ هذا الدور من عهد خسرو (١٠٦ ـ ١٢٩ م) ويستمر الى نهاية عهد دولة الفارثيين فى سنة ٢٢٦م • وفيه عاصر خسرو تراجان•وقد خالف هذا الامبراطور الرومانى سياسة السلام التى أوصى بها أغسطس • كما أنه انتهج سياسة اقتصادية بعيدة المدى ، تهدف الى وضع يد الرومان على كل منافذ تجارة الشرق ، من سهول روسيا الى البحر الاحمر • ولتحقيق هذه السياسة قاد الجيوش الرومانية وراء الحدود التقليدية للامبراطورية الرومانية • فقاد جيشا عبر به نهر الدانوب لاخضاع قبائل فى ولاشيا وملدافيا وما وراءهما ، ليضع منافذ البحر الاسود ومسالك جنوب روسيا تحت يد الرومان • أو بالاحرى ، ليمهد لفتح طريق نحو وسط أسيا وشرقها يمر بشمال بحر قزوين وخلال سهوب القرغيز • ولهذا الغرض ، مهد بعض الطرق كما أنشأ بعض الموانىء والمبانى الغامة[٦٩] • ثم قاد جيشا آخر الى هضاب الشرق الاوسط لفرض النفوذ الرومانى على ممر كورا ـ ريون وعلى هضبة أرمينية[٧٠] • وأخيرا اتجه الى سهول الشرق الاوسط ، وأخضع بطرى وحول أرضها الى مقاطعة رومانية عاصمتها بصرى • ومهد طريق ممر شرق الاردن وجعله نهاية الطريق الرومانى المشهور باسم ستراتا ـ ديوكلتيانا Strata Diocletiana. : الذى كان يمتد

---

(٦٩) See, The Historian's History of the World, vol. 6, pp. 269-70.

(٧٠) See, Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History ... ibid. p. 176. See also, The Historian's History of the World, vol. 6, pp. 274-5. and Stevenson, G.H.; The Army and Navy, in the C.A.H., vol. X, p. 224.

بين البحر الاسود وبين رأس خليج العقبة[٧١] • كما أنزل فى البحر الاحمر أسطولا مسلحا لحماية السفن التجارية فيه من أعمال القرصنة[٧٢] • وبعد أن تم له ذلك ، اتجه نحو الطريق الاوسط ، وهو طريق أرض ما بين النهرين • فأخضع تدمر وألقى بجمهوريتها الصغيرة فى أحضان روما[٧٣] • ثم قاد جيشا فى وادى دجلة ، وأسطولا فى مجرى الفرات • ونزل بهما نحو سهل العراق مخضعا للنفوذ الرومانى الاقاليم والمدن التى مر بها حتى استولى على سلوكيا • ثم استمر فى طريقه ليفرض النفوذ الرومانى أيضا على مملكة شراكين[٧٤] التى تكون الحلقة الاولى فى الاتصالات عند رأس الخليج العربى بين الشرق وبين الغرب • وبالرغم من هذا المجهود الجبار ، فشلت حملة تراجان فى السيطرة على أرض ما بين النهرين[٧٥] • ولكن كان لها مع ذلك تأثير آخر خطير • ذلك لانها قد ولدت فى أذهان الرومان اعتقادا حول امكان غزو سهل العراق والسيطرة

---

(٧١) See, Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. pp. 37, 41 and 53 et seq. and Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. pp. 40, 43, 57-9 and 64.

وليس بعيد الاحتمال ان يكون قد ترتب على هذه الاجراءات انشاء ميناء عند رأس العقبة واهمال ميناء ليوك كوم •

(٧٢) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 75. and Charlesworth, M.P.; Trade Routes ... ibid. pp. 43 and 62.

(٧٣) See, Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. 1, p. 306.

(٧٤) See, Husayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 100-1 and 115.

(٧٥) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. pp. 10-11. and The Historian's History of the World, vol. 8, pp. 72-3.

على طريق أرض ما بين النهرين • وفى مجرى الحوادث التاريخية بعد عهد تراجان عدة محاولات بذلها الرومان لتحقيق ذلك •

وقد ترتب على أعمال تراجان فى بطرى وفى تدمر بعض آثار تأثر بها سهل العراق • أما عن الآثار التى ترتبت على أعماله فى بطرى ، فقد كان من بينها زيادة النشاط التجارى فى سهل العراق•لان تراجان بقضائه على دولة الانباط ، وبنقله العاصمة من بطرى الى بصرى ، قد قضى فى الواقع على دولة كانت تقف كمصد يحول بدرجة كبيرة دون تدفق هجرات البدو من داخل الجزيرة العربية الى القسم الغربى من نطاق الهلال الخصيب وعرقلة مسالك التجارة فيه • كما قضى على النشاط التجارى فى طريق القوافل بين جنوب الجزيرة العربية وبين شمالها ، وساعد على الاشتغال بأعمال القرصنة فى البحر الاحمر وعلى أعمال السلب فى طرق التجارة البرية(٧٦) • ولا يبدو أن الرومان قد قاموا بتنظيم قوافل لجلب تجارة الجزيرة العربية ، كما كان يفعل الانباط • كما لا يبدو كذلك ، أنه كان باستطاعتهم صيانة الامن والنظام على مسالك التجارة فى الصحراء(٧٧) • حقيقة أن السفن الحربية التى وضعها تراجان فى البحر الاحمر لصيانة

---

(٧٦) يلاحظ ان هذه القبائل ، أو بعضها ، كانت تستفيد كثيرا من النشاط التجارى للانباط عن طريق الضرائب التى كانوا يحصلون عليها من مرور قوافل التجارة فى اراضيهم وعن طريق تأجير بعض ابلهم للتجار أو قيادتهم للقوافل واشتراكهم فى حراستها • راجع :
Anderson, J.G.C.; The Eastern Frontier ... ibid. p. 249.

(٧٧) يذكر بعض الباحثين أن الفوضى والاضطرابات التى ترتبت على القضاء على بطرى قد استمرت مدة طويلة ، حتى أن دسيوس الذى جاء بعد تراجان بنحو قرن ونصف اضطر أن يجلب أسدا من أفريقية ويطلقها فى الصحراء الجنوبية (جنوب تدمر) لاخافة البدو وخلق مشاكل لينشغلوا بها • راجع :
Fedden, R.; Syria ... ibid. p. 122. and cf. Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p. 53.

سفن التجارة فيه من اعتداء القراصنة عليها قد زادت على ما يبدو من حركة النشاط التجارى فيه ، ولكن ينبغى أن نلاحظ أن الاسكندرية قد أضحت مركز الجذب الاول لتجارة الشرق الاتية فى البحر الاحمر(٧٨) • وعلى الاخص،بعدأن أعادحفر القناة الموصلة بين البحر الاحمر والنيل • وبعد أن أصبح فى امكان السفن التجارية الابحار بين الاسكندرية وبين روما مباشرة ، بدلا من الالتفاف حول سواحل شرق البحر المتوسط وشماله الشرقى • وقد ترتب على ضعف تجارة الشرق فى ممر شرق الاردن ، أن تفتحت أسواق سوريا للتجارة الآتية من سهل العراق(٧٩) •

وأما عن الآثار التى ترتبت على أعمال تراجان فى تدمر ، فقد كان من بينها وضع طريق تجارة وادى الفرات لحد ما تحت الاشراف الرومانى • وقد دفعهم هذا آليا الى التدخل الاستعمارى على طول مسالك التجارة فى أرض الجزيرة ونحو سهل العراق(٨٠) • الا أن هناك أثرا أخر قد نتج عن تولد المصالح الاقتصادية للرومان على طريق مسالك جانب نهر الفرات • وذلك ، هو احلال السلام محل النزاع بينهم وبين الفرس • فان الامبراطور هادريان ، الذى خلف تراجان ، رأى بثاقب بصره أن سيطرة الرومان على تدمر معناه سيطرتهم على تجارتها مع دولة الفارثيين(٨١) • ولهذا قبل مصالحتهم ، ورضى أن يسحب من أراضيهم كل الحاميات الرومانية ، وأن

---

(٧٨) See, Anderson, J.G.C.; The Eastern Frontier ... ibid. p. 253. See also Semple, E.C.; The Mediterranian Region ... ibid. pp. 188-9.

(٧٩) See, Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. p. 59.

(٨٠) See, Cary, M.; The Geographic Backgroud ... ibid. p. 183.

(٨١) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 153. and cf. Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. p. 59,

يعيد نهر الفرات ، كما كان ، حدا يفصل بين قوتيهما (٨٢) • وذلك فى مقابل موافقتهم على حرية التجارة للقوافل الرومانية فى أراضيهم (٨٣) •

ولقد وافق الفارثيون على ذلك دون أن يدركوا أن تدخل المصالح الاقتصادية الاجنبية فى أراضيهم انما هو مقدمة لتدخل المطامع الاستعمارية فيها • وفى الواقع ، أنه لم يمض وقت طويل حتى شوهد نفوذ الرومان يمتد على طول مسالك تجارة تدمر نحو سهل العراق • فقد شوهدت قواتهم وهى تقوم بحملات تأديبية على مسالك التجارة فى جانب وادى الفرات ، وتقيم لها حصونا فى بعض المواقع المناسبة مثل دورا وعنه وغيرها (٨٤) • وقد شوهد مثل ذلك أيضا فى بعض المواقع على الخابور وفى تلال سنجار (٨٥) • وتنبغى ملاحظة أن هذا التوغل للنفوذ الرومانى ، وان أخذ طابعا سياسيا ، الا أن الغرض منه فى بادىء الامر كان العمل على صيانة مسالك تجارة تدمر خلال الاراضى التى يغلب على سكانها عنصر الرعاة • كما تنبغى أيضا ملاحظة أن توغل النفوذ الرومانى فى وادى الخابور وفى تلال سنجار قد يتولد عنه احتكاك بينهم وبين عرب اسكينيت أصحاب دولة الحضر وهم الذين كانوا يسيطرون على طريق وادى الثرثار ويحتكرون التجارة فى أرض

---

(٨٢) See, The Historian's History of the World, vol. 8, p. 73.

(٨٣) See, Cumont, F.; The Frontier Provinces of the East .. ibid. p. 632.

(٨٤) تذكر جرانت أن الرومان مهدوا طريقا بين تدمر « بلميرا » وبين هيت يبلغ طوله نحو ٤٧٥ كم • وحفروا على طوله آبارا ، لا تتجاوز المسافة بين الواحد وبين الاخر ٤٥ كم • كما أقاموا قلاعا فى بعض مواقعه ، ولاتزال آثار أربع منها باقية الى الوقت الحاضر •
راجع : Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. p. 40.

(٨٥) See, Cumont, F.; The Frontier Province of the East ... ibid. p. 618. See also Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History ... ibid. p. 183, footnote No. 2. and Grant, C.P. The Syrian Desert ... ibid. p. 64 and footnote.

الجزيرة بين سهل العراق وبين تدمر • الا أنه يبدو مع ذلك ، أن المصلحة المشتركة فى تنشيط التجارة على هذا الطريق قد ولدت بينهم نوعا من التفاهم • لان هذه الدولة ، وهى لا أساس لها تقوم عليه غير التجارة ، قد أصبحت عاصمتها حصنا منيعا عجزت عن فتحه قوات سفيروس ، وهى القوات التى خربت سلوكيا كما خربت طيسفون فى السنوات الاخيرة من القرن الثانى الميلادى • كما أضحت أيضا مركزا حضاريا كبيرا ، وتتضمن خزائنها ثروات ضخمة (٨٦) • ومما يقوى الاحتمال فى أن صلاتها كانت ودية مع الرومان ، أن القضاء عليها كان من الاهداف الاولى التى اتجهت اليها قوات أردشير مؤسس الاسرة الساسانية (٨٧) •

وقد استفاد سهل العراق كثيرا من الناحية التجارية ، كما استفاد تجار تدمر ، خلال عهد هادريان (١١٧ – ١٣٨ م) وخلال عهد خلفه أنطونيوس بيوس (١٣٨–١٦١ م) • وذلك نتيجة لقيام القوات التدمرية – الرومانية بصيانة مسالك التجارة (٨٨) • أما من الناحية السياسية ، فان الفرثيين لم يرضوا عن توغل النفوذ الرومانى فى أراضيهم وسيطرتهم على مسالك التجارة خلالها • ولهذا ، اتحدت كلمتهم فى عهد الفاش الثالث – Vologasus (١٤٧–١٩١م) على مقاومة النفوذ الرومانى • ورفضوا الاتفاقات السلمية التى عرضها الرومان عليهم وأصروا على تحكيم السيف (٨٩) •

---

(٨٦) See, The Historian's History of the World, vol. 8, p. 74.

(٨٧) See, The Historian's History of the World, vol. 8, p. 77.

(٨٨) See, Rostovtzeff, M.; The Sarmatae and Parthians ... ibid. pp. 109 et seq. and Fedden, R.; Syria ... ibid. p. 111.

(٨٩) See, The Historian's History of the World, vol. 8, p. 73. See also O'Leary, De L.; How Greek Scince Passed to the Arabs ... ibid. p. 11. and Anderson, J.G.C.; The Eastern Frontier from Tiberius to Nero ... ibid. pp. 755 et seq.

وكان من الطبيعى أن تتوقف ، بسبب ذلك ، تجارة الرومان مع سهل
العراق • وخاصة ، تجارة الحرير الذى لم يعد لبسه ترفا بل أصبح
ضرورة • وكان بعض منه يرسل كهدايا لارضاء زعماء الشعوب الغاضبة
على الامبراطورية • ولهذا كان من الطبيعى أيضا أن يقف الرومان من هذه
المشكلة موقفا حاسما • وقد سلك الرومان لحل هذه المشكلة طريقين يهدفان
الى غرض واحد ، هو تحويل تجارة الحرير من أيدى الفارثيين الى أيديهم
واقامة اتصالات مباشرة بينهم وبين الصين • ولهذا ، أرسلوا جيشا بقيادة
كاسيوس سنة ١٦٥م لتدمير سلوكيا – طيسفون وتخريب سوق
الرئيسى لتجارة حرير الصين فى الشرق الاوسط • كما أرسلوا فى الوقت
نفسه وفدا بطريق البحر الى الصين • وقد وصل هذا الوفد الى البلاط
الامبراطورى هناك فى سنة ١٦٦م (٩٠) •

ولم يحقق الطريقان اللذان سلكهما الرومان هدفهم • واستمرت
تجارة الحرير تأخذ مجراها الطبيعى خلال وسط أسيا وهضبة ايران الى
سهل العراق ، كما تدل على ذلك بعض التقارير • الا أن أعمال الرومان
فى سهل العراق كانت لها بعض آثار خطيرة • فمن جهة ، أدى تخريب
كاسيوس لسلوكيا واعمال السيف فى رقاب سكانها الى القضاء على المركز
الرئيسى للحضارة الهيلينية فى سهل العراق • ومن جهة أخرى ، أدى
انتصارهم على الفرس الى صلح فى سنة ١٦٦ م أنالهم الجزء الغربى من
أرض الجزيرة (٩١) ، وهو الجزء الذى يقع ، عبر الفرات ، مقابلا لمنطقة

(٩٠) See, Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. 22.; Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. pp. and 120. and The Historian's History of the World, vol. 8, p. 74.

(٩١) See, The Historian's History of the World, vol. 8, pp. -4.; Charlesworth, M.P.; Trade Routes Commerce ... ibid. p. 72. nd O'Leary, De L.; How Greek Scince Passed to the Arabs ... bid. p. 11.

نفوذهم فى دولة تدمر • وقد حول الرومان فى هذه الاراضى الجديدة
التى استولوا عليها من الفارثيين مخافرهم التى سبق أن أقاموها على مسالك
تجارة تدمر الى خطوط من التحصينات تمتد فى وادى الفرات الى قرقسية،
كما تمتد فى أرض الجزيرة ، مع وادى الخابور الادنى ، الى تلال سنجار •
وقد ضاق بسبب ذلك المجال الحيوى لسهل العراق ، وأضحى تدخل
الرومان فى شئونه كبير الاحتمال ، كما أضحى أيضا اصطدام الرومان مع
عرب الحضر متوقعا • وقد تحققت هذه الاحتمالات فى سنة ١٩٩م عندما
قاد سفيروس جيشا نزل به فى وادى دجلة وأسطولا نزل به فى وادى
الفرات لغرض الاستيلاء على سلوكيا – طيسفون مركز الحكم الفارسى فى
سهل العراق (٩٢) • ولقد هرب الملك الفارثى • ولكن سفيروس لم يتعقبه
وانما اتجه الى حصن الحضر ، وهو أكبر قوة يحتمل أن تنافس الرومان
فى السيطرة على سهل العراق بعد أن هرب الفارثيون منه (٩٣) ، فصدته
عنه أسواره المنيعة وحالت دون استيلائه عليه • ومما هو جدير بالملاحظة
أن سفيروس قاد حملة أخرى الى هذا الحصن فى سنة ٢٠١م (٩٤) • ويحمل
هذا على الاعتقاد بأن دويلة الحضر كانت قد بلغت درجة كبيرة من القوة
تجعلها جارا خطرا على الرومان • على أن هناك احتمالا أخر ، وهو أن

(٩٢) See, O'Leary, De L.; How Greek Scince Passed to the Arabs ... ibid. p. 11. and The Historian's History of the World ... ibid. p. 74.

(٩٣) يرى ميلر ، أن أسباب حملة سفيروس الى سهل العراق والى حصن الحضر ترجع الى رغبته فى الانتقام من الملك الفارثى لوعده نيجر ، منافسه على العرش الرومانى ، بالمساعدة • ولان برسيموس ، ملك الحضر ، قد أرسل اليه فعلا قوة لمساعدته • راجع :
Miller, S.N.; The Army and The Imperial House, in the C.A.H., vol. XII, p. 9.

(٩٤) See, The Historian's History of the World, vol. 8, p. 74.

يكون عرب الحضر قد سببوا متاعب للرومان • ذلك لان تخريبهم لسلوكيا يؤثر تأثيرا مباشر على تجارة وادى الثرثار لانها تعتمد على سوقها الكبير • ولا بد أن يؤدى هذا التخريب الى تحويل المركز الرئيسى للتجارة فى سهل العراق من وادى دجلة الى فوجاسيا فى وادى الفرات • وخاصة ، لانــه يبدو أن ملوك الفارثيين أنفسهم كانوا يعملون على اضعاف سلوكيا الاغريقية وتحويل نشاطها التجارى الى فوجاسيا(٩٥) • وقد كان لتدمير سلوكيا من جهة ، وللنزاع بين عرب الحضر وبين الرومان على طريق وادى الثرثار من جهة أخرى ، أثر فى زيادة النشاط التجارى فى وادى الفرات • وقد قاد هذا النشاط على ما يبدو ، عرب تدمر الذين كانت لهم مستعمرات تجارية فى فوجاسيا وفى غيرها من المدن التجارية فى وادى الفرات • لاننا سنراهم بعد قليل يبلغون درجة عظيمة من القوة تجعلهم يزدرون أن يكونوا أتباعا لروما ، كما تجعلهم يمدون أصابعهم نحو الاستيلاء على سهل العراق نفسه أثناء حكم الساسانيين له(٩٦) •

---

(٩٥) See, Rostovtzeff, M.; The Sarmatae and Parthians ... ibid. p. 123 and footnote.

(٩٦) See, Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. 1, pp. 306-7 and The Historian's History of the World, vol. 6, p. 418.

يكون عرب الحضر قد سببوا متاعب للرومان • ذلك لان تخريبهم لسلوكيا يؤثر تأثيرا مباشر على تجارة وادى الثرثار لانها تعتمد على سوقها الكبير •
ولا بد أن يؤدى هذا التخريب الى تحويل المركز الرئيسى للتجارة فى سهل العراق من وادى دجلة الى فولجاسيا فى وادى الفرات • وخاصة ، لانه يبدو أن ملوك الفارثيين أنفسهم كانوا يعملون على اضعاف سلوكيا الاغريقية وتحويل نشاطها التجارى الى فولجاسيا(٩٥) • وقد كان لتدمير سلوكيا من جهة ، وللنزاع بين عرب الحضر وبين الرومان على طريق وادى الثرثار من جهة أخرى ، أثر فى زيادة النشاط التجارى فى وادى الفرات • وقد قاد هذا النشاط على ما يبدو ، عرب تدمر الذين كانت لهم مستعمرات تجارية فى فولجاسيا وفى غيرها من المدن التجارية فى وادى الفرات • لاننا سنراهم بعد قليل يبلغون درجة عظيمة من القوة تجعلهم يزدرون أن يكونوا أتباعا لروما ، كما تجعلهم يمدون أطماعهم نحو الاستيلاء على سهل العراق نفسه أثناء حكم الساسانيين له(٩٦) •

---

(٩٥) See, Rostovtzeff, M.; The Sarmatae and Parthians ... ibid. p. 123 and footnote.

(٩٦) See, Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. 1, pp. 306-7. and The Historian's History of the World, vol. 6, p. 418.

١١ ـ الساسانيون

(٢٢٦ - ٦٥١م)

يعتبر حكم الساسانيين فى سهل العراق امتدادا لحكم الفارثيين فيه • وقد كانت خصائص الموقع الجغرافى لهذا السهل فى عهدهم مقيدة أيضا ، بدرجة كبيرة ، بنوع العلاقات التى كانت تقوم بينهم وبين الرومان • وهى علاقات كانت عدائية فى الغالب • الا أنه ، مع ذلك ، توجد بعض فروق تجعلنا نميز عهدهم عن عهد الفارثيين • ومن ذلك ، أن دولتهم كانت وحدة ولم تكن اتحادا • فانهم قد حولوا الممالك والامارات التى كانت مستقلة فى عهد الفارثيين الى مقاطعات فارسية(١) ، وأضحى ملوكها وأمراؤها موظفين فى خدمة ملك الملوك • وتلمس ناحية ديمقراطية فى طريقة تعيين هؤلاء الموظفين • لانهم كانوا يختارون بواسطة سكان المقاطعة أو الامارة التى ينتمون اليها ، ثم يصادق على تعيينهم الملك الساسانى(٢) •
ولا شك فى أن هذا النوع من الحكم كان من عوامل حياة الاستقرار فى جهات الدولة الساسانية والنهوض بها • وقد لمست آثار ذلك فى نهضة سريعة شملت أوجه النشاط الاقتصادى فيها من نواحيه الزراعية والصناعية والتجارية •

ومن بادىء الامر اتجه نشاطهم التجارى نحو الشرق • وكان يقوم على تبادل منتجاتهم المحلية مع منتجات الهند والصين وغيرهما من عالم المحيط الهندى • وذلك لانهم كانوا أشد عداء للرومان من سابقيهم • اذ أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم من سلالة الاخمينيين(٣) • ويعتبرون الرومان

---

(١) See, The Historian's History of the World, vol. 8, p. 78.

(٢) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 155.

(٣) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. p. 11.

مغتصبين لقسم من أراضيهم • وقد أضحت بسبب هذا العداء مسالك التجارة فى أرض ما بين النهرين وعند حافاتها مسرحا لصراع مستمر بينهما(٤) • وقد اشترك مع هذا الصراع فى عرقلة سير التجارة بين أراضيهما أو منعه، أن كلا منهما قد قضى على واحدة من الدولتين اللتين كانتا تقومان بالوساطة التجارية بينهما • فقد قضى أزدشير بن بابك ، أو سابور الاول ، حول منتصف القرن الثالث الميلادى على قوة الحضر • كما قضى الامبراطور أورليان فى النصف الاخير من نفس القرن على قوة تدمر(٥) • ولم تتهيأ بعد ذلك ظروف مساعدة لقيام العلاقات التجارية بينهما ، وعلى الاخص على مسالك جانب نهر الفرات • وذلك بسبب العداء الذى استحكمت حلقاته بين عرب الحيرة الموالين للفرس وبين عرب غسان الموالين للرومان •

ويلمس النشاط التجارى للساسانيين مع عالم المحيط الهندى فى اهتمامهم بالموانىء القديمة التى كانت قائمة عند مصبات الانهار وعلى سواحل الخليج العربى ، وفى انشائهم بعض موانىء أخرى جديدة• ويلمس كذلك فى انشاء أسطول للنقل البحرى بين الموانىء الفارسية وبين بعض الموانىء على ساحل المحيط الهندى • كما يلمس أيضا فى محاولتهم الاستيلاء على جزيرة سيلان(٦) ، التى بموقعها الجغرافى ، تبدو صالحة لأن يقوم فيها سوق كبير للتجارة بين الصين وجنوب أسيا من جهة وبين الشرق الاوسط وأفريقية من جهة أخرى •

---

(٤) عن خلاصة للحوادث التاريخية بين الساسانيين وبين الرومان ، راجع :
The Historian's History of the World, vol. 8, pp. 76-79.

(٥) See, Cary, M.; The Geographic Background ... ibid. p. 187.

(٦) See, Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 21 and 133. and Bury, J.B.; History of the Later Roman Empire London, 1923, vol. 2, pp. 316-321.

وقد اتخذ الساسانيون بحارة أسطولهم من عرب شراكين وغيرهم من العناصر البحرية على سواحل الخليج العربى(٧) • وقد أدى هذا ، من بعض النواحى ، الى تقوية الصلات بين الفرس وبين العالم العربى فى الجزيرة العربية • كما أدى الى تركز النشاط التجارى عند رأس الخليج العربى وفى سهل العراق • واجتذب الى هذه المناطق بعض العناصر التجارية النشيطة من عرب اليمن ومن عرب الحجاز ونجد • ويبدو أن هذا الوضع الجديد للنشاط التجارى الفارسى قد فتح بابا للاتصالات التجارية ، بشكل ما ، بين ثغور العراق فى وادى الفرات وموانىء الخليج العربى من جهة ، وبين فلسطين ومصر من جهة أخرى خلال الجزيرة العربية • الامر الذى ساعد على زيادة نمو كل من مكة والمدينة واعطائهما كثيرا من الاهمية التجارية التى كانت تتمتع بها بطرى • ومن المعروف أن كلا من هاتين المدينتين يقع على الطريق القديم لتجارة القوافل بين اليمن وبين بطرى • كما أن كلا منهما تتصل اتصالا سهلا ببعض الموانىء الهامة على ساحل البحر الاحمر • وتتصل مكة خلال بعض مسالك فى داخل الجزيرة العربية بالجرع فى منطقة الاحساء • كما تتصل عن طريق الدرب السلطانى ووادى البطن بالمراكز التجارية الاخرى عند رأس الخليج العربى • والمدينة أيضا ، يمكنها أن تتصل بهذه المراكز عن طريق وادى البطن كما يمكنها أن تتصل عن طريق بعض مسالك أخرى بثغور سهل العراق فى وادى الفرات(٨) • ويمكن تقدير الاهمية التجارية التى اكتسبتها مكة،نتيجة لتوقف سير التجارة الشرقية وخاصة تجارة الحرير من العالم الفارسى الى العالم الرومانى ، من وجود بعض بيوت تجارية للرومان

---

(٧) See, Christensen, A.; Sassanid Persia, in the C.A.H., vol. XII, p. 118. and Bury, J.B.; History of The Later Roman ... ibid. pp. 316-333.

(٨) أنظر الخريطة رقم ١٣ •

فيها(٩) • ومما تجدر الاشارة اليه ، أن الفرس لم يكونوا يسيطرون على حرير الصين الاتى بطريق البر خلال مسالك وسط أسيا فحسب، بل انهم كانوا أيضا يسيطرون على حرير الهند الذى يمكن نقله بطريق الماء ، كما تشير الى ذلك المعلومات التى ترجع الى عهد جستنيان(١٠) • ويمكن القول بأن الاتصالات التى جرت بين العالم الفارسى وبين عرب الحجاز لم تنقل اليهم مواد التجارة فحسب ، بل انها نقلت اليهم أيضا بعض مؤثرات الحضارة • وفضلا عن ذلك ، كان عرب الحيرة عاملا آخر بعيد الاثر فى نقل مؤثرات الحضارة البابلية ـ الفارسية الى الجهات الداخلية فى الجزيرة العربيــــة •

ومن الفروق التى يمكن لمسها بين دولة الساسانيين وبين دولة الفارثيين ، أن ملوك الساسانيين قد اتخذوا التعاليم الزرادشتية دينا رسميا لدولتهم(١١) • وكونوا لها هيئة دينية عليا ، كما شيدو كنيسة رسمية • وهذا يعنى أنهم ، بجانب عملهم على توحيد دولتهم سياسيا ، قد عملوا أيضا على توحيدها دينيا(١٢) • ويكون من المنتظر تبعا لذلك ، أن يضطهد أصحاب العبادات الاخرى أو أن تقيد عباداتهم • وقد حدث هذا فعلا فى

---

(٩) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 184. and cf. Cary, M.; The Geographic Background ... ibid. p. 185 footnote No. 6.

(١٠) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. pp. 114-15. and, Procopius; Persian Wars. Eng. Tr. By H.B. Dewing, London, 1914. Book 1, Chap. 20.

(١١) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. pp. 11-12. and Tarn, W.W.; Parthia ... ibid. pp. 593-5.

(١٢) See, Christensen, A.; Sassanid Persia ... ibid. p. 111. and Schneider, H.; The History of World Civilisation ... ibid. pp. 324 and 329.

بعض الاوقات • الا أنه فى بعض أوقات أخرى أبيحت الحرية لاصحاب العبادات غير الرسمية • وكان ذلك لاسباب سياسية •

ومع أن خصائص الموقع الجغرافى لاى اقليم تتأثر بدرجة كبيرة بتغير ظروفه السياسية سواء أكانت داخلية أم كانت خارجية ، الامر الذى دعانا لان نراعى ذلك فى عهد الفارثيين بتقسيم تاريخهم الى أدوار • الا أننا نلاحظ أن عهد الساسانيين قد امتاز منذ بدء قيامه الى نهايته بظاهرة استمرت مسيطرة فى معظم أدواره تقريبا • وتلك ، هى ظاهرة العداء المستحكم بين القسم الشرقى من الشرق الاوسط وبين القسم الغربى منه • سواء أكان هذا العداء بين الفرس وبين الرومان أم كان بين عرب الحيرة وبين عرب غسان • وقد ترتب على هذا العداء أن توقف موقع سهل العراق عن تأدية وظيفته كممر للتجارة بين شرق العالم القديم وبين غربه • واقتصر النشاط على الاتجاه نحو الشرق ، ونحو داخل الجزيرة العربية ، بجانب هضبة ايران • ولهذا فاننا سنأخذ عهد الساسانيين ، رغم طول أمده ، دورا واحدا • وسنحاول أن نتعرف خلال حوادثه التاريخية على آثار موقع العراق •

نشأ الساسانيون فى اقليم برسيس الذى تنسب اليه بلاد فارس • وكانت قوتهم آخذة فى النمو فى حوض اصطخر (برسبوليس) فى شرق الاهواز ، بينما كان العرش الفارثى آيلا الى السقوط • وقد كون هذه الاسرة بابك بن ساسان ، ولكن أزدشير بن بابك هو الذى أقام دولتها على أنقاض دولة الفارثيين • وقد بدأ أزدشير باخضاع الجهات المحيطة به • وبعد أن أخضع علام ، اتجه الى سهل العراق واستولى على طيسفون وجدد بناءها وقوى حصونها • وفعل مثل ذلك أيضا بسلوكيا ، وسماها فه ـ أزدشير ، أى أزدشير المصلح • وقد اتخذ لنفسه لقب ملك الملوك • كما اتخذ طيسفون عاصمة له • وسار خلفاؤه على نهجه ، ولم يتخذوا لهم بجوارها عاصمة سياسية أخرى • حقيقة أن اصطخر كانت تعتبر عاصمة ، الا أنها

كانت عاصمة مقدسة ، كما كانت برسبوليس فى عهد الاخمينيين[١٣] .

ولم يكن من مصلحة الساسانيين الاقتصار على عاصمة واحدة . كما أن اختيارهم طيسفون لم يكن موفقا . وخاصة ، بعد أن امتدت رقعة دولتهم نحو الشرق ونحو الشمال الشرقى ، وشملت كل هضبة ايران ، كما شملت امارات مرو وبلخ وخوارزم . واعترف بنفوذها ملوك وامراء القسم الاوسط من وادى السند والقسم الادنى منه[١٤] . فان موقع طيسفون المتطرف بالنسبة لهذه الجهات قد جعل قبضة الحكومة المركزية عليها ضعيفة . ولهذا كان يتكرر فى بعض أجزائها حدوث فتن وحركات استقلالية . وقد ترتب على هذه الحوادث عرقلة لسير الاتصالات بين سهل العراق وبين الهند والصين بالطرق البرية ، وتنشيط لها بالطرق البحرية . وكان لاختيار طيسفون آثار أخرى ترتبط بسهل العراق خاصة . فانه قد ترتب على ذلك قوة الساسانيين فيه ، وعلى مقربة من معاقل الرومان وحصونهم فى تلال سنجار وفى أرض الجزيرة وعلى جانبيها فى وادى دجلة وفى وادى الفرات ، تركيز ميدان الصراع بين الفرس وبين الرومان فى هذه المناطق . وكثيرا ما امتد هذا الميدان الى القسم الشمالى من سهل العراق . كما ترتب على ذلك أيضا ، أن استمر هذا السهل المركز الاول للنشاط الاقتصادى والحضارى فى دولة الساسانيين . وترتب كذلك ، أن كانت قبضتهم قوية على مداخله . وتلمس لهذه الناحية الاخيرة آثار فى الاضطهادات التى وجهها بعض الملوك الساسانيين مثل أزدشير وسابور الاول وسابور الثانى ضد القبائل العربية الساكنة عند هذه المداخل .

وقد كان عرب الحضر ، على مدخل وادى الثرثار ، أول من اتجهت

---

(١٣) See, The Historian's History of the World, vol. 8, pp. 77-8. and Christensen, A.; Sassanid Persia ... ibid. p. 110.

(١٤) See, Christensen, A.; Sassanid Persia ... ibid. pp. 109-10.

اليهم اضطهادات أزدشير ثم ابنه سابور الاول[١٥] . وتبدو أسباب هذا الاضطهاد غامضة ، اذا روعى أن هذه الدولة كانت تقف كمصد على هذا المدخل . وروعى أيضا أنه كان بامكان الساسانيين أن يستعينوا بها فى حروبهم ضد الرومان بمثل استعانتهم بقوة الحيرة . و يوجد ما يدل على أن أهل الحضر كانوا على صلات ودية مع الرومان[١٦] . ولعل اضطهاد الفرس لهم كان جزءا من حركة عامة قصدوا بها أن يتخلصوا من جماعات كثيرة من القبائل العربية غير مرغوب فى وجودها . وفى الواقع ، أن الظروف كانت مهيأة أثناء حكم الفارثيين لتقدم بعض هذه القبائل من بعض الاتجاهات نحو حافات سهل العراق والى داخله[١٧] . ومن المحتمل أن كان قد بدا من بعضها خطر على الاراضى الزراعية . ومن المعروف أن الزراعة كانت عند الساسانيين تعتبر من أهم الحرف البشرية وأكثرها تقديرا عندهم[١٨] .

وقد عرف الرومان عرب الحضر باسم اسكينيت[١٩] . ولكن

---

(١٥) See, Christensen, A.; Sassanid Persia ... ibid. pp. 111, 126 and 130.; The Historian's History of the World, vol. 8, pp. 74 and 77. and O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 155.

راجع أيضا الدكتور حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسى، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٣٥ ص ٥٠ .

(١٦) راجع الجزء السابق من هذا الموضوع .

(١٧) See, The Historian's History of the World, vol. 8, p. 76. See also Longrigg, S.H.; Four Centuries of Modern Iraq ... ibid. p. 13.

(١٨) راجع فيما يلى القسم الاخير من هذا الموضوع .

(١٩) See, Charlesworth, M.P.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p. 101.

المعلومات عنهم غير محققة،وتتضارب حولهم آراء بعض مؤرخي العرب[٢٠].
ومن المحتمل أنهم كانوا قسما من القبائل التى كونت مملكة تدمر ، وأنهم دخلوا الى أرض الجزيرة من جانبها • ولما كانوا أعرف بمسالك الصحراء وبموارد المياه فيها ، استخدمتهم قوافل التجارة أدلاء لها كما استخدمت ابلهم فى حملها ، حتى تهيأت لهم الفرصة فتولوا بأنفسهم أمرها على طريق وادى الثرثار بين سهل العراق وبين بعض الاسواق السورية • ولا يعرف كذلك ماذا صار اليه أمرهم بعد تخريب دولتهم • ولعلهم قد رجعوا خلال أرض الجزيرة وانضموا الى أبناء عمومتهم فى تدمر وكونوا من بينهم حلفا أراد ، بعد أن فشلت وسائله السلمية ، أن يسيطر بالقوة على مسالك تجارته القديمة فى بعض جهات الشرق الاوسط • لان الفرس لم يقضوا على دولة الحضر وعلى تجارتها فى طريق وادى الثرثار فحسب ، بل ان قبضتهم القوية على سهل العراق وعلى منافذه ، بجانب عدائهم الشديد للرومان ، قد عرقلت أيضا أو منعت تجارة تدمر مع ثغور وادى الفرات والخليج العربى[٢١] • ويبدو أن هذا الحلف فى تدمر قد عمل أولا على استرضاء سابور الاول ، فارسل اليه عند عودته ظافرا من أنطاكية قافلة محملة بالهدايا، ولكن سابور رفض قبولها كما رفض الاستماع الى الرسل[٢٢].

(٢٠) راجع عباس العزاوى ، عشائر العراق ، ١ ، القديمة ـ البدوية الحاضرة ، بغداد ، ١٩٣٧ ، ص ٩٩ ـ ١٠١ • الدكتور جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الاول (القسم السياسى) ... المرجع السابق ص١٢٤ـ١٢٥، ١٨١ـ١٨٢• والفريق طه الهاشمى ، مفصل جغرافية العراق ... المرجع السابق ص ٩١ـ٩٣ •

(٢١) See, Alfoldi, A.; The Crisis of the Empire (249-271) in the C.A.H.; vol. 12, p. 174. and Christensen, A.; Sassanid Persia ... ibid. p. 128.

(٢٢) See, Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. I, p. 272.; The Historian's History of the World, vol. 6, p. 418. and cf. Alfoldi, A.; The Crisis of the Empire ... ibid. p. 174.

وازاء هذا ، لم يجد الحلف وسيلة أخرى يمنع بها عن نفسه الفناء الا أن يحاول بالقوة فرض سيطرته على مسالك تجارته القديمة وعلى أسواقها • وقد قاد أوديناتوس (أذينة) ، أمير تدمر ، فى سنة ٢٦٢ ميلادية قواته لهذا الغرض • فحارب الفرس وهزم جيوشهم فى عدة مواقع واستولى على أرض الجزيرة • كما غزا سهل العراق وحاصر سابور فى عاصمته • ولكنه لم يستطع التغلب على أسوارها • وقد كرر ذلك مرة أخرى فى سنة ٢٦٧م ، ولكنه لم يستطع أيضا •

وقد كان لظهور قوة حلف تدمر على قوة الفرس آثار أخرى غير متوقعة ، حالت دون توفيقه فى اقامة دولة تسيطر على مسالك التجارة بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط • وذلك ، لان الرومان الذين خرب سابور ديارهم فى سوريا استطاعوا أن يحولوا اتجاه أوديناتوس الى وجهة أخرى • فقد منحوه لقب ملك الملوك لينافس به ملك الفرس • كما أطلقوا يده فى كل من سوريا وفلسطين وشرق الاردن بجانب سهول كيليكية وأرض الجزيرة • وذلك ، فى مقابل قيامه بصد هجمات الفرس عن هذه الجهات[٢٣] • ويبدو أن التدمريين قد قنعوا بهذا الوضع • ولكنهم لم يستمروا عليه طويلا • فقد خاف الرومان من اتساع أطماع أوديناتوس ، فدبروا له فى سنة ٢٦٧م مؤامرة وقتلوه •

وقد أدى قتل أوديناتوس الى توتر العلاقات بين زوجته ، زنوبيا ، وبين الرومان • فقادت قواتها لطردهم من الشرق الاوسط ومن مصر • وقد وجهت بعض قواتها للاستيلاء على هضبة الاناضول ووجهت البعض الآخر للاستيلاء على مصر • ولكنها لم تتمتع طويلا بهذه المطامع الواسعة•

(٢٣) See, Alfoldi, A.; The Crisis of the Empire ... ibid. pp. 174-6.; cf. O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. pp. 13 and 15. and Grant, C.P.; The Syrian Desert ... ibid. pp. 59-60.

فقد هزمها الامبراطور أورليان حول سنة ٢٧١م وأخذها أسيرة ، كما خرب تدمر • فانتهى بذلك عهد دولة قامت فى الصحراء واستمرت تنقل مقومات الحضارات بين شرق العالم القديم وبين غربه خلال عدة قرون من الصراع المتكرر بين الفرس وبين الرومان • وارتبط عن طريقها وادى النيل بوادى الفرات ببعض الصلات (٢٤) •

ولم يؤد خراب تدمر الى قطع هذه الاتصالات فحسب ، بل انه قد أدى أيضا الى فتح الطريق أمام القبائل البدوية نحو حافات الهلال الخصيب (٢٥) • وبسبب ذلك على ما يبدو ، اضطرت دولة الرومان ، كما اضطرت دولة الفرس ، الى اقامة مصدات تحول دون التخريب المتوقع من جهة هذه القبائل على مناطق العمران من أراضيهما • وقد أقام الرومان امارة غسان ، كما أقام الفرس امارة الحيرة • ولكن اقامتهما لم تستطع أن تشغل الفراغ الذى نشأ عن خراب تدمر • كما أنهما لم يستطيعا أن يقوما بالدور الذى كانت تقوم به فى الربط بين العالم الفارسى وبين العالم الرومانى ، بالرغم من وجود العداء بينهما • بل ان الموقع الجغرافى لامارة الغسانيين وصلاته بدولة الرومان من جهة ، والموقع الجغرافى لدولة الحيرة وصلاته بدولة الفرس من جهة أخرى ، قد ربط كلا منهما بجانب

(٢٤) See, Alfoldi, A.; The Crisis of the Empire ... ibid. pp. 177-80.; Mattingly, H.; The Imperial Recovery, in the C.A.H., vol. 12 pp. 301-5.; The Historian's History of the World, vol. 6, pp. 422-27. Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. I, pp. 307-9.; O'Leary De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. p. 16.; Rostovtzeff, H.M.; The Sarmatae and Parthians ... ibid. p. 123. See also Fedden, R.; Syria ... ibid. pp. 111 et seq.

(٢٥) انظر بعض اراء اخرى فى أسباب هذا الانتشار فى :
Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 31-8, 219-2[illegible] and 224-5.

من هذين الجانبين المتعاديين • فاتسعت بذلك الهوة التى تفصل بين أوجه النشاط فى القسم الشرقى من الشرق الاوسط وفى القسم الغربى منه •

ولا يعرف شىء محقق عما صار اليه حلف تدمر بعد خرابها• وليس من المحتمل أن يكونوا قد عادوا واعتنقوا الحياة البدوية • لانهم كانوا على درجة كبيرة من الحضارة• كما تدل على ذلك آثار الحضر وآثار تدمر (٢٦) • ومن المعروف أن زنوبيا ، ملكة تدمر ، كان بلاطها يضم بعض أقطاب الفلسفة الافلاطونية الحديثة وبعض الكتاب المشهورين (٢٧) • ولعلهم قد قادوا خلال فترة من الزمن حركة مقاومة ضد الرومان • ثم أخذوا يتفرقون تدريجيا ويستقرون فى مناطق العمران فى نطاق الهلال الخصيب• وربما هاجر بعض منهم الى مصر • الا أن الظروف كانت مهيأة لان يستقر قسم كبير منهم فى وادى الفرات • فمن جهة، كان ميزان السياسة والحرب فى الشرق الاوسط قد أخذ يميل فى جانب الرومان بعد أن دب نشاط جديد فى دولتهم منذ عهد أورليان (٢٨) ، بينما دخلت دولة الفرس فى دور اضمحلال استمر منذ أواخر عهد سابور الاول (٢٤١ - ٢٧٢م) الى أوائل عهد سابور الثانى (٣١٠ - ٣٧٠م) (٢٩) • ومن جهة أخرى ،

(٢٦) See, Lloyd, S.; Ruined Cities of Iraq, Oxford, 1945, pp. 27-30. See also Fedden, R.; Syria ... ibid. pp. 113 et seq. and Grant. C.P.; The Syrian Desert ... ibid. pp. 60 et seq.

(٢٧) See, Alfoldi, A.; The Crisis of the Empire ... ibid. p. 178.; Mattingly, H.; The Imperial Recovery ... ibid. p. 302. and Fedden, R.; Syria ... ibid. pp. 112 and 114.

(٢٨) See, Mattingly, H.; The Imperial Recovery ... ibid. pp. 297-351.

(٢٩) See, The Historian's History of the World, vol. 8, pp. 79-80. and Christensen, A.; Sassanid Persia ... ibid. pp. 113-14.

كان للتدمريين مستعمرات تجارية فى مدن نيابلس وفلجاسيا[٣٠] وغيرهما من الثغور والمدن التجارية • وليس بعيد الاحتمال أن يكونوا قد اشتركوا فى بناء امارة الحيرة • ومهما كان من أمرهم ، فلا شك فى أن من هاجر منهم الى وادى الفرات قد أثر فى حضارته البابلية ـ الفارسية بما أضافه اليها من عناصر حضارته الاغريقية[٣١] • ويمكن أن يعتبر قصر الخورنق الذى بناه سنمار الرومى فى منطقة الحيرة مثلا على ذلك •

ومن المحتمل أن يكونوا هم الذين أدخلوا المسيحية الى الحيرة والى وادى الفرات الادنى • فانه من المعروف أن زنوبيا ملكة تدمر كانت تعضد انتشار المسيحية بين شعبها[٣٢] • ومن المعروف أيضا أن صحراء الحيرة كانت تتضمن كثيرا من الاديرة المسيحية[٣٣] • ومما ساعد على انتشار هذه الديانة فى وادى الفرات الادنى أنه متطرف، نسبيا عن مركز الحكم الساسانى فى طيسفون • ولانه يتضمن بعض بيئات منعزلة تكتنفها صحارى ومستنقعات • وكذلك لسهولة الاتصال بينه وبين المراكز المسيحية فى سوريا الجنوبية • ومع ذلك ، فتنبغى الاشارة الى أن وادى الفرات لم يكن المدخل

---

(٣٠) ناقش موسيل موقع هاتين المدينتين ، وهو يرى ان نيابلس كانت تقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات فى مقابل مأخذ قناة نهر الملك منه، كما يرى ان فلجاسيا كانت تقع فى منطقة بورسيبا وعلى امتداد نهر الفرات الواقع بين المسيب وبين الكوفة • راجع :
Musil, A.; The Middle Euphrates ... ibid. pp. 228, 231-2, 273 and 277 et seq.
انظر ايضا الخريطة رقم ٢ •

(٣١) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. p. 15.

(٣٢) See, Mattingly, H.; The Imperial Recovery ... ibid. p. 302.

(٣٣) راجع يوسف رزق الله غنيمة ، الحيرة ، المدينة والمملكة العربية ، بغداد ، ١٩٣٦ ، ص ٤١ـ٩ •

الوحيد للمسيحية الى سهل العراق،بل شاركته مداخله الاخرى من جانب أرض الجزيرة ومن جانب نهر دجلة • لان المعروف أن هذه الديانة قد اتجهت من فلسطين نحو الشمال بسبب مقاومة اليهود لها[٣٤] • وقد اعتنقها غيرهم من بعض الجماعات المتأثرة بالحضارة الاغريقية فى سوريا والتى وجدت فى بعض الواحات والمناطق الاخرى المنعزلة فى الصحراء السورية وفى أرض الجزيرة ملاجىء لها من الاضطهادات[٣٥] •

وقد كانت الظروف مهيأة لدخول المسيحية الى العالم الفارسى فى أواخر عهد دولة الفارثيين • ذلك لانها كانت قد دخلت فى دور من الفوضى وشغل فى أثنائه الملوك والامراء بمسائل الحكم عن أى شىء آخر • وفى ذلك الوقت نشأت بعض كنائس مسيحية فى نصيبين وادسا (أورفه) وكذلك فى أربيل • ومن هذه الكنائس خرجت بعثات للتبشير بتعاليم هذه الديانة[٣٦] • وكانت هذه التعاليم قد ترجمت من اللغتين الاغريقية واللاتينية الى اللغة السريانية[٣٧] ، وهى الآرامية التى كانت معروفة فى سهل العراق ويتكلمها عدد كبير من سكانه[٣٨] •

---

(٣٤) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 126.

(٣٥) See, Fedden, R.; Syria ... ibid. pp. 127 et seq.; O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. pp. 10, 19, 36 and 38 et seq. and See also Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. p. 25.

(٣٦) See, Burkitt, F.C.; The Christian Church in the East, in the C.H.A., vol. 12, p. 496.; Christensen, A.; Sassanid Persia ... ibid. p. 121. and O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 127.

(٣٧) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ...ibid. pp. 49, 51-2 and 62.

(٣٨) See, Burkitt, F.C.; The Christian Church in the East ... ibid. p. 495.

ولم تنقل اللغة السريانية الى هذا السهل التعاليم المسيحية فحسب بل نقلت اليه أيضا حضارتها الاغريقية • ذلك ، لان العناصر التى اعتنقتها قد اقتبست لها النظم المتبعة فى الامبراطورية الرومانية(٣٩) • وقد أخذت هذه الديانة تتقدم على طول طريق المواصلات فى القسم الشمالى من الهلال الخصيب نحو العالم الساسانى • وكان أعظم ما ساعد على انتشارها فى هذا العالم ، انشقاق النساطرة على الكنيسة البيزنطية ، واحتضان الملوك الساسانيين ، لمصلحتهم الخاصة ، هذه العناصر المنشقة • فانهم قد تصوروا ، أنهم اذا استطاعوا بواسطة هذه العناصر أن يحولوا المسيحيين من رعاياهم الى المذهب النسطورى ، استطاعوا فى الوقت نفسه أن يطمئنوا الى أن قلوب هؤلاء الرعايا لم تعد مع الرومان • ولهذا ، فانه لم يترتب على هذا الانشقاق انتشار المسيحية فى العالم الفارسى فحسب ، بل انه قد ترتب عليه أيضا صبغ العالم الشرقى عبر الفرات بمبادىء المسيحية النسطورية(٤٠) • ولما كان على النسطورية أن تغزو بفلسفتها الدينية الجديدة مناطق تأقلمت فيها فلسفات دينية قديمة ، فانها قد تسلحت باختيار مبشريها من الاساتذة المتفقهين والقادرين على الجدل • كما تسلحت أيضا بنشر مدارس لها فى بعض المناطق •

وكانت سلوكيا على دجلة فى سهل العراق هى المركز الرئيسى لنشاطهم فى دولة الفرس ، ومنها قاموا بحركة مضادة لتنظيمات الكنيسة الاغريقية ، وشجعهم عليها الاكاسرة • وكان من بين نتائج ذلك وضع حواجز بين دولة الفرس وبين المسيحيين فى دولة البيزنطيين • وقد بدأ

---

(٣٩) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. pp. 125-9. and Burkitt, F.C.; The Christian Church in the East ... ibid. pp. 492-3.

(٤٠) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. pp. 62 et seq.

نشاط النساطرة بانشاء مدرسة فى سلوكيا ، كما أنهم اتخذوا قرارا كان بعيد الاثر فى نشر دعوتهم • فانهم قد ألزموا جميع الرهبان أن يعيشوا فى أديرة بعيدة عن المدن(٤١) • ولم يكن من نتائج هذا نشر دعوتهم بين سكان الريف فى سهل العراق فحسب ، بل كان من نتائجه أيضا نشرها عبر الفرات بين عرب الحيرة وبين من يتصل بهم من عرب البادية وداخل الجزيرة العربية •

ولم يستخدم أساتذة مدرسة سلوكيا ورهبان الاديرة اللغة السريانية (الآرامية) فى نشر دعوتهم الدينية فحسب ، بل انهم قد نشروا بها أيضا علومهم الاغريقية وفلسفتهم خلال الجدل والاقناع حول مبادئهم وحول مبادىء الديانات الاخرى(٤٢) • ومن الطبيعى ألا يكون من نتائج هذا هو التأثير فى عقائد وأفكار سكان سهل العراق وغرب الفرات فحسب ، بل يبدو أن اللغة العربية قد اعتنقت أيضا بعض الافكار الفلسفية النسطورية وبعض ألفاظها وتعابيرها • ويمكن القول استنادا على ما وصل اليه أساتذة هذا المذهب من مراكز رفيعة فى البلاط الفارسى(٤٣) ، أن النسطورية قد شقت طريقها بسهولة وانتشرت فى جهات كثيرة من دولة الفرس • ويبدو أنها وجهت اهتماما خاصا نحو وادى الفرات ونحو مملكة الحيرة ، حيث أقامت لها هناك عدة مدارس(٤٤) • وربما يرجع السبب فى ذلك الى أن

---

(٤١) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 135.

(٤٢) See, O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. pp. 45-6, 61 and 64-5.

(٤٣) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. pp. 135-6.

(٤٤) راجع يوسف رزق الله غنيمة ، الحيرة ، ••• المرجع السابق ص ٥٤ ـ ٥٥ وراجع أيضا ، O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs ... ibid. p. 64.

هذه الجهات لم تكن منطقة تلتقى عندها عبادة النار من جهة وعبادة الاصنام من جهة أخرى فحسب ، بل انها كانت أيضا ، بسبب ما تتضمنه من بيئات للعزلة ، ملجأ لاصحاب العبادات المضطهدة كالمانية والمزدكية • كما كانت ، وعلى الاخص فى وادى الفرات ، معقلا لليهودية • وكذلك ، لان طـريق وادى الفرات يمكن أن يتسلل خلاله من سوريا بعض المبشرين من أتباع الكنيسة البيزنطية • والواقع ، أن الانسان ليتساءل عن مدى تأثير هـذه المعتقدات المختلفة وما قام حولها من آراء وجدل فى المدارس الاسلامية التى قامت مقامها فى وادى الفرات وعلى الاخص فى الكوفة والبصرة • وكذلك عن مدى تأثيرها فى عالم الجزيرة العربية قبيل الفتح الاسلامى • وليس من السهل تقدير هذا المدى • لان للجزيرة العربية أبوابا أخرى دخلت منها مؤثرات اليهودية والمسيحية البيزنطية من جهة الشمال ومؤثرات البوذية والهندوسية من الهند وجنوب أسيا من جهة الجنوب • وقد كان للمسيحية الاغريقية مدخل آخر اليها عبر البحر الاحمر من أكسوم « الحبشة » • ومع ذلك ، فانه يمكن القول بأنه كان مدى كبيرا • لان منطقة الحيرة وما يجاورها من وادى الفرات ، وان اعتبرت من الناحية السياسية جزءا من جسم الدولة الساسانية ، الا أنها من الناحية البشرية ولحد كبير من الناحية الطبيعية تعتبر جزءا متمما من الجزيرة العربية •

وقد أقام الفرس دولة الحيرة لتقف مصدا يحول دون اغارة بعض القبائل العربية فى بعض الاوقات على وادى الفرات • وكذلك ليستعينوا بقوتها فى حروبهم ضد الرومان • وقد كان العداء شديدا بين عرب الحيرة وبين عرب غسان ، كما كان بين الفرس وبين الرومان • وقد أضاف هذا العـداء بين الدولتين العربيتين صعوبات أخرى أمام امكان سير التجارة بين الجانبين ، خلال مسالك أرض ما بين النهرين • الا أنه من المحتمل ، أن بعض هـذه التجـارة كان ينتقل بشكل ما خلال

المسالك الموصلة الى داخل الجزير العربيـة والى واحات الجـوف • والاكثر احتمالا أنها كانت تنقل من ميناء الجرع ، وربما من بعض الموانىء الاخرى على ساحل الخليج العربى • ويبدو أن هذا التحول فى سير التجارة كان من بين الاسباب التى حملت سابور الثانى الى تجريد حملة عسكرية على عرب هذا الساحل (٤٥) • ومن المعروف أن الجرع ، وهى فى موضع القطيف أو العقير ، تتصل عن طريق الهفوف والرياض بمراكز العمران الرئيسية فى داخل الجزيرة العربية ، وعلى الاخص بمكة • ولعل قيام هذه المدينة المقدسة كمركز رئيسى لتوزيع الحرير وغيره من بعض السلع الاخرى المنقولة اليها من موانىء الخليج العربى ، هـو الذى أعطى لها شهرتها التجارية المدوية قبيل الاسلام واجتذب اليها بعض تجار العالم البيزنطى (٤٦) •

وقيام امارة الحيرة فى غرب وادى الفرات قد قوى من الصلات بين هذا الوادى وبين داخل الجزيرة العربية وحافاتها • ومن المعروف أنه كان لامرائها نفوذ على بعض القبائل فى داخل الجزيرة العربية وقد امتد منه الى بلاد اليمن ، بعد اضمحلال دولة حمير • ومن المعروف أيضا ، أنه عن طريق بعض هؤلاء الامراء تقدم عمرو ابن معدى كرب (أو سيف ابن ذى يزن) الى بلاط كسرى (٤٧) يلتمس مساعدته فى تحرير بلاد اليمن من الاحباش • ومن المعروف كذلك ، أن بعض المشهورين من شعراء العرب كالنابغة الذبيانى وامرؤ القيس والاعشى وعمرو بن كلثوم ولبيد وحسان

(٤٥) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. pp. 159 and 181.

(٤٦) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 184.

(٤٧) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. pp. 156 and 159.

وغيرهم كانت لهم اتصالات بامراء الحيرة(٤٨) .

وقد ترتب أيضا على توقف سير الاتصالات بين سهل العراق وبين العالم الاغريقى – الرومانى ، تركيز اتصالاته فى موانىء الخليج العربى ، وتقوية علاقاته مع العالم الموسمى ، وعلى الاخص مع سيلان ومع الهند . لانهما يجاوران أراضى الفرس من جهة ، ولانهما يكونان من جهة أخرى سوقا كبيرا ومتنوع الانتاج . وكذلك لان تجارة حرير الصين التى كانت تأتى خلال مسالك وسط أسيا قد تعرقلت فى أثناء بعض فترات ، منذ أن اضمحلت أسرة هان فى أواخر القرن الثانى الميلادى وبعد أن سقطت فى أوائل عهد دولة الساسانيين الى قيام أسرة تانجسنة ٦١٨ ميلادية (٤٩). على أن تجارة حرير الصين لم ينقطع وصولها خلال تلك الفترات الى سهل العراق . فقد كان بعضها لا يزال يأخذ طريقه خلال مسلك أو آخر من مسالك وسط أسيا . بينما كان بعضها الآخر يسلك طريقا قديما نحو الهند خلال حوض زاتشوانا وبعض ممرات الجبال فى بورما وأسام(٥٠) . ثم يسلك فى الهند وادى الكنج (داريا جانجا) الى باتالى – بوترا (باتنا الحالية) عاصمة مملكة موريا(٥١) . وهناك توجد عدة مسالك طبيعية تصل بين هذه المدينة وبين الساحل الشمالى الشرقى للبحر العربى . ومنها مسلك يتبع

(٤٨) راجع يوسف رزق الله غنيمة ، الحيرة ... المرجع السابق ص ٥٨ – ٧٦ .

(٤٩) See, Halphen, L.; The Barbarian Background, in the C.A.H., vol. 12, pp. 104-7. See also Huzayyin, S.A,; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 105-6 and 154 et seq.

(٥٠) See, Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 22, 64-5, 90 and 92-106. and cf. Charlesworth, M.B.; Trade Routes and Commerce ... ibid. p. 71.

(٥١) راجع عن نشأة هذه الدولة فى :

Schneider, H.; The History of World Civilisation, vol. 2, London, 1931, pp. 683 et seq.

وادى، يجرى فى القسم الشمالى الشرقى منه نهر صن رافد الكنج ويجرى فى القسم الجنوبى الغربى منه نهر نربده الى خليج كمباى، حيث قامت عند مصبه ميناء باريجازا Barygaza المشهورة فى موضع بروتش (بروص Broach) الحالية(٥٢) . ويستدل من النصوص التى ترجع الى عهد جستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥م) على أن ما كان يصل من هذه السلعة الى باريجازا وغيرها من موانى، هذا الجزء من ساحل الهند القريب من الاراضى الفارسية، كان تجار الفرس ووكلاؤهم يشترونه بالجملة(٥٣) . وبعض الباحثين يرى أن بعض هذه التجارة كان يسلك ممر خيبر وبعض ممرات هندكوش الى بلخ فمرو ثم خلال بوابة خراسان مارا بالرى الى طيسفون(٥٤) . وهو طريق محتمل. وربما كان تجار هذه المدن المشهورة هم الذين اجتذبوا هذا النشاط اليه . ومن المحتمل أيضا أن بعض هذه التجارة كان يسلك الممرات الاخرى التى تصل بين الهند وبين داخل هضبة ايران مباشرة . وتلمس لهذه العلاقات الاقتصادية القوية بعض آثار. منها أن خزائن كتب أكاسرة الفرس أصبحت تحتوى على كتب هندية فى الطب والفلك والعلوم الطبيعية . كما أن الديانة البوذية أخذت تتقدم وتغزو أرض فارس من جهة الشرق دون أن يتعرض

(٥٢) See, Eldridge, F.B.; The Background of Eastern Sea Power ... ibid. p. 26.; O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... p. 114.; Sykes, Sir P.; A History of Exploration ... ibid. p. 19. Chesney, Lt-Col. F.R.; The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris, vol. 2, ibid. p. 575. See also, Stark, F.; The Southern Gates of Arabia ... ibid. p. 3.

(٥٣) See, O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad ... ibid. p. 114. See also Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. p. 133.

(٥٤) See, Christensen, A.; Sassanid Persia ... ibid. p. 117.

لها أحد من رجال الدين الزراداشتى[٥٥] .

وبجانب ذلك النشاط الفارسى المتفوق فى الهند ، كان نشاطهم متفوقا أيضا فى مياه المحيط الهندى كما تدل عليه النصوص الصينية التى ترجع الى القرن الخامس الميلادى . فان هـــذه النصوص كانت تنسب الى بو – سى Po-Ssi والمقصود بها بلاد فارس ، النشاط التجارى فى الهند وبلاد العرب وشرق أفريقية وغيره من الاقاليم التى تقع فى غرب الصين[٥٦] .

وقد كان من بين النتائج الهامة التى ترتبت على توقف سهل العـراق عن تأدية وظيفته كممر للتجارة بين الشرق وبين الغرب وتركيز نشاطه نحو الشرق فقط ، أن اهتمت الحكومات القائمة فيه بتوجيه اهتمام كبير نحو الانتاج الزراعى حتى يمكن لسفن التجارة وقوافلها القادمة محملة بسلع الشرق أن تعود اليه محملة بالسلع الفارسية . والزراعة هى الاساس الاول للحياة البشرية فى سهل العراق . ولذلك كان اهتمام الفرس بالانتـاج الزراعى فيه كبيرا[٥٧] . وعلى الاخص ، لان زندا – أفستا (الابستاق) وهو الكتاب المقدس عند الفرس ، قد رفع من قدر الزراعة وجعلها أشرف المهن الانسانية على وجه الاطلاق وأكثرها ارضاء لاهورا مزدا ، وهـــو اله

---

(٥٥) See, Christensen, A.; Sassanid Persia ... ibid. pp. 112 and 121. and cf. O'Leary, De L.; How Greek Socience Passed to the Arabs ... ibid. p. 69.

(٥٦) See, Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East ... ibid. pp. 151-2.; Eldridge, F.B.; The Background of Eastern Sea Power ... ibid. p. 60. and Chesney, Lt-Col. F.R.; The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris, vol. 2 ... ibid. pp. 577-8.

(٥٧) يرى بعض الباحثين ان مشاريع الرى التى قام بها الساسانيون فى سهل العراق هى أعظم ما شهده هذا السهل من مشاريع خـلال الادار القديمة من تاريخه . انظر اشارة الى ذلك فى كتاب الدكتور احمد سوسه ، وادى الفرات ومشروع سدة الهندية ... المرجع السابق ص ١٨٦ – ٧ و ٢٠٣–٢٠٥ .

الخير عندهم . أما الصناعـة فكانت قـد أهملت بعض الشىء قبـل عهـد الساسانيين[٥٨] . بسبب أنه كان فى امكان سكان هذا السهل أن يرضـوا رغباتهم من مصنوعات الدول الاخرى التى تمر تجارتها فى أراضيهم ، سواء أكانت من جهة الشرق أم كانت من جهة الغرب . وكـذلك ، بسبب أن الزراعة فيه تقوم على الرى وتتطلب من سكانه جهـودا مستمرة ، بجانب الجهود التى تستلزمها أعمال تطهير الترع وتوقى غـوائل فيضانات نهريه العنيفين . ولم يكن الاهتمام بالزراعة فيه لسد مطالب سكانه فحسب ، بـل كان لسد مطالب القوافل المارة به أيضا . وفى عهد الساسانيين وجه اهتمام كبير نحو الصناعة أيضا . وقد كان أهم الصناعات التى نمت وازدهـرت فى سهل العراق ، صناعة البسـط والسجاجيد وكانت تنسب الى بابـل . وكذلك صناعة مواد التجميل كالزيـوت العطرية ومسـاحيق التـزين وأصباغـه[٥٩] .

---

(٥٨) راجع ديوارانت ، قصة الحضارة الفارسية ، ترجمها الى العربيـة الدكتور ابراهيم امين الشواربى ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٢١ – ٢٢ وحاشية ص ٤٨ . وراجع ايضا :
Schneider, H.; The History of World Civilisation, vol. 1 ... ibid. p. 359.

(٥٩) راجع ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ، الشـرق الادنى ... المرجع السابق ص ٤١١ وراجع ايضا :
Christensen, A.; Sassanid Persia ... ibid. pp. 117-18.

خلاصـــة

وخلاصة ما تقدم ، أن التاريخ القديم لسهل العراق قد ارتبط بدرجة كبيرة بثلاثة حوادث كبرى مرت بالشرق الاوسط والجهات التى تكتنفه ، منها ما هو طبيعى ومنها ما هو بشرى • والحادث الاول ظاهرة طبيعية ، هى الذبذبة المناخية فى أواخر العصر المطير وأوائل العصر الجاف الحالى •

أما الحادثان الاخران فظاهرتان حضاريتان • أحدهما ظاهرة استخدام الحصان فى الحروب ، والآخر استخدام الحديد أيضا فيها •

فى أواخر العصر المطير الرابع ، حول منتصف الالف السادس ق•م ، كانت مناطق سهول الشرق الاوسط موضع جذب للسكان ، بينما كانت بعض مناطق هضابه الشمالية موضع طرد لها . وقد هاجرت الى سهل العراق بعض الجماعات المطرودة وعمرته بأصحاب حضارات ما قبل التاريخ ، وبأصحاب الحضارة السومرية فى أول العصر التاريخى • وحول منتصف الالف الثالث قبل الميلاد انتهى هذا الدور ، وبدأ دور عصر الجفاف الحالى • فأصبحت سهول الشرق الاوسط هى موضع الطرد للسكان ، بينما أصبحت هضابه موضع الجذب لهم • وقد أخذت بعض حيوانات هذه السهول وبعض سكانها يتبعون تقهقر المراعى نحو الشمال ونحو الجنوب • أما البعض الآخر ، فقد لجأ الى المناطق التى تتوفر فيها موارد المياه • وهناك عرف استئناس الحيوان كما عرف الزراعة• ولما كانت هذه المناطق صغيرة المساحة ومحدودة الكفاية باستثناء سهل العراق ، فان هذا السهل كان موضع الجذب الاكبر لما يفيض من سكانها بين جيل وبين آخر •

أصحاب حضارات عصر ما قبل التاريخ

١ – أصحاب حضـارة العبيد •

هاجر أصحاب هذه الحضارة الى سهل العراق فى النصف الاخير من الالف الخامس قبل الميلاد من هضبة ايران • وهم من الجماعات التى أطلقت عليها تسمية ما قبل العلاميين • ويبدو أنهم استقروا بعض الوقت فى سهول سوسيانا قبل أن يهاجروا اليه تحت ضغط جماعة أخرى مهاجرة ، ويغلب أنها كانت جماعة السومريين • وبسبب مشابهة ظروف البيئة فى سهل العراق لظروفها فى تلك السهول ، استطاعت حضارة العبيد فيه أن تستمر فى نموها بخطى مضطردة • أما الطريق الذى سلكوه اليه فمن المحتمل أن يكون نطاق اليابس الذى يصل بين سهول سوسيانا وبين أرض سومر • ومن المحتمل أيضا أن كانت المياه الشاطئية لاهوار سوسيانا – كلديا •

٢ – أصـحاب حضـارة الوركاء •

أما أصحاب حضارة الوركاء ، فقد هاجروا اليه فى النصف الاول من الالف الرابع قبل الميلاد من هضبة الاناضول بحضارة تعتبر أقوى فى بعض عناصرها من حضارة العبيد • كما أنها تتميز عنها بطابع الهضاب ، مثل معرفة استخدام الحجارة فى البناء ومعرفة النقش عليها • ومع أنه قد لوحظ أن بعض عناصرها التى لا تتوفر مقوماتها فى سهل العراق قد اختفى بمرور الوقت ، الا أنها مع ذلك كانت بصورة عامة بمثابة ثورة حضارية فيه رفعت كثيرا من أسس حضارة العبيد التى كانت قائمة فيه من قبل • وتوحى الدراسات المتعلقة بهم بأنهم كانوا تجارا ، وربما كانوا أول من ربط بصلات مباشرة بين الشعوب التى سكنت سهل العراق وبين الشعوب التى سكنت فى داخل هضبة الاناضول •

٣ - أصحاب حضارة جمدة نصر .

نتج عن الامتزاج الذى حدث بين حضارة العبيد وبين حضارة الوركاء تكوين حضارة جديدة عرفت باسم حضارة جمدة نصر ، كانت تسير فى طريق الارتقاء بخطى مضطردة . ويستدل بعض الباحثين فى هذه الحضارة على أن أصحابها قد اهتموا كثيرا بالتجارة واستغلوا الاتصالات التى فتح بابها الى داخل هضبة الاناضول أصحاب حضارة الوركاء . كما أنهم قاموا أيضا باتصالات أخرى واسعة امتدت مسالكها بين وادى النيل من جهة وبين وادى السند من جهة أخرى . وبعبارة أخرى أنه فى فجر العصر التاريخى كان سكان سهل العراق قد استغلوا خصائص الموقع الجغرافى لبلادهم كمركز للاتصالات وممر لها .

اصحاب حضارات العصر التاريخى

١ - السومريون (٣٠٠٠ - ٢٧٥٠ ق.م) .

تختلف الآراء حول أصلهم من ناحية السلالة ، وحول موطنهم الاصلى ، وكذلك حول الطريق الذى سلكوه الى سهل العراق . والاكثر احتمالا أنهم من السلالة الطورانية . وأنهم قد هاجروا من مناطق الواحات فى وسط آسيا أو فى غربها سالكين ممرات هندكوش الى وادى السند . وهناك تأثروا بالدماء الزنجية من الدرافيديين وممن كانوا هناك قبلهم . ثم اضطروا تحت ضغط وقع عليهم الى الهجرة الى سهول سوسيانا سالكين اليها طريق ممر بولان ، أو طريق ساحل مكران ، أو طريق المياه الشاطئية لهضبة ايران . وقد قضوا بعض الوقت فى هذه السهول . ثم اضطروا ، تحت ضغط العلاميين ، الى الهجرة منها الى القسم الجنوبى من سهل العراق . سالكين اليه طريق اليابس الذى يصل بينهما أو طريق الماء ، خلال أهوار سوسيانا - كلديا .

والعلاميون بعد أن أبعدوا السومريون استقروا مكانهم ، واعتنقوا مقومات حضارتهم ، وكونوا دولة كانت جارا خطرا عليهم . ويبدو أنه بسبب هذا العداء ، ترك السومريون جانب نهر دجلة واستقروا فى جانب نهر الفرات . وتركزت اتصالاتهم مع وادى هذا النهر ومع الجهات الاخرى التى يمكن الاتصال بها عن طريقه . وكانت مجاورتهم عبر الفرات للشعوب السامية فى الجزيرة العربية سببا فى ايجاد اتصالات قوية لحد ما بينهم وبين هذه الشعوب . كما أن اتصالاتهم مع وادى السند استمرت قائمة أيضا عن طريق الخليج العربى .

٢ - الآكاديون (٢٧٥٠ - ٢٥٤٢ ق.م) .

والآكاديون من الشعوب السامية . وقد هاجروا الى سهل العراق من

بعض جهات العالم السامى وهى الجهات التى تقع فى غـربه وفى شـماله الغربى • وكان ذلك بعد أن سادت أحوال الجفاف فى هذه الجهات وتميزت فيها المناطق التى تجتذب اليها الزراع عن المناطق التى تجتذب اليها البدو • وهم من جماعة الزراع • وقد استقروا فى القسم الشمالى من هذا السـهل الذى عرف باسمهم أو عرفوا باسمه • وقد ساعدهم على هذا الاستقرار ، أن نهر الفرات كان قد تحول من مجراه المتطرف نحو الغرب الى مجرى آخر يقع متطرفا نحو الشرق • وبذلك أصبح القسم الغربى من سهل آكاد يتصل اتصالا مباشرا بالعالم السامى• وفى هذا القسم تركزت جموعهم• ثم قام صراع بينهم وبين السومريين • ويبـدو أنه حدث بسبب استغلالهـم استغلالا واسعا لمياه نهر الفرات • لان أراضيهم التى تعتمد على هذا النهـر اعتمادا كليا يصعب عليهم استغلالها الا اذا أقاموا لها عليه مشاريع للـرى • وقد قللت تلك المشاريع التى أنشأوها من الموارد المائيـة التى كانت تعتمـد عليها بعض الاراضى السومرية من هذا النهر •

وقد ولد الصراع الذى قام بين السومريين وبين الآكاديين فى سـهل العراق أطماع بعض الشعوب التى تكتنفه • فتقدمت نحوه قوات العلاميـين واستولت على بعض أجزائه ، كما تقدمت قوات دولة ماثر (أومارى) علـى الفرات الاوسط واستولت على أجزاء أخرى منه • وقد انتهى هذا الصراع بتحرير هذا السهل من الغزاة على يد سرجون الآكادى • كما ترتب عليه تفوق العنصر الاكادى على العنصر السومرى • وهذه النتيجة التى انتهـى الصراع اليها ، ترجع بعض أسبابها الى الصلات المباشرة التى تربط سـهل أكاد بمناطق العالم السامى فى سهول الشرق الاوسط وتمكن من وصـول دماء سامية جديدة اليه بصورة مستمرة • أما بالنسبة للسومريين فقد وقفت علام مصدا يحول دون وصول دماء سومرية جديدة اليهم •

وقد ساعد تفوق العنصر الآكادى فى سهل العراق على صبغ أجزائه

الاخرى بالصبغة السامية • بينما دفع تعرض هذا السهل للغزو مـن بعض جهاته سرجون على أن يمد أملاكه الى المناطق التى تصلح أن تكون حدودا طبيعية له • وهى تمتد مع مرتفعات زاجروس – طوروس من جهـة الهضاب الشمالية،ومع نطاق المرتفعات الذى يقع فى غرب الصحراء السورية من جهة البحر المتوسط ، ومع قسم من نطاق النفوذ وقسم آخر من نطـاق الدهناء من جهة داخل الجزيرة العربية ، ومع سواحل الاهوار الكلدانيـة أو رأس الخليج العربى من جهة هذا الخليج • وخلال المنافذ التى تتضمنها هذه الحدود ، امتدت اتصالات سهل العراق خارج حدود امبراطوريته الى بعض الجهات فى الشرق الاوسط والى بعض جهات أخرى خارج محيـط هذا الشرق فى أسيا وفى أوروبا وفى أفريقية • وقد وجدت آثار لهـذه الاتصالات فى جزيرة قبرص وفى جزيرة كريت وكذلك فى مصر ، كما وجدت أيضا فى داخل هضبة الاناضول • ووجدت كذلك عبـر جبـال القوقاز ، فى وادى نهر كوبان فى جنوب شرق روسيا • أما فى داخـل حدود الامبراطورية ، فقد انصبغت بعض جهاتها غير السامية بالصبغة السامية، وقد بدت هذه الصبغة واضحة بصفة خاصة فى عـلام •

على أن هذه الاتصالات الواسعة لسهل العراق لم تعمر طويلا • بسبب بعض من الصعوبات اكتنفتها • وكان أخطرها ما سببته بعض الشعوب التى تسكن السفوح الجنوبيـة لنطاق زاجـروس – طوروس • وذلك لانهـا هددت مسالك اتصالاته مع هذه السفوح ، وخلالها مع سوريا ومع البيئـة البحرية على السواحل الشرقية والشمالية الشرقية للبحر المتوسط • كمـا هددتها أيضا مع بعض الجهات فى داخل الهضاب الشمالية • وكلها أقاليم كان سهل العراق يحصل منها لحضارته على مواد هامة يفتقر اليها ، كما أنها كانت تكون أسواقا واسعة لتجارته • ولقد بذل سرجون وخلفاؤه جهـودا جبارة فى سبيل الاحتفاظ بخطوط مواصلات تجارتهم سليمة ، ولكنها لـم

تنجح فى النهاية • وذلك ، لان القلقلة التى أحدثتها شعوب سفوح زاجروس – طوروس كانت جزءا من قلقلة عامة فى داخل الهضاب الشمالية سببتها هجرات بعض الشعوب الآرية • كانت همجية ، ولكنها كانت على درجة كبيرة من القوة بسبب معرفتها ركوب الخيل واستخدامها اياها فى الحرب • بينما لم تكن هذه الحضارة معروفة من قبل بين شعوب سهول الشرق الاوسط •

٣ – الجوتيون وعهد حكومات المدن التى قامت فى أوروك وأور وايسن ولارسا (٢٥٤٢ – ٢٠٩٤ ق٠م) •

الجوتيون من الشعوب التى سببت للاكاديين متاعب عند سفوح نطاق زاجروس – طوروس • وتقع المنطقة التى ظهروا فيها فى شمال نطاق تلال حمرين ، وبين القسم الاوسط من وادى نهر ديالى وبين القسم الادنى من وادى الزاب الصغير من جهة،وبين قسم من المجرى الاوسط لنهر دجلة وبين المرتفعات التى تكتنف مدينة السليمانية من جهة أخرى • وتتمتع هذه المنطقة بموقع جغرافى خطير كما هو معروف • ذلك ، لانها تتحكم فى منافذ سهل العراق خلال نطاق تلال حمرين ، كما تتحكم فى مسالك اتصالاته خلالها نحو القسم الشمالى من سوريا والبيئة البحرية التى تقع على ساحله ، ونحو داخل هضبة الاناضول والقسم الشرقى منها وكذلك نحو أرمينية والقسم الغربى من هضبة ايران •

ويصف بعض الباحثين الجوتيين بالهمجية ، ولكن بيئة بلادهم لاتطبعهم بهذا الطابع • وكان من حسن حظ سهل العراق أن الجوتيين حكموه ، ولم يكونوا أعداء له • ذلك لانهم قد حفظوا له خطوط مواصلاته نحو الجهات المشار اليها ، وهى عظيمة الاهمية بالنسبة له • وقد ترتب على ذلك أن كان ، بصورة عامة ، يتمتع بدرجة كبيرة من الرخاء •

وناحية الضعف فى حكم الجوتيين لهذا السهل الى أنهم قد حكموه

من أربخا ، وهى عاصمتهم القديمة فى منطقتهم الاصلية ، ولم يتخذوا مدينة ما فى داخله عاصمة لهم • وبسبب هذا لم يعمر حكمهم فيه طويلا • فقد تكتل ضدهم السومريون،وهم يتركزون كما هو معروف فى القسم الجنوبى الاقصى منه • وظهر من بينهم ، أحمس آخر ، هو أوتوخيجال ، قادهم فى ثورة حرر بها هذا السهل وأعاد اليهم عرشه • وقد قام العرش السومرى أولا فى أوروك ، ثم استقر فى أور •

ويستدل من بعض النصوص على أن هذا الحكم السومرى قد مد نفوذه الى مناطق الحدود الطبيعية•كما يستدل منها أيضا على أنهم قد بذلوا جهودا كبيرة فى سبيل اعادة صبغ سهل العراق بصبغتهم • ولكنهم مع ذلك لم ينجحوا لاسباب • كان من أهمها أن جماعة العلاميين وغيرهم من بعض الشعوب عند سفوح هضبة ايران وفى داخلها قد وقفت مصدا يحول دون وصول دماء جديدة اليهم من موطنهم الاصلى • وكذلك ، لان أور ، وموقعها فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى لسهل العراق معروف، لاتصلح لان تكون عاصمة لهذا السهل ، يحكم منها قسمه الشمالى كما يحكم قسمه الجنوبى • وقد كان تركز الحكم فيها سببا فى ضعف قبضة السومريين على القسم الاول وعلى مداخل العالم السامى اليه•ولهذا ، لم يمض وقت طويل حتى عادت الصبغة السامية واضحة فى جهات سهل العراق ، وظهرت أسر سامية تحكم فى بعض مدنه بجانب أسر سومرية تحكم فى مدنه الاخرى • وقد أعاد التاريخ نفسه مرة ثانية عندما بدا ضعف الحكم المركزى فيه • فتقدمت الاسرة الحاكمة فى علام واقتطعت لنفسها جزءا منه•كما قام صراع بين بعض الاسر الحاكمة وبين البعض الآخر • وأعاد التاريخ نفسه مرة ثالثة عندما انتهى هذا الصراع بتفوق الاسرة العمورية،وهى سامية واتخذت بابل مركز حكمها •

٤ – العموريون (٢٢٢٥ – ١٩٢٦ق٠م) :

العموريون أقرباء للاكاديين • وقد هاجروا مثلهم الى سهل العراق من البيئات الصغيرة والمتحضرة بحضارة الاستقرار الزراعى فى الاقليم الواسع الذى يقع فى غربه وفى شماله الغربى • وكانت هجراتهم اليه تحدث أيضا فى شكل تسلل بطىء ومستمر بين جيل وبين آخر لجماعات صغيرة وأفراد ، ولم تحدث فى شكل غزو من جماعات كبيرة العدد • ويغلب أنهم كانوا يسلكون اليه مسالك جانب نهر الفرات • وعندما قويت جموعهم ظهر من بينهم سرجون آخر ، هو حمورابى ، قادهم الى تحرير سهل العراق • فطرد منه العلاميين كما أخضع السومريين،واستخلص السيادة عليه للعنصر السامى • وكان تفكير حمورابى واسع الافق من الناحية الادارية • فقد اتخذ مدينة بابل عاصمة له ، ولموقعها مزايا من هذه الناحية وكذلك من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية •

وقد كان لحكم العموريين فى سهل العراق بعض نتائج خطيرة ، فانه قد أنهى منه عهد المنافسة بين السومريين وبين الساميين وسود فيه نهائيا العنصر السامى • كما أنهى من تاريخه عهد حكومات المدن وعهد اتحاداتها فى أرض سومر وفى أكاد • وبدأ عهدا جديدا لقيام دولة موحدة دينيا وسياسيا وعاصمتها بابل • وبعبارة أخرى أن عهده كان بدءا لعهد تكوين قومية عراقية متميزة طبعت بطابعها سكان أرض سومر وسكان أرض أكاد وما بينهما من أراضى ، وتلك هى القومية البابلية •

وقد فعل حمورابى مثل الذى فعله من قبل سرجون • فقد قاد قواته ليمد نفوذ سهل العراق الى حدوده الطبيعية • وفى داخل هذه الحدود انتشرت الحضارة البابلية • كما انتشرت أيضا وراءها الى جهات أخرى فى داخل الشرق الاوسط ووراء حافاته من بعض الاتجاهات • وقد ساد الرخاء أنحاء الامبراطورية البابلية بفضل التشريعات والاصلاحات التى

نفذها حمورابى • واجتذب هذا الرخاء الى سهل العراق بعض أبناء الشعوب التى تسكن عند حافاته •

وكانت نهاية الامبراطورية البابلية تشبه بدرجة كبيرة نهاية الامبراطورية الاكادية • فقد اكتنفتها أيضا بعض صعوبات ، وكان من أخطرها ما سببته بعض الشعوب التى تسكن عند سفوح نطاق زاجروس – طوروس • فانها قد هددت مسالك اتصالات سهل العراق نحو سوريا والبيئة البحرية على سواحلها وكذلك نحو الهضاب الشمالية • وكان من أخطرها أيضا ما سببه شعب القطر البحرى الذى ظهر فى ذلك الوقت على مسرح التاريخ عند رأس الخليج العربى ، فانه قد هدد كذلك مسالك اتصالاته نحو بيئات هذا الخليج وما يتصل بها من بيئات أخرى هامة • وقد بذل البابليون جهودا جبارة فى سبيل الاحتفاظ بسلامة مواصلاتهم الى هذه الجهات سليمة • ولكنهم فشلوا أيضا فى النهاية • ولم يستطيعوا أن يستخدموا المسالك الاخرى التى تصلهم بأسواق مصر وفلسطين • لان جحافل الحيثيين من جهة قد سلكت ممرات طوروس ونزلت منها الى سهول الشرق الاوسط وأحدثت اضطرابات فيها ، ولان غيوم الهكسوس من جهة أخرى كانت تكتنف أبواب مصر من جهة هذه السهول • ولهذا لم يستطع الشعب البابلى، بعد أن منعت عنه مصادر عناصر الجانب الحربى فى حضارته ، أن يقاوم جحافل الحيثيين ومن بعدهم قوة الكاشيين •

٥ – الغزو الحيثى والفتح الكاشى (١٩٢٦ – ١١٧٠ ق٠م) :

يعتبر هذا الدور بدء عهد جديد فى تاريخ سهل العراق • اذ انتقل فيه النفوذ من جانب مناطق السهول الاخرى فى الشرق الاوسط الى جانب مناطق الهضاب الشمالية فيه•وقد استمر قائما حتى الفتح الاسلامى، باستثناء فترة الحكم الكلدانى وهى قصيرة الامد• وكان أهم عامل سبب ذلك،

هو أن شعوب هذه الهضاب قد سبقت شعوب السهول فى استخدام الحصان وفى حضارة الفروسية التى رافقت هذا الاستخدام • كما سبقتها أيضا فى حضارة استخدام الحديد فى صنع الآلات الحربية منه والتى كان من بينها السيف البتار •

ومع ذلك ، فانه بالرغم من خضوعه سياسيا لبعض شعوب الهضاب ، استمر من الناحية الشعبية قوى الصلة بالشعوب التى تسكن السهول • ومن بين أسباب ذلك ، أنه يتصل ، دون حواجز جغرافية،بالاراضى التى تسكنها هذه الشعوب • وكذلك لان مدينة بابل ، وهى تقع على نهر الفرات المجاور لهذه الاراضى كما هو معروف ، استمرت نحو أربعة عشر قرنا أخرى المركز الرئيسى للجذب السياسى والاقتصادى فى سهل العراق • وحتى عندما انتقل هذا الجذب منها الى سلوكيا على دجلة فى عهد دولة السلوكيين، فان وادى الفرات استمر الميدان الاول للنشاط التجارى القائم بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط • وذلك لان الجمل كان قد أدخل فى النقل منذ أوائل الالف الاول قبل الميلاد • والجمل كما هو معروف ، يصلح للسير على الرمال بينما لا يصلح للسير على الاراضى الطينية اذا كانت مبللة بالمياه من الامطار أو الانهار •

والحيثيون من الشعوب الآرية أو شبهها ، وكانوا همجا • وبعد أن اجتازوا ممرات طوروس وأمانوس من داخل هضبة الاناضول الى القسم الغربى من سهول الشرق الاوسط ، نزلوا الى سهل العراق متبعين على ما يبدو وادى الفرات• لان طريقه واضح المعالم ومحدد بين الاراضى الصحراوية التى تكتنفه • وكان قدومهم الى هذا السهل غزوا ، لا فتحا • فقد أحدثوا فيه بعض التخريب ، كما نهبوا من مدينة بابل بعض كنوزها ، ثم تركوه وعادوا من حيث أتوا • ويبدو أن التخريب الذى أحدثوه فيه كان شديدا • لانه دخل بعده فى دور طويل من الفوضى والاضمحلال

حتى تمكن الكاشيون من السيطرة عليه •

والكاشيون كالحيثيين من شعوب الهضاب • كما أنهم شبه آريين مثلهم ، ولكنهم يختلفون عنهم بأنهم كانوا على جانب من الحضارة • كما أنهم جاءوا الى سهل العراق فاتحين ، ولم يكونوا غزاة له فقط • وقد كانوا على صلات به قبل أن يتم لهم الامر فيه • فان بعضا منهم كان يتسلل اليه من مناطقهم فى اقليم لورستان خلال وديان الاخوار المنحدرة نحوه ، كما يفعل اللور سكان هذا الاقليم فى الوقت الحاضر • وقد اتخذ الكاشيون مدينة بابل عاصمة لهم • ولكنهم لم يضيفوا ، الى سهل العراق أرضا جديدة تغطيه منفذا أو أكثر لتجارته أو تمكنه من السيطرة على مسالكها • كما أنهم لم يعطوه مصدرا جديدا أو أكثر من مصادر المواد الخام التى يفتقر اليها • وذلك على عكس الجوتيين ، فانهم قد أضافوا اليه وأعطوه • ولهذا ، استمر ، كما كان فى أواخر أيام العموريين ، محاصرا بقوات تضيق عليه وتشل حركاته • وبجانب ذلك ، لم يكن الكاشيون على درجة كبيرة من الحضارة تمكنهم من النهوض به • ورغم ذلك ، فان حضارة هذا السهل لم تنهار على أيديهم • بل انه على العكس ، يمكن القول بأنها قد بلغت فى عهدهم ذروة انتشارها• وذلك ، لان الشعوب الهمجية التى كانت تهدد مسالك اتصالاته نحو أسواق تجارته ونحو مصادر المواد الخام التى يفتقر اليها ، قد أخذت فى الاستقرار وفى تكوين وحدات سياسية • كما أخذت فى اقتباس بعض أسس حضارته لتقيم عليها حضارتها • وبسبب ذلك فتحت بينه وبينها أبواب الاتصالات • وعن طريقها انتشرت حضارته الى جهات أخرى • ولا شك فى أن قيام حكومات منظمة فى مناطق كان يسود فيها بعض الشعوب والقبائل الهمجية يعتبر عاملا هاما فى صيانة مسالك التجارة وفى نشر الحضارة على طولها •

على أن هذا الوضع لم يستمر ، وتوقف بعض الوقت • وذلك لان

تلك الوحدات السياسية الجديدة كانت قومياتها قد نمت ونما معها التعصب لها • وكادت أن تدخل فيما بينها فى دور عنيف من الصراع يقويه الموقع الجغرافى لكل منها بالنسبة لغيرها • فقد كانت كل منها تقف مصدا فى وجه اتصالات ما يجاورها • ولم يكن الموقع الجغرافى لسهل العراق فى ذلك الوقت يتمتع بشىء يتميز به عن غيره • فقد كان شعب القطر البحرى يقف فى وجه اتصالاته نحو عالم الخليج العربى • كما كان يقف فى وجهها العلاميون فى علام ، والميديون فى مرتفعات زاجروس ، نحو داخل هضبة ايران • وكذلك كان يقف الاشوريون فى أرض أشور ، والميتانيون فى أرض الجزيرة فى وجهها نحو سوريا ونحو هضبة الاناضول وهضبة أرمينية • ثم عاد لسهل العراق وضعه القديم بدرجة كبيرة أثناء الفترة التى امتدت فيها رقعة الدولة المصرية الى نهر الفرات • فان مصر كانت هناك قوة كبيرة يخشى بأسها • وهى ، وان كانت لم تتعد هذا النهر ، الا أن نفوذها كان يمتد عبره الى الميتانيين ، والى الاشوريين ، والى البابليين • كما كان يمتد أيضا الى الحيثيين فى داخل هضبة الاناضول • وقد قامت بين البابليين وبين المصريين اتصالات واسعة ، وازدادت اتساعا بعد أن تزوج فرعون مصر امنحتب الثالث أميرة بابلية • وفى أثناء ذلك ، شوهدت الشعوب التى كانت تضيق على سهل العراق تقف بجواره ساكنة • أما بعد أن غربت شمس مصر من الشرق الاوسط فقد غربت معها شمس بابل وبزغت شمس أشور •

٦ - **الاشوريون (الامبراطورية الاشورية ٩١١ - ٦١٢ ق.م) :**

الآشوريون من الشعوب السامية • وقد ظهروا فى قسم من الحوض الاوسط لنهر دجلة ، ويقع شمال القسم الذى ظهر فيه الجوتيون • وكانت عاصمتهم الاولى مدينة أشور ، وأخيرا كانت نينوى • ويبدو أنهم ، فى بادىء الامر ، كانوا قوات عسكرية وموظفين فى محطات جمركية أرسلوا

فى عهد الآكاديين لتنظيم سير التجارة وصيانة مسالكها نحو الاسواق الجديدة التى فتحها سرجون فى عالم القسم الشرقى من حوض البحر المتوسط • لان المنطقة التى ظهروا فيها تتضمن أهم مسالك اتصالات سهل العراق الى هذه الاسواق • ويبدو أنهم استمروا تابعين للحكومات التى قامت بعد ذلك فى سهل العراق حتى استقلوا عنه أثناء دور الفوضى والاضمحلال الذى أصابه على يد الحيثيين • ثم استغلوا خصائص بلادهم لمصلحتهم الخاصة • وهى خصائص لا تمكن من قيام دولة قوية اعتمادا على مواردها الخاصة • وتفرض على السكان أن يستعينوا على معاشهم بالتجارة • كما تفرض عليهم أيضا أن يكون لهم جيش قوى ، ومستعد دائما للدفاع عن أراضيهم وللتوسع فى فتح أسواق جديدة لتجارتهم ولصيانة المسالك الموصلة اليها • وقد سلك الاشوريون كل السبل المشروعة وغير المشروعة لتحقيق ذلك • وهم فى تاريخهم قد مروا بأدوار قوة وبأدوار ضعف • وتتفق أدوار قوتهم مع الفترات التى كانت تتهيأ لهم فيها الظروف للقيام بما هو مفروض عليهم القيام به • كما تتفق أدوار ضعفهم مع الفترات التى لم يتهيأ لهم فيها ذلك •

وقد كابد البابليون من السياسة التى انتهجها الاشوريون بعض المصاعب • وفى بادى الامر ، عملوا على حصارهم بتقوية صلاتهم مع المصريين ومع الميتانيين وكذلك مع الحيثيين • أما بعد أن خلا ميدان الشرق الاوسط من تلك القوات ، فان قوة أشور قد بلغت ذروتها ، بينما دخلت قوة بابل فى دور من الاضمحلال السياسى وخضعت فيه لاشور • وقد أفادها هذا الخضوع من الناحية التجارية ، مثلما استفادت يوم خضعت للجوتيين • ذلك لان الاشوريين قد صانوا بقواتهم خطوط مواصلات تجارتها نحو الجهات الواسعة التى امتد نفوذهم اليها • وقد كون البابليون من وراء ذلك ثروة كبيرة مكنتهم، يوم بدا ضعف الاشوريين، من الاشتراك

فى القضاء عليهم ومن تحرير بلادهم منهم على يد الاسرة الكلدانية .

٧ ـ الكلدانيون (٦٢٥ ـ ٥٣٩ ق٠م) :

الكلدانيون خليط من شعوب مختلفة ، بعضهم من السكان القدماء فى سهل العراق وبعضهم من سكان القطر البحرى وبعضهم الآخر من الآراميين وكذلك من شعوب أخرى نقلها الآشوريون اليه . أما الاسرة الحاكمة فيبدو أنها كانت من الآراميين ، وكذلك يبدو أن اللغة الآرامية كانت هى اللغة الرسمية . ودولة الكلدان كانت تتوفر أمامها عوامل تهىء لقيام امبراطورية على جانب كبير من الرخاء . ومنها أنها كانت تسيطر على معظم مسالك اتصالاتها بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط . كما كانت المسالك الاخرى لهذه الاتصالات فى أيدى دول صديقة لها وكذلك كانت بعض أسواق تجارتها . ومنها أيضا أن من بين أبنائها من كان لهم نشاط تجارى واسع بمسالك البر كالآراميين ، ومن كان لهم نشاط مماثل بطرق البحر كشعب القطر البحرى وبعض أبناء الشعب الفينيقى . وقد بذل الكلدانيون جهودهم للاستفادة من هذه العوامل ، ولكن دولتهم كانت تتضمن ناحية ضعف خطيرة ، وهى ناحية التكوين الانثوغرافى للامة الكلدانية . فان الشعوب الحديثة التى دخلت فى تكوينها لم يكن قد مضى عليها الوقت الكافى لكى تنصهر وتكون مع البابليين القدماء وحدة منسجمة . ولهذا تكررت فيها الثورات . اذ كان كل شعب يعمل أن يستخلص لنفسه العرش الكلدانى . وقد صرفتهم هذه المنازعات القائمة بينهم عن مراقبة شعب فتى خرج من اقليم الفارس فى هضبة ايران ومد نفوذه الى سهول علام وأخذ يتطلع منها الى بلادهم .

٨ ـ الفرس الاخمينيون (٥٣٨ ـ ٣٣١ ق٠م) :

هم من الشعوب الآرية . وقد استولوا على سهل العراق فى سنة

٥٣٨ ق٠م على يد مؤسس دولتهم قورش الثانى . والطريق الذى سلكوه لفتح هذا السهل غير محقق ، ولكن الاكثر احتمالا أنه طريق كركوك وجانب شط العظيم . وفى عهد دارا الاول أصبحت الامبراطورية الاخمينية تمتد بين وادى الدانوب وبين وادى النيل من جهة ، وبينهما وبين وادى السند ووادى نهر أوكسس (آموداريا) من جهة أخرى . ولضبط هذه الامبراطورية الواسعة اتجه الفرس نحو ربط أجزائها بطرق مواصلات جيدة . ومن أشهر الطرق البرية ، الطريق الملكى الذى كان يمتد بين عواصم الامبراطورية ، وهى بابل واكباتانا وسوسة وبرسبوليس ، وبين سرديس على الساحل الاسيوى لبحر ايجه . ولم يهمل الاخمينيون المواصلات البحرية . فقد كانت لهم سفن فى البحر المتوسط تعمل بين سواحل امبراطوريتهم المشرفة على هذا البحر . كما كانت لهم سفن أخرى يعمل بعض منها بين وادى الفرات وبين وادى السند من جهة ويعمل بعض آخر بينه وبين وادى النيل من جهة أخرى . وكانت سفنهم فى هذه المياه لا تقهر ، لكثرة عددها وقوتها ولمهارة بحارتها .

ومن الملاحظ ، أن معظم طرق المواصلات الممتدة بين شرق الامبراطورية الاخمينية وبين غربها ، سواء منها طرق البر أو طرق البحر ، تلتقى فى سهل العراق . ولهذا يمكن القول بأن هذا السهل قد شغل فى عهد الامبراطورية الاخمينية ، على نطاق واسع ، المركز الذى يؤهله له موقعه الجغرافى كبؤرة تلتقى فيها مؤثرات الشرق بمؤثرات الغرب ومنها تتوزع نحو الاتجاهات المختلفة التى تكتنفها . وفى الواقع ، أن مدينة بابل لم تكن احدى عواصم الامبراطورية الاخمينية فحسب ، وانما كانت روما هذه الامبراطورية وسوقها التجارى ومركزها الصناعى أيضا . وقد استطاعت ، بسبب ذلك ، أن تستمر محتفظة ببعض رخائها

لمدة طويلة بعد أن أن بدا الاضمحلال فى الجهات الاخرى من الامبراطورية الاخمينية ٠

٩ - الاسكندر والسلوكيون (٣٣١-٢٤٨ ق٠م)

ورث الاسكندر امبراطورية الاخمينين ٠ وكانت حضارة بابل ، وهى التى أعطت قومه كثيرا من عناصر حضارتهم ، لا تزال تبهره ٠ فعمل على أن يحتفظ لها بمجدها وأن يبقيها عاصمة من عواصم امبراطوريته ٠ ويرى بعض الباحثين أن الاسكندر قد أعد العدة لجعلها ميناء الشرق ٠ ولكن هذا الرأى تبدو فيه ناحية من المبالغة ٠ وذلك لانها لا تصلح بدرجة كبيرة لذلك ، وتفضلها الاسكندرية (شراكس) التى أقامها عند رأس الخليج العربى ٠ ومهما يكن من أمر نيات الاسكندر فيها ، فان السلوكيين قد هجروا تلك النيات نهائيا ٠ اذ أنهم قد هجروها وجعلوا سلوكيا على نهر دجلة مركز حكمهم فى سهل العراق ٠ كما جعلوا أنطاكية ، على العاصى ، هى العاصمة الكبرى لدولتهم ٠

ولم يرث السلوكيون كل أملاك الاسكندر ، وان كانوا قد ورثوا القسم الاكبر منها ٠ فقد كانت أملاكهم تشمل معظم هضبة الاناضول وباقى الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط ، وما وراءها نحو وادى السند ونحو بلاد ما وراء النهر ٠ كما كانت تشمل كل أرض ما بين النهرين والقسم الشمالى من العالم السورى ٠ أما القسم الجنوبى من هذا العالم الذى يتضمن فلسطين والساحل الفينيقى فكان خاضعا للبطالسة فى مصر ٠ بينما كان نفوذ الانباط فى شرق الاردن ويمتد الى دمشق ٠ وكان نفوذ التدمريين فى الصحراء السورية حول تدمر ٠ وأما فى داخل الجزيرة العربية وحافاتها ، فقد كان السبئيون والمعينيون يسيطرون على القسم الجنوبى منها ، وكان نفوذ الانباط يمتد فى قسمها الشمالى الى تيماء والعلا ٠

كما كان للمصريين أيضا نفوذ عند مصب وادى الحمض، ومن المحتمل أنه امتد على طوله الى منطقة المدينة٠وكذلك كان يقوم على ساحل الخليج العربى نفوذ للجرعيين حول الجرع فى مواجهة جزر البحرين ٠

وكانت هذه الشعوب جميعها تشتغل بالتجارة وتتنافس على مسالكها وأسواقها ٠ وقد أثر هذا التنافس على الوظيفة القديمة لسهل العراق كممر للتجارة بين القسم الشرقى من العالم القديم وبين القسم الغربى منه ٠ كما أثر عليها أيضا بدرجة خطيرة الصراع الذى تكرر حدوثه بين المصريين وبين السلوكيين فى سوريا ٠ وكان هذا الصراع مركزا فى بادىء الامر فى منطقة الحدود بين أملاك كل منهما ٠ وقد ترتب على ذلك عرقلة سير التجارة المارة فى مسالك جانب نهر الفرات ، وبالتالى عرقلة نمو تدمر ٠ ويبدو أن هذا كان من بين الاسباب الرئيسية التى حملت السلوكيين على نقل مركز حكمهم من بابل على الفرات الى سلوكيا على دجلة ٠ وقد ترتب على تلك العوامل مجتمعة تركز سير الاتصالات المارة بسهل العراق فى مسالك جانب نهر دجلة ٠ ولكن هذه الاتصالات كانت مع ذلك محدودة٠ لان اتخاذ السلوكيين مركز حكمهم فى أنطاكية التى تقع فى أقصى الطرف الغربى منها ، قد أضعف قبضتهم على أجزائها الشرقية ٠ فقامت فيها ، نتيجة لذلك ، ثورات عرقلت سير الاتصالات المارة بها ٠ كما قامت فيها أيضا حركات استقلالية ، ولم تستطع جيوش السلوكيين القضاء عليها٠وكان تكرر سير هذه الجيوش على مسالك جانب نهر دجلة معرقلا لسير قوافل التجارة المارة عليها٠ كما عرقله أحيانا امتداد ميدان الصراع بين السلوكيين وبين المصريين الى القسم الشمالى من سوريا ٠

وكانت عرقلة سير الاتصالات المارة على مسالك أرض ما بين النهرين وحافاتها سببا فى تحول سير التجارة الشرقية القادمة فى الخليج العربى الى ميناء الجرع وغيره من الموانىء الواقعة على الساحل العربى لهذا الخليج ٠

وكذلك كانت سببا فى اجتذاب قسم من تجارة سهل العراق نفسه الى داخل الجزيرة العربية وحافاته • وقد قامت بهذا النشاط قوافل الجرع وقوافل الانباط وقوافل السبئيين والمعينيين • كما اجتذب هذا النشاط اليه المصريين أيضا ، فأقاموالهم ميناء أمبيلون عند مصب وادى الحمض • على أن نشاط المصريين قد امتد وتعدى هذا المدى • فانهم لكى ينافسوا السلوكيين فى تجارة الشرق المارة بطريق أرض ما بين النهرين فتحوا طريق البحر الاحمر وأرسلوا سفنهم للتجارة مع الهند مباشرة • وهم بعملهم هذا هيأوا أمام أنظار عالم ذلك الوقت طريقا ينافس بدرجة خطيرة طريق أرض ما بين النهرين • كما جعلوا الاسكندرية والموانىء المصرية على ذلك البحر منافسا خطيرا لسلوكيا وغيرها من المدن التجارية فى سهل العراق •

١٠ ــ الفارثيون (٢٤٧ ق•م ــ ٢٢٦ م) :

الفارثيون من الشعوب الآرية • وقد استولوا على سهل العراق حول سنة ١٣٠ ق•م • وقد لعب العامل الجغرافى دوره فى فتح هذا السهل • فان موقعه بين الفارثيين فى هضبة ايران من جهة وبين السلوكيين فى سوريا من جهة أخرى جعله ميدان صراع بينهما مدة طويلة ، وتناوبته أيدى كل منهما أكثر من مرة • وبعد أن تم للفارثيين الامر فيه عرقلت الاهوار الكلدانية امتداد الفتح الى الخليج العربى ومكنت دويلة شراكين القائمة على جانبى شط العرب من الاحتفاظ باستقلالها •

ولم تكن دولة الفارثيين عندما تم تكوينها تتضمن كل الاراضى التى تضمنتها دولة الاخمنيين ، أو دولة السلوكيين • كما أنها لم تكن ذات حدود طبيعية تفصل بينها وبين جيرانها وتعطيها حياة الاستقرار • وكانت الاجزاء الطبيعية من هذه الحدود تتمشى مع نهر أوكسس (آموداريا) ، ومع نهر قورش (كورا) ، ومع نهر الفرات شمال نيسيفوريم (الرقة)•

وكذلك ، كان بناؤها من الناحية الادارية ومن الناحية الاجتماعية ضعيفا • وقد أثرت هذه النواحى فى خصائص الموقع الجغرافى لسهل العراق وحددت الاستفادة منه فى بعض الاوقات فى مجال ضيق • وفى خارج محيط هذه الدولة ، كان السلوكيون ضعفاء ، وكذلك كان المصريون ، ولكنهم كانوا أحيانا يتصارعون فيما بينهم • وفى طريق البحر الاحمر حل نشاط الانباط محل نشاط المصريين ، وشاركهم فيه السبئيون والمعينيون والاثيوبيون • أما فى داخل هضبة الاناضول ، فقد كان الرومان يتقدمون على طول مسالك التجارة نحو سوريا ونحو هضبة أرمينية •

وفى عهد مثريداتس الثانى ، وهو مؤسس دولة الفارثيين ، حدث حادث كان له أبعد الاثر فى تحويل أنظار العالم ثانية الى طريق سهل العراق • كما كان المحور الذى دارت حوله سياسة الرومان فى الشرق الاوسط • وذلك ، كان فتح طريق بين الصين وبين دولة الفارثيين • وكان الحرير أهم السلع التى تحملها القوافل القادمة من الصين • وقد وصل الحرير الى الرومان • وكان لبسه ترفا عندهم فى بادىء الامر ثم أصبح ضرورة • وكان يصل اليهم عن طريق سلوكيا على دجلة وخلال المسالك التى تصل بينها وبين العالم الاغريقى فى سوريا • ولكنه كان ، بلا شك ، يصل اليهم باهظ الثمن لمروره تحت يد عدد من الوسطاء • وربما كان هذا هو السبب الذى دفع الرومان الى القضاء على الدويلات التى كانت تقف سدا بينهم وبين دولة الفارثيين ليتصلوا بها مباشرة عند نهر الفرات •

ووصول الرومان الى هذا النهر وجه أطماعهم الى طريقين أخرين هامين لتجارة الشرق • أحدهما طريق البحر الاحمر ، والآخر طريق مصب نهر أراس وعبر بحر قزوين • وهم فى سبيل السيطرة على الطريق الاول استولوا على فلسطين ومصر ، وأرسلوا حملة لفرض سلطانهم على سبأ ومعين ، كما قضوا على دولة الانباط • أما الطريق الآخر وهو

أكثر أهمية ، بالنسبة لتجارة الحرير ، من طريق البحر الاحمر فقد جعل هضبة أرمينية ومنخفض كورا – ريون ميدانا لصراع مستمر بينهم وبين الفارثيين •

ومحاولات الرومان فى كلا الطريقين لم تنجح • وكذلك لم تنجح محاولات أخرى لهم • واستمر حرير الصين يأخذ مجراه خلال مسالك وسط أسيا وهضبة ايران الى سلوكيا • ولهذا كفوا بعض الوقت عن محاولاتهم ، واتفقوا مع الفارثيين على حياد تدمر وعلى سلامة قوافل تجارتها • وفى خلال فترات السلام التى كانت تسود بين الفرس وبين الرومان كان سهل العراق سوقا للتجارة ، تلتقى فيه تجارة الشرق المنقولة بالبر خلال وسط آسيا والمنقولة فى البحر فى الخليج العربى مع تجارة الغرب المنقولة فى مسالك جانب نهر دجلة وكذلك فى مسالك وادى الثرثار وجانب نهر الفرات • وكانت مسالك جانب نهر دجلة أكثر نشاطا ، بسبب العلاقات الطبيعية والبشرية التى تربط بين سلوكيا على هذا النهر وبين أنطاكية على العاصى التى كانت المركز الاول للنشاط الرومانى فى الشرق الاوسط •

وفى أوقات الصراع ، لم يتأثر النشاط التجارى لسهل العراق بالحوادث التى كانت تجرى فى ميدان أرمينية • أما عندما امتد هذا الميدان الى القسم الشمالى من أرض الجزيرة منذ حوادث تجرانس ملك أرمينية ، فقد تهددت مسالك جانب نهر دجلة وتعرقل السير عليها • بينما أخذ هذا النشاط يتركز على مسالك جانب نهر الفرات وعلى مسلك وادى الثرثار • وقد نتج عن ذلك نمو المدن القديمة القائمة عليها ، وظهور بعض مدن تجارية أخرى جديدة مثل نيابلس وفلجاسيا على الفرات ومثل الحضر على وادى الثرثار • واجتذب اليها أيضا نشاط العالم السامى من الجهات التى تكتنفها • وقد بدا نشاط هذا العنصر واضحا فى ممكة شراكين ، واستطاع

أن يمحى صبغتها الاغريقية وأن يحولها الى صبغة سامية •

وكذلك أثرت تدمر كثيرا بسبب هذا النشاط ، لموقعها فى مركز تتجه اليه تلك المسالك • الا أن هذا الثراء قد وجه اليها أنظار الرومان • فعملوا على ادخالها تحت نفوذهم ووضع مسالك تجارتها تحت سيطرتهم • وهذا ، كان معناه وضع تجارة وادى الفرات تحت الاشراف الرومانى لحد ما • ومن المعروف أن تدخل المصالح الاقتصادية مقدمة لتدخل المصالح الاستعمارية • وقد أدرك الفارثيون هذا ، وقاوموه • وجرت حوادث منعت وصول تجارة الحرير الى الرومان • وقد وقف الرومان أمام ذلك موقفا حازما • وسلكوا طريقين يهدفان الى غرض واحد ، هو تحويل تجارة الحرير من أيدى الفارثيين الى أيديهم واقامة صلات مباشرة بينهم وبين الصين • فأرسلوا جيشا وأسطولا لتدمير سلوكيا ، وهى السوق الرئيسى للحرير فى الشرق الاوسط ، وأرسلوا فى الوقت نفسه وفدا الى الصين للمفاوضة على تحويل تجارة الحرير اليهم • وقد دمروا سلوكيا فعلا ودمروا معها النفوذ الاغريقى فى سهل العراق ، ولكن بعثتهم الى الصين لم تنجح فى الغرض الذى أرسلت من أجله • ولهذا اتجهوا نحو الاستيلاء على هذا السهل • وقد فشلوا فى غرضهم هذا أيضا ، وكان ذلك بسبب مقاومة دولة الحضر لهم • كما كان بسبب قيام دولة الساسانيين ، وكانت قوية وفتية ، مقام دولة الفارثيين بعد سقوطها •

١١ – الساسانيون (٢٢٦ – ٦٥١م) :

يعتبر حكم الساسانيين فى سهل العراق امتدادا لحكم الفارثيين فيه • فقد كانت خصائص الموقع الجغرافى له مقيدة أيضا بنوع العلاقة التى كانت تقوم بينهم وبين الرومان ، وهى علاقة كانت عدائية فى الغالب وأشد عداء مما كانت عليه فى عهد الفارثيين • وقد ازدادت خصائصه تقيدا حول منتصف

القرن الثالث الميلادى عندما قضى الفرس على دولة الحضر التى كانت تقود نشاط التجارة المارة على مسلك وادى الثرثار ، وكـــذلك عندما قضى الرومان على دولة تدمر التى كانت تقود نشاط التجارة المارة على مسالك جانب نهر الفرات • ثم توقف هذا النشاط تماما بسبب العداء الذى استحكم بين عرب الحيرة الموالين للفرس وبين عرب غسان الموالين للرومان • على أن تفتح سهل العراق نحو العالم البيزنطى خلال أراضى صـــحراوية أو شبه صحراوية ،مكن بعض العناصر المضطهدة فى هذا العالم بسبب اعتناقها المسيحية من التسلل اليه ونشر هذه الديانة فيه •

وتوقف سهل العراق عن تأدية وظيفته كممر لسير التجارة بـــين القسم الشرقى من العالم القديم وبين القسم الغربى منه أضعف نشاطـــه التجارى • ولكنه من جهة قد وجه سكانه الى تقوية نشاطه فى الزراعـة وفى الصناعة • كما وجههم الى تقوية اتصالاتهم مع العالم الموسمى ومـــع عالم الجزيرة العربية • وقد ركز هذا التوجيه النشاط الاقتصادى فى هذا السهل عند رأس الخليج العربى• كما ركزه أيضا فى وادى الفرات ، وعلى الاخص لقيام امارة الحيرة فيه • وقد كان قيام هذه الامارة عاملا آخر ساعد على ربط سهل العراق بعالم الجزيرة العربية بصلات اقتصادية وثقافيـة • وهو من جهة أخرى قد وجه نشاط العالم الاغريقى - الرومانى الى البحر الاحمر والى منافسة الفرس فى تجارة المحيط الهندى • وطريق البحـــر الاحمر ، كما هو معروف منافس خطير لطريق الخليج العربى فى التجارة الشرقية • ومن المحتمل أن العالم الاغريقى - الرومانى قـــد استطاع أن ينافس العالم الفارسى فى بعض أنواع هذه التجارة ، ولكنه من المحقق أنه لم يستطع أن ينافسه فى تجارة الحرير • فقد كانت هذه التجارة كلها أو معظمها تتجمع فى ميناء بارياجازا وغيره من الموانىء الواقعة علـى الساحل

الشمالى الشرقى للبحر العربى ، وهى تجاور أرض الفرس وكان تجارهم يسيطرون عليها •

كما أدى تركز حركة النشاط التجارى للفرس فى الخليج العربى الى زيادة نشاط الجماعات التى تسكن على سواحل هـذا الخليج ، وهـــى جماعات بحرية بطبيعة ظروف بيئاتها • ويبدو أنه عن طريق هذه الجماعات استطاع العالم الاغريقى - الرومانى أن يحصل على بعض الحرير خــلال المسالك التى تصل بينهم وبين داخل الجزيرة العربية • ومن المعروف أن معظم هذه المسالك تلتقى عند مكة • وليس بعيد الاحتمال أن كانت الشهرة المدوية لمكة من الناحية التجارية قبيل الاسلام والتى اجتذبت اليهـا بعض تجار العالم الاغريقى - الرومانى ، قد نتجت عن كونها قد أصبحت ســوقا لهذه السلعة خارج محيط العالم الفارسى •

الختـــام

التنائج المستخلصة من هذا البحث :

وهى تتضمن النتائج المتعلقة بالموقع الجغرافى لسهل العراق مـــن النواحى الآتيـــــة :ـ

١ ـ ناحية تعميره بالســكان •

٢ ـ الناحيـــة الحضارية •

٣ ـ الناحية الاستراتيجيـــة •

٤ ـ ناحية الاثر العام لهذا الموقع على السكان •

١ ـ والخلاصة العامة للناحية الاولى هى :ـ

آ ـ ان تعميره بمعظم سكانه قد حدث من جانب السهول التـــى تكتنف بعض اتجاهاته • وأن القسم الاكبر منهم قد هاجـــر اليه من جانب وادى الفرات حيث يسود العالم السامى • وأن غالب القسم الباقى قد هاجر اليه من جانب نهر دجلة ، مــن المناطق السهلية التى تقع عند سفوح نطاق زاجروس ـ طوروس الجبلى • ويتصل بهذه النتيجة العامة النتائج الخاصة الآتية :ـ

ب ـ ان تعميره قد حدث من قبـــل جماعات متحضرة بحضـــارة الاستقرار ، ولم يحدث من قبل البدو سواء أكانوا من رعـــاة الجبال والهضاب أم كانوا من رعاة السهول •

٢ ـ والخلاصة العامة للناحية الحضارية هى :

ا ـ أنه كان بؤرة تلتقى فيها عناصر حضارات الجهات المتصلة بـــه بالبر أو بالماء ، وسواء أكانت فى داخل الشرق الاوســـط أم كانت فى خارجه، كما أنه كان ممرا لها بين بعض هذه الجهات

وبين بعضها الآخر • ويتصل بهذه النتيجة العامة النتائج الآتية:

ب ـ ان حضارته كانت ذات طابع عام ، بمعنى أنها كانت متأثـــرة بحضارات الشعوب المتصلة به••وهذا ساعد على نشرها وعلى أن تتقبلها هذه الشعوب سواء أكانت من سكان الهضاب أم كانت من سكان السهول •

جـ ـ كانت اتصالاته الحضارية قوية مع سهول سوسيانا ، لانها بيئة حضارية وتجاوره••ومع الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط، لانها تحتوى على بعض المواد الخام التى يفتقر اليها • ومـــع العالم السورى ، لانه يحتوى أيضا على بعض تلك المـــواد • وكذلك ، لانه يقع عند النهاية الغربية للمعبر البـــرى للشرق الاوسط ، وهو المعبر الذى يقع هو عند النهاية الشرقية له • أما اتصالاتهمع الاتجاهات الاخرىفى الشرقالاوسط فلم تكن منتظمة فى الغالب • فهى ما كانت تقـــوم مع داخل الجزيرة العربية الا فى الاوقات التى كانت فيها اتصالاته الاخـــرى تتعرقل مسالكها • كما أنها لم تقم مع عالم الخليج العربى الا فى الاوقات التى كان له فيها نشاط بحرى •

د ـ كانت حضارته قوية بالدرجةالتى أخضعت الفاتحين له لنفوذها•

هـ ـ وبصورة عامة كانت هذه الحضارة تبلغ ذروة انتشارها فـــى الاوقات التى كان فيها السلام يسود جهات الشرق الاوسط•

٣ ـ والخلاصة العامة للناحية الاستراتيجية هى :ـ

ا ـ أنه سهل مكشوف ومعرض للغزو من كل جهاته • ولهـــذا كان يصعب الدفاع عنه اذا تعرض للغزو من أكثر من جهـــة من هذه الجهات • ويتصل بهذه النتيجة العامة النتائج الخاصة الآتيـــة :ـ

ب - تعدد مسالك الاتصالات بينه وبين الجهات التى تكتنفه فى الشرق الاوسط كان يمثل ناحية ضعف فيه كما كان يمثل ناحية قوة • وكانت ناحية الضعف تبدو فى الاوقات التى كان فيها يتعرض للغزو من اتجاهات عدة • وفيها كان ينهار وتقتطع منه بعض أجزائه • كما تبدو فى سرعة انهيار الامبراطوريات التى كونها ، وفى سرعة انهياره نفسه وراءها بسبب المجهود المرهق الذى كان يبذله فى تكوينها ثم فى اخماد الثورات التى كانت تقوم فى اتجاهاتها • أما ناحية القوة فتبدو فى تعدد البيئات التى كان يمكنه أن يتصل بها عن طريقها • كما تبدو فى أنه كان فى الاوقات التى يتعرقل فيها سير اتصالاته على بعض هذه المسالك نحو البيئات الموصلة اليها كان يجد مسالك أخرى تحمل هذه الاتصالات الى بيئات أخرى •

ج - جهة الجزيرة العربية هى الجهة الوحيدة من بين الجهات التى تكتنفه ، التى لم تبد من ناحيتها أطماع استعمارية فيه • وانما كانت مخزنا يزوده ببعض السكان المتحضرين بين جيل وبين آخر •

د - العالم السورى كان يزوده كذلك ببعض السكان • ولكن أهميته الكبرى تبدو فى ناحيتين • الناحية الاولى أنه جزء متمم له من الناحية التجارية ، لانه يقع عند النهاية الغربية للمعبر البرى الذى يقع هو عند نهايته الشرقية • والناحية الاخرى ، أنه مدخل اليه ومنفذ له من ناحية الشعوب التى تسكن فى داخل هضبة الاناضول وعالم بحر ايجه من جهة ومن ناحية مصر ومنطقة بطرى من جهة أخرى •

هـ - منطقة بطرى فى شرق الاردن كانت تنافسه فى أسواق سوريا

عن طريق التجارة التى كانت قوافلها تحملها من داخل الجزيرة العربية أو التى كانت سفنها تحملها فى البحر الاحمر •

و - وطريق البحر الاحمر قد استخدم فى نقل الاتصالات بينه وبين مصر ، وذلك عندما كانت الملاحة شاطئية • أما بعد أن ارتقت الملاحة ، فقد بدا منافسا خطرا لطريق الخليج العربى وأرض ما بين النهرين فى التجارة الشرقية • وقد بدأت هذه المنافسة فى العصر الاغريقى واشتدت فى العصر الرومانى ، وعلى الاخص منذ منتصف القرن الاول الميلادى حينما اكتشف هبالوس ، وهو من رعايا الرومان ، معرفة الاستفادة من الرياح الموسمية فى الملاحة •

ز - والخليج العربى ، باب سهل العراق الى العالم الموسمى • ولهذا تبدو الاهمية كبيرة فى السيطرة على مدخله • وكان سكان هذا السهل يستخدمونه حتى أوائل دور الاسرة العمورية ثم توقف بظهور شعب القطر البحرى وسيطرته عليه • وقد استمر هذا الباب مغلقا أمامه حتى تكونت فيه دولة الكلدان ، وكانت تتضمن أرض هذا المدخل بجانب أرض سهل بابل •

ح - وطريق سهل العراق وان كان امتداد طبيعيا لطريق الخليج العربى ، الا أن طريق هذا الخليج يتضمن بعض ثغرات يمكن عن طريقها أن يتحول سير بعض التجارة المارة فيه الى داخل الجزيرة العربية وحافاتها • وقد أزعج هذا الحكومات التى قامت فى بعض الادوار التاريخية وكان لها نشاط بحرى ، مثل دور الكلدان ومثل دور الساسانيين فأرسلوا قوات لهم للسيطرة على هذه المنافذ ، وقد كان من بينها ميناء الجرع المشهور •

ط - وهضبة ايران لم تبدو لها اتصالات واسعة مع سهل العراق

الا بعد أن دخلت اليها بعض الشعوب الآرية • وقد بدت أهميتها له بعد أن أصبح يكون معها جزءا فى دولة الاخمينيين • ثم بلغت هذه الاهمية ذروتها فى عهد الفارثيين ، لانها أضافت الى طرق اتصالاته مع الهند وبعض جها ت العالم الموسمى طريقا آخر الى الصين ، هو طريق الحرير • وقد رجح كثيرا فتح هذا الطريق أهمية طريق أرض ما بين النهرين على طريق البحر الاحمـــــر •

ى – وهضبة أرمينية وحافاتها ، رغم بعدها عن سهل العراق ، قد بدت أهميتها خطيرة عليه بعدفتح طريق الحرير • لانها تتضمن طريقا ، ويمكن تحويل سير هذه السلعة اليــه من خارج هضبة ايران وتوجيهها نحو ساحل البحر الاسود أو نحـــو داخل هضبة الاناضول • ويبدو أن تجرانس ملك أرمينية قد نجح فى ذلك • ومن المعروف أن الرومان قد بذلوا فى سبيل ذلك جهودا كبيرة ولكنهم لم ينجحوا نجاحا يذكر •

ك – وهضبة الاناضول قامت بينها وبين سهل العراق اتصالات فى وقت مبكر • أى منذ أن فتح أصحاب حضارة الوركاء الطريق بينهما • وقد استمرت هــذه الاتصالات قائمة بينهما بسـبب تضمنها بعض الثروات التى يفتقر اليها • وكذلك بسبب كونها معبرا الى عالم أوسع مدى فى جنوب شرق أوروبا ووسطها • وعن طريقها انتقلت بعض مؤثرات سهل العراق الى هذا العالم، كما انتقلت بعض مؤثرات هذا العالم اليه •

ل – ومن أخطر الجهات التى تكتنف سهل العـراق من الناحيــة الاستراتيجية عليــه ، المناطق التى تقــع عند سفوح نطــاق زاجروس – طوروس •

م – سهول سوسيانا قامت فيها دولة علام • ولقد لعبت هذه الدولـة دورا مزدوجا • فقد كانت من جهة خطرا يهدده ، كما كانت من أسبق الشعوب فى الانقضاض عليه فى أوقات ضعفه • وقد كان هذا من بين الاسباب التى أبعدت السومريين عن السكنى فى وادى دجلة وتركزهم فى وادى الفرات • وهى من جهـة أخرى ، كانت تقف مصدا يحول بينه وبين مطامع بعض الشعوب والقبائل من داخل هضبة ايران فيه •

ن – وتلال بشتكوه ، وهى مقدمات مرتفعات لورستان المشرفة على سهل العراق ، تنحدر على سفوحها نحوه أنهر صغيرة وأخوار كونت عند مصباتها دلتاوات خصبة • وقد اتخذ بعض الكاشيين وديانها مسالك لهم من هذا الاقليم واستثمروا هذه الدلتاوات وكانوا مقدمات هذا العنصر فى السيطرة على سهل العراق •

س – وبوابة زاجروس هى منفذ لاتصالات هضبة ايران مع سهـول الشرق الاوسط ، وهى كذلك منفذ للاتصالات القادمة عـن طريقها من جهات أخرى من داخل هذا الشرق ومن خارجه • ولهذه البوابة مدخلان أحدهما نحو سهل العراق ، والآخر نحو منطقة السهول المموجة فى شمال هذا السهل • ومن يتحكم فيها يتحكم فى توجيه سير هذه الاتصالات • وقد بدت أهميتها أثناء صراع الاشوريين مع بابل • كما بدت أثناء سيطرة تجرانس ملك أرمينية على ميديا • وكذلك كان الميديون حريصين على الاحتفاظ بها فى أيديهم عند اقتسامهم مع الكلدانيين دولة آشور •

ع – ومنطقة المقدمات الجبلية فى الحوض الاوسط لنهر دجلة وفى القسم الشمالى من أرض الجزيرة هى أخطر المناطق التى تقع عند سفوح نطاق زاجروس – طوروس • ذلك لانهـا تتضمن

أهم المسالك التى حملت اتصالات سهل العراق مع القسم الشمالى من سوريا ومع داخل هضبة الاناضول ومع قبرص والامبراطورية المنوية التى كان مركزها كريت • وهى اتصالات كانت واسعة بسبب احتواء هذه الجهات على كثير من المواد التى تفتقر اليها حضارته ، وعلى الاخص المواد اللازمة لناحيـة القـوة الحربية فيه • وفضلا عن ذلك ، فان هذه المنطقة يمكن الحصول منها ومن الجهات التى تكتنفها على بعض هذه المواد • وهى مع هذه الاهمية منطقة مقلقلة ، فنحوها يتجه من جهة رعاة الجبال فى فصل الشتاء ويتجه من جهة أخرى رعاة السهول فى فصـل الصيف • ولهـذا كانت السيطرة عليها هى الهدف الاول للحكومات القوية التى قامت فى سهل العراق• وقد بدا خطرها على هذا السهل بعـد أن تكونت قوميات شعوبها • فان قيام حكومات فيها جعلها مصدا فى وجه اتصالاته • وكان يصحب ذلك دائما ضعف فى مركزه السياسى وأحيانا ضعف فى مركزه الاقتصادى • وتتفق هاتان الناحيتان من الضعف فيه فى الاوقات التى كانت تقف فيها هذه الحكومات أو بعضها موقفا معاديا له ، كما حدث فى عهـد تجرانس ، وفى بعض أوقات الحكم الآشورى ، وكذلك فى بعض أوقات الصراع بين الفرس وبين الرومان • أما فى الاوقات التى كانت تقف فيها هذه الحكومات منه موقف الصداقة ، فقد كان مركزه الاقتصادى يقوى كثيرا • كما حـدث أثناء الحكم الجـوتى وفى بعض أوقات الحكم الآشورى • وأما الاوقات التى كانت هذه المنطقة تخضع فيها للحكومات القائمة فيه ، فهى الاوقات التى كانت تتفق فيها قوة مركزه السياسى مع قوة مركزه الاقتصادى •

٤ - أما نواحى الاثر العام لهذا الموقع على السكان فهى :

ا - من ناحية تعميره بالسكان ، جعل الصبغة السامية هى الغالبة على سكانه وعلى الاخص سكان وادى الفرات •

ب - من الناحية الحضارية ، جعل حضارته دولية ، وساعدها على استمرار الاحتفاظ بقوتها • كما جعل سكانه أمة تجارية •

ج - ومن الناحية الاستراتيجية، جعل سكانه أمة مكافحة بين شعوب الهضاب وبين شعوب الصحراء وبين شعوب الخليج العربى • وكانت فى أوقاتها قوتها تمد نفوذها وراء رقعة بلادها الاصلية الى الحدود الطبيعية لها ، وتسيطر على مسالك تجارتها وكذلك على منافذها الى أراضى هذه الشعوب • وهى أيضا المنافذ التى كانت تأتى منها القـوات الغازيـة • أمـا فى أوقات ضعفها ، فقد كانت تنكمش داخل حدودها الاصلية• وفى بعض الاوقات كانت تعمل على تحصين مداخلها المطروقة ، وفى بعض أوقات أخرى كانت تستعين على أعدائها بتقوية صـلاتها مع شعوب أخرى لتحاصرهم •

ثبت المراجـــع

ثبت الخرائــط

آ ـ خرائط موضحة باللغة العربية :

١ ـ خارطة العراق الشمالى ، مقياس ١/٠٠٠ر٧٥٠ ، مديرية المساحـــة العامة فى بغداد ، ١٩٣١ .

٢ ـ خارطة بلاد ايران ، مقياس ١/٠٠٠ر٢٠٠ر٤ (غير موضح مكان الطبع وتاريخه) .

٣ ـ خارطة جبال العراق ، مقياس ١/٠٠٠ر٥٠٠ر١ ، مديرية المســاحة العامة ببغداد ، ١٩٢٩

٤ ـ خريطة البادية مقياس ١/٠٠٠ر٠٠٠ر٣ . وهى ملحقة بكتاب البادية تأليف عبدالجبار الراوى وعمل مديرية المساحة العامة ببغداد .

٥ ـ خريطة العراق الاثرية مقياس ١/٠٠٠ر٠٠٠ر١ . نشرمديريةالآثارالعامة ببغداد وعمل مديرية المساحة العامة بها .

٦ ـ خريطة لبنان ، مقياس ١/٠٠٠ر٢٠٠ . منشورات الدليل الاخضر . بيروت ، ١٩٤٨ .

٧ ـ خريطة لبنان للسياحة والطرقات مقيـــاس ١/٠٠٠ر٢٠٠ ، باريس ، ١٩٤٨ .

٨ ـ خريطة طرق العراق مقياس ١/٠٠٠ر٠٠٠ر١ مديرية الاشغال العامة ، ١٩٤٨ .

٩ ـ ١٤ خريطة عامة لالوية العراق ، بعضها بمقياس ١/٠٠٠ر٢٥٠ وبعضها الاخر بمقياس ١/٠٠٠ر٥٠٠ . وهى طبع مديرية المساحة العامةببغداد.

١٠ ـ خرائط اخرى ملحقة ببعض الكتب العربية ومن اهمها ما هو ملحـــق بكتاب مفصل جغرافية العراق تأليف الفريق طه الهاشمى ، وكتاب الاسس الطبيعية لجغرافية العراق تأليف كوردن هستد وتعريب محمد جاسم الخلف .

ب ـ خرائط واطالس موضحة بلغات اجنبية :

١١ ـ Carte du Levant, 6 files, 1/500,000, Dressè, Dessinè et Publié par le Bureau Topographique des Troupes du Levant, Imprimé à l'Institute Géographique National, édition d'Avril 1939.

١٢ ـ Carte Géologique du Moyen Orient, 1 à 2/000,000, Dressé, par L. Dubertret. 1942.

١٣ ـ Folded Maps accompaying some books specially those of a handbook of Arabia, vol. 2 (Admiralty War Staff, 1917); of Loyalties, Mesopotamia, 2 vols., 1914-20. by Sir A. T. Willson, Oxford University Press, 1936. and of Mesopotamia as a Country of Future Development, by A. B. Buckley, Cairo Government Press, 1919.

١٤ ـ Map of Africa, 1/1000,000, "Cairo" sheet in. H-36. Reproduced by 17 map reporduction Section R.E. 1945. from Survey of Egypt Kadalines, 2nd. edition 1944. With revision from 1/1,000,000 South Levant sheets and 1/250,000 Palestine sheet 2.

١٥ ـ Map of Asia, 1/1,000,000 "Persian Gulf" sheet 32, Reproduced by 512 (A. Fd. Svy.) Coy., R.E., 1941, from Black Pulls from the War Office. Communications revised and printed by 512 Fd. Survey Coy., R.E., M.E. 1942. Reprinted by 512 Fd. Survey Coy. R. E. 1942.

١٦ ـ Map of Asia, 1/1,000,000, "Resht" North, J-39. Reproduced by 512 A. Fd. Svy. Coy., R. E. 1940, from Survey of India Black Pulls of 1941 edition. Reprinted by 512 Fd. Survey Coy., R.H., M.E. 1942.

١٧ ـ Map of Asia, 1/1,000,000 "Riyadh" North G-38. Drawn and printed at the War Office, 1922.

١٨ ـ Map of Asia, 1/1,000,000 "Tehran" in 1-39, Geographical Section, General Staff, 2nd. edition, 1944.

١٩ ـ Map of Bible Lands and the Craddle of Western Civilization, Compiled and drawn in the Geographic Section of the National Geographic Society for the National Geogarphic Magazine, 1/3,000,000 (editor, G. Grosvenor).

٢٠ ـ Map of International map of the World, 1/1,000,000 "Iraq", 5 sheets (Place of Printing & Date are not indicated).

٢١ _ Map of Iraq, 1/1,000,000, Heliozincographed at the Directorate of Survey Affairs, Baghdad (date is not indicated).

٢٢ _ Map of the Middle East and Near East, Persia, Arabia, Turkey, Egypt. Printed and Published in Great Britain by J. Bartholomey and Son. Ltd. "Edinburgh" .

٢٣ _ Provisional Geological Map of Iraq, 1-2,000,000. The Iraq Geological Department. 1937.

٢٤ _ Sketch map of Desert S.W. of Nasiriyah, 1/1000,000 Heliozincographed at The Survey Directorate, Baghdad.

٢٥ _ Map of Turkiye, 1/2,000,000, Tertib eden: Ahmet Halit Yasaroglu.

٢٦ _ The Library Atlas, by Goodall and Darby, London, 1947.

٢٧ _ The Oxford Advanced Atlas, by J. Bartholomew, Oxford University Press, 1936.

٢٨ _ The Regional Atlas of the World, by J. Bartholomew, Edinburgh- The Geographical Institute, 1948.

٢٩ _ The Times Survey Atlas of the World, Prepared at the "Edinburgh Geographical Institute" Under the Direction of J. G. Bartholomew, London, 1922.

ثبت الكتب ·

أ ـ الكتب العربية :

٣٠ _ ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، نشر نعمان الاعظمى ، بغداد ، ١٩٣٧ ·

٣١ _ ابراهيم احمد رزقانة (الدكتور) ، الحضارة المصرية فى فجر التاريخ ، القاهرة ، ١٩٤٨ ·

٣٢ _ احمد سوسه (الدكتور) ، تطور الرى فى العراق ، بغداد ، ١٩٤٦

٣٣ _ احمد سوسه (الدكتور) ، رى سامراء فى عهد الخلافة العباسية ، الجزء الثانى ، بغداد ١٩٤٩ ·

٣٤ _ احمد سوسه (الدكتور) فى رى العراق « نهر الفرات » الجزء الاول ، بغداد ١٩٤٥ ·

٣٥ _ احمد سوسه (الدكتور) ، وادى الفرات ومشروع سدة الهندية ، الجزء الثانى ، بغداد ، ١٩٤٥ ·

٣٦ _ بسام كرد على واخرين ، سوريا ولبنان جغرافيا ، دمشق ، ١٩٤٩ ·

٣٧ _ حافظ وهبه ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ، القاهرة ، ١٩٤٦ ·

٣٨ _ حامد محمد البلقينى ، زراعة المحاصيل المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٣ ·

٣٩ _ حسن ابراهيم حسن (الدكتور) ، تاريخ الاسلام السياسى ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٣٥ ·

٤٠ _ جورجى زيدان ، كتاب العرب قبل الاسلام ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٣٩ ·

٤١ _ جواد على (الدكتور) ، تاريخ العرب قبل الاسـلام ، الجزء الاول ، القسم السياسى ، بغداد ، ١٩٥١ ·

٤٢ _ سعيد حماده ، النظام الاقتصادى فى العراق ، بيروت ، ١٩٣٨ ·

٤٣ _ سليم حسن ، مصر القديمة ، الجزء الرابع ، عهد الهكسوس وتاسيس الامبراطورية ، القاهرة ، ١٩٤٨ ·

٤٤ _ طه الهاشمى (الفريق) ، مفصل جغرافية العراق ، بغداد ، ١٩٣٠ ·

٤٥ _ طه باقر ، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، القسـم الاول ، تاريخ العراق القديم ، بغداد ، ١٩٥٥ ·

٤٦ _ عباس العزاوى ، عشائر العراق ، ١ ، القديمة _ البدوية الحاضرة ، بغداد ، ١٩٣٧ ·

٤٧ _ عبدالجبار الراوى ، البادية ، بغداد ، ١٩٤٧ ·

٤٨ _ عبدالرحمن الرافعى بك ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر « عصر محمد على » الجزء الثالث ، القاهرة ، ١٩٣٠ ·

٤٩ _ عبدالعزيز الدورى (الدكتور) ، تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى ، بغداد ، ١٩٤٨ ·

٥٠ _ عبدالمطلب امين (العقيد الركن) ، مبادىء السوق وجغرافية العـراق العسكرية ، بغداد ، ١٩٤٦ ·

٥١ _ عبدالوهاب عزام (الدكتور) ، مهـد العرب (سـلسـلة اقرأ) مارس ١٩٤٦ ·

٥٢ _ كوردن هستد ، الاسس الطبيعية لجغرافية العراق ، تعريب جاسم محمد الخلف ، بغداد ، ١٩٤٨ ·

٥٣ ـ محمد امين زكى بك ، خلاصة تاريخ الكرد وكرستان من اقدم العصور التاريخية الى الان ، القاهرة ، ١٩٣٩ ٠

٥٤ ـ مديرية الجمارك والمكوس (العراق) ، بيان الجمارك رقم ٣ لسنة ١٩٣٥ بتاريخ ٢ آذار ١٩٣٥ ٠

٥٥ ـ ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ، الشرق الادنى ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، ١٩٥٠ ٠

٥٦ ـ ول ديورانت ، قصة الحضارة الفارسية ٠ ترجمها الى العربية الدكتور ابراهيم أمين الشورابى ، القاهرة ، ١٩٤٧ ٠

٥٧ ـ وليام ويلكوكس ، بين عدن والاردن ، نقله الى العربية الدكتور أحمد سوسه ومحمد الهاشمى ، بغداد ، ١٩٤٣ ٠

٥٨ ـ يوسف رزق‌الله غنيمة ، الحيرة ، المدينة والمملكة العربية ، بغداد ، ١٩٣٦ ٠

٥٩ ـ يوسف رزق‌الله غنيمة ، نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق، بغداد ١٩٢٤ ٠

ثبت الكتب غير العربية

توضيحات خاصة باختصارات لبعض المراجع : ـ

ا ـ Bull. de la Soc. Ray. de Geog. d'Eg. = Bulletin de la Société Royale de Géographie d'Egypte.

ب ـ C. A. H. = Cambridge Ancient History.

جـ ـ H's. U. H. W. = Harmsworth's Universal History of the World, "Edited by J. A. Hammerton".

٦٠ Admiralty Naval Staff, Geographical Hand book, Syria, London, 1943.

٦١ Admiralty Naval Staff, Geology of Mesopotamia and its Border Lands, London, 1916.

٦٢ Admiralty War Staff; A Hand book of Arabia, 2 vols., London, 1916-1917.

٦٣ Admiralty War Staff; A Hand book of Mesopotamia, 4 vols., London, 1916-1917.

٦٤ Ainsworth, W. F.; Researches in Assyria, Babylonia and Chaldaea, London, 1838.

٦٥ Aldabbagh, A. H.; A Geographical Analysis of the Date-palm Industry of Iraq" Thesis presented for the Degree of M.A. at Birmingham University" (unpublished).

٦٦ Alföldi, A.; The Crisis of the Empire (A. B. 249-270) in the C. A. H. vol. XII.

٦٧ Andersom, J. G. C.; The Estern Frontier under Augustus. In the C. A. H., vol. X:

٦٨ Anderson, J. G. C.; The Estern Frontier From Tiberius to Nero, in the C. A. H., vol: X:

٦٩ Barton, G. A.; Semitic and Hamitic Origins, Social and Religious. Philadelphia, 1934.

٧٠ Beokinsale, R. B. ; Land, Air and Ocean, London 1946.

٧١ Bonomi, J.; Nineveh and its Palaces, London, 1852.

٧٢ Bourgoin, M. A. et Autres; Notes et Memoirs, Tome IV, Etudes Gèologiques et Gèographiques sur Le Liban, la Syrie et le Moyen Orient, Beyruth, 1945-1948 :

٧٣ Breasted, J. H.; Ancient Times, A History of the Early World. An Introduction to the Study of Ancient History and the Career of Early Man, Boston, 1944.

٧٤ Brown, Sir A.; Irrigation. Its Principles and Practice as a Branch of Engineering, London, 1907.

٧٥ Buchanan, Sir G.; The Tragedy of Mesopotamia, London, 1938.

٧٦ Burkitt, F.C.; The Christain Church in the East, in the C. A. H., vol. XII.

٧٧ Bury, J.B.; History of the Later Roman Empire, 2 vols. London, 1923.

٧٨ Byford, C.; The Port of Basra, Iraq, London, 1935.

Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History, Oxford, at the Clarendon Press, 1949.	٧٩
Cary, M.; The History of the Greek World from 323 to 146 B. C. London, 1932.	٨٠
Casson, S.; Greece on the Eve of the Greatest Glory, in H's. U. H. W., 9.	٨١
Charlesworth, M. P.; Trade-Routes and Commerce of the Roman Empire. Cambridge Unversity Press, 1924.	٨٢
Childe, V. G.; New Light on the most Ancient East, The Oriental Prelude to European Prehistory, London, 1935.	٨٣
Childe, V. G.; The Growth of Culture in Barbaric Europe, in H's. U. H. W.; 8.	٨٤
Child, V.G.; The Aryans, London, 1926.	٨٥
Chesney, Lt-Col. F. R.; The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris in the Years 1835, 1936 and 1837, 2 vols., London, 1868.	٨٦
Cressey, G. B.; Asia's Lands and People, A Geography of one third the Earth and two thirds its People, New-York, 1944.	٨٧
Christensen, A.; Sassanid Persia, in the C.A.H., vol. XII.	٨٨
Cook, S. A.; Chronology, in the C. A. H., vol. I:	٨٩
Cook, S. A.; The Gods of the Twilight, in H's. U. H.W., 6:	٩٠
Cook, S.A.; The Fall and Rise of Judah, in the C.A.H. vol. III.	٩١
Cook, S.A., The Inauguration of Judaism, in the C.A.H: vol. VI.	٩٢
Cook, S. A.; The Semites, in the C. A. H., vol. I:	٩٣
Cumont, F.; The Frontier Provinces of the East, in the C. A. H., vol. XI.	٩٤
Delaporte. L.; Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, 1, le proche-Orient Asiatique, Paris, 1948.	٩٥

Delaporte, L.; Mesopotamia, The Babylonian and Assyrian Civilization, (translated by V. G. Childe), London, 1925.	٩٦
De Morgan, J.; Prehistoric Man, A General Outline of Prehistory, London, 1924.	٩٧
De Vaumas, E.; Le Structure du Proche-Orient, Bull. de la Soc. Roy. de Géog. d'Eg., Tome XXIII, June, 1950.	٩٨
Dickson, H.R.P.; The Arab of the Desert, A Glimpse into Badawin Life in Kuwait and Saudi Arabia, London, 1949.	٩٩
Dowson, Sir E.; An Enquiry into Land Tenure and Related Questions. Letchworth (England), 1931.	١٠٠
Drioton, E. et Vandier, J.; Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, II, l'Egypte, Paris, 1946.	١٠١
Dubertret, L.; Aperçu de Gèographie Physique. Notes et Memoires, Tome IV, Etudes Gèologiques et Gèographiques, Beyrouth, 1945-1948.	١٠٢
Dubertret, L. et autres; Notes et Memoires, Tome 1, Contribution à l'Etude Géologique de la Syrie Septentrionale, le Miocène en Syrie et au Liban, Paris, 1933.	١٠٣
Dubertret, L. et Weulersse, J.; Manuel de Gèographie Syrie, Liban et Proche Orient, lere. partie, la Péninsule Arabique, Beyrouth, 1940.	١٠٤
Earle, E.n.; Turkey, The Great Powers and The Baghdad Railway, New-York, 1935.	١٠٥
East, G.; The Geography Behind History, London, 1945.	١٠٦
Eldridge, F. B.; The Background of Eastern Sea Power, London, 1948.	١٠٧
Fedden, R.; Syria, An Historical Appreciation, London, 1947.	١٠٨
Field, H.; The Anthropology of Iraq; Upper Euphrates Anthropolgical series, Chicago, 1950.	١٠٩

١١٠ Fisher, W.B.; The Middle East, A Physical, Social and Regional Geography, London, 1950.

١١١ Forbes, R.; Russian Road to India by Kubul and Samarkand, in Penguin Books, 1940.

١١٢ Fulanain; Hagi Rikkan, Marsh Arab, London, 1927.

١١٣ Garstang, J.; The Empire of the Hittites, in H's. U. H. W., 7.

١١٤ Geological Department (Baghdad); Geology of Iraq : Extract from Geology of British Empire, Dominions, Colonies, Mandated Territories. (Report unpublished and without date).

١١٥ Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. 1, London, 1930.

١١٦ Glover, T.R.; The Ancient World. in Pilican Books, London, 1948.

١١٧ Goold-Adams. R.; Middle East Journey, London, 1947.

١١٨ Grant, C. P.; The Syrian Desert: Caravans, Travel and Exploration, London, 1937.

١١٩ Gregory, J.W.; The Structure of Asia, London, 1929.

١٢٠ Gregory, J. S. and Shave, D. W.; The U. S. S:R: A Geographical Study, London, 1945.

١٢١ Griffith, F. L.; The Egyptian Empire: Its Splendour and Decline, in H's U. H. W., 6:

١٢٢ Griffith, F. L.; The Religious Revolution in Egypt, in H's. U. H. W., 7.

١٢٣ Gray, G. B. and Cary, M.; The Reign of Darius, in the C. A. H. vol. IV:

١٢٤ Gray, G. B.; The foundation and Extension of the Persian Empire, in the C. A. H. vol. IV.

١٢٥ Grundy, G. B.; The Persians and the Empire of the Great King, in H's. U. H. W.; 10.

١٢٦ Haas, W. S.; Iran, New York, Columbia University Press., 1946.

١٢٧ Haddon, A.C.; The Races of Man, Cambridge, 1929.

١٢٨ Hall, H. R.; Egypt in the Brilliance of Decay, in H's. U. H. W., Vol. 9.

١٢٩ Hall, H.R.; Egypt to the Coming of Alexander. In the C. A. H., vol. VI:

١٣٠ Hall, H. R.; The Art of Early Egypt and Babylonia, in the C. A. H., vol. 1.

١٣١ Hall, H. R.; The Contemporary Art of Egypt and the Near East, in the C. A. H., vol, 1

١٣٢ Hall, H. R.; The Middle Kingdom and the Hyksos Conquest, in the C. A. H. vol: 1:,

١٣٣ Hall, H. R.; The Union of Egypt and the Old Kingdom, in the C.A.H. vol. 1.

١٣٤ Halliday, W.R.; The Dorian Invasion and Ionian Migrations, in H's. U.H.W., 9.

١٣٥ Halliday, W.R.; The Greek City States at the Time of the Persian War, in H's. U.H.W., 10:

١٣٦ Hay, W.R.; Two Years in Kurdistan; Experiences of a Political Officer, 1918-1920, London, 1921.

١٣٧ Hayes, C. J. H. and Moon, P. T.; Ancient History, New-York, 1946.

١٣٨ Helphen, L.; The Barbarian Background, in the C.A.H. vol. XII.

١٣٩ Herzfeld, E.; Zoroaster and his World, 2 vols., Princeton, 1947.

١٤٠ Hitchen, C.S.; Geology of the Tharthar Depression, Iraq, with a special reference to its use as a reservoir for flood Control on the River Tigris, Nov. 1948. (Report unpublished).

١٤١ Hogarth, D. G.; The Ancient East, in the Home University Library of Modern Knowledge, London, 1939.

١٤٢ Hogarth, D. G.; The Hittitis of Asia Minor, in the C. A. H: vol. II.

١٤٣ Hogarth, D. G.; The Nearer East, in H.J. Mackinder's series on the Regions of the World, London, 1902:

١٤٤ Holmes, A.; Principles of Physical Geography, London, 1949.

١٤٥ H's. U.H.W., 4, Chronicle 1, Twilight : 4000-1580 B.C.

١٤٦ H's. U. H. W., 6, Chronicle 2, Dawn: 1580-900 B.C:

١٤٧ H's. U.H.W., 8, Chronicle 3, Day Light : 900-500 B.C.

١٤٨ H's. U.H.W., 10, Chronicle 4, Persia and Greece in Collision : 550-478 B.C.

١٤٩ Huxley, T. H. and Gregory, R. A:; Physiography; An Introduction to the Study of Nature, London, 1912:

١٥٠ Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East. Their Commercial and Cultural Relations in Graeco-Roman and Irano - Arabian Times, Cairo, 1942.

١٥١ Jenkins, J.T.; A Text Book of Oceanography, London, 1921.

١٥٢ Johns, C.H.W.; Ancient Babylonia, Cambridge University Press, 1913.

١٥٣ Keith, Sir A.; A New Theory of Human Evolution, London, 1950.

١٥٤ Kellaway, G.P.; A Background of Physical Ceography, London, 1947.

١٥٥ King, L.W.; A Hitory of Babylonia from the Foundation of the Monarchy to the Persian Conquest, London, 1919.

١٥٦ King, L.W.; A History of Sumer and Akkad, An Account of the Early Races of Babylonia from Prehistoric

Times to the Foundation of Babylonian Monarchy London, 1923.

١٥٧ Lake, P.; Physical Geography, Cambridge, 1922.

١٥٨ Landone, B.; (Editor in Chief), Prehistoric Man and the Ancient World, in Civilization and Art Series, vol. 1, New York, 1942.

١٥٩ Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash, in the C.A.H.; vol. 1.

١٦٠ Langdon, S.H.; Early Bablonia and its Cities, in the C.A.H., vol. 1.

١٦١ Langdon, S.H.; The Sumerian Revival : The Empire of Ur, in the C.A.H., vol. 1.

١٦٢ Le Strange, G.; The Lands of the Estern Caliphate; Mesopotamia, Persia and Central Asia from the Moslem Conquest to the Time of Timur, Cambridge, 1930.

١٦٣ Lloyd, S., Foundation in the Dust, A Study of Mesopotamian Exploration, Oxford University Press, 1943.

١٦٤ Lloyd, S., Ruined Cities of Iraq, Oxford University Press, 1945.

١٦٥ Lloyd, S., Twin Rivers; A Brief History of Iraq from the Earliest Times to the Present Day, Oxford University, 1943.

١٦٦ Longrigg, S.H.; Four Centuries of Modern Iraq, Oxford. Clarendon Press, 1945.

١٦٧ Lowie, R.H. "Editor"; an Introduction to Cultural anthropology, New York, 1947.

١٦٨ Luke, H.C.; Mosul and its Minorities, London, 1935.

١٦٩ Macalisler, R.A.S.; Exploration and Excavation, in the C.A.H., vol. 1.

١٧٠ Macalister, R.A.S.; Survey of Early Mediterranian Culture, in H's. U.H.W., 5 & 6.

١٧١ Macalister, R.A.S.; The New Peoples : A Study of Race Movements, in H's, U.H.W., 7.

١٧٢ Macalister, R.A.S.; The Topography of Jurasalem, in the C.A.H., vol. III.

١٧٣ Macfadyen, W.A.; Water Supplies in Iraq, Baghdad, 1938.

١٧٤ Main, R.; Iraq from mandate to Independence, London, 1935.

١٧٥ Marriott, Sir J.; The Conception of Empire : How it has Moulded History, in H's. U.H.W., 4.

١٧٦ Mattingly, H.; The Imperial Recovery, in the C.A.H., vol. XII.

١٧٧ Meteorological Service; Climatological Atlas for Iraq, Baghdad, 1945.

١٧٨ Meteorological Service, Climatological Means for Iraq, Baghdad, 1950.

١٧٩ Miller, S.N.; The Army and the Imperial House, in the C.A.H., vol. XII.

١٨ Middle East, 1948, Aden, Afghanistan, Anglo Egyption Sudan, Cyprus, Egypt, Iran, Iraq, Syria and the Lebanon, Palestine, Saudi Arabia, Transjordan, Turkey, with a section on the League of Arab States, Europa Publications Limited.

١٨١ Minns, E.H.; The Alphabet : Its Origins and Importance for Civilization, in H's. U.H.W., X.

١٨٢ Money, R.I.; The Hindiya Barrage, Mesopotamia, in the Geographical Journal, September 1917.

١٨٣ Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire, Social Organisation Among Primitives and in the Ancient East, London, 1926. (translated by V.G. Childe).

١٨٤ Musil, A.; The Middle Euphrates, A Topographical Itinerary, New York, 1927.

١٨٥ ... The Dawn of History , in Home University Library, London, 1924.

١٨٦ Myres, J.L.; Neolithic and Bronze Age Cultures, in the C.A.H., vol. I.

١٨٧ Myres, J.L.; Primitive Man in Geological Times, in the C.A.H., vol. I.

١٨٨ Myres, J.L.; The Minoans and Mycenae : Civilization Comes to Europe, in H,s. U.H.W., 7.

١٨٩ Myres, J.L.; The Rise of Ordered Civilizations, in H's. U.H.W., 4.

١٩٠ Newbigin, M.I.; The Mediterranian Lands, An Introductory Study in Human and Historical Geography, London, 1925.

١٩١ Noble, A.H.; The Subsurface Water Resources of Iraq, Baghdad, 1927.

١٩٢ O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad, London, 1927.

١٩٣ O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs, London, 1948.

١٩٤ Olmstead, A.T.; History of the Persian Impire (Achaemenid Period) Chicago. Chicago University Press.,1948.

١٩٥ Ormerod, A.A. and Cary; M.; Rome and the East, in the C.A.H., vol. IX

١٩٦ O'shia, R.; The Sand Kings of Oman, London, 1947.

١٩٧ Pascoe, E.H.; Geological Notes on Mesopotamia with Special Reference to the Occurrence of Petroleum, in Memoirs of the Geological Survey of India, vol. XLVIII, Calcutta, 1922.

١٩٨ Peake, H. and Fleure, H.J.; Peasants and Potters; Oxford at the Clarendon Press, 1927., in the Corridors of Time, III.

١٩٩ Peake, H. and Fleure, H.J.; Priests and Kings, Oxford at Clarendon Press, 1927, in the Corridors of Time, IV.

٢٠٠ Peake, H. and Fleure, H.J.; The Horse and the Sword, Oxford at the Clarendon Press, 1933, in the Corridors of Time, VIII.

٢٠١ Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and Sown, Oxford at the Clarendon Press, 1928, in the Corridors of Time, V.

٢٠٢ Peake, H. and Fleure, H.J.; The Way of the Sea, Oxford at tht Clarendon Press, 1927, in the Corridors of Time, VI.

٢٠٣ Peet, T.E.; Early Eygptian Life and Culture, in H's. U.H.W., 5

٢٠٤ Peet, T.E.; Egypt: The Predynastic Period, in the C.A.H., vol. 1.

٢٠٥ Peet, T.E.; Life in Egypt During the Middle Kingdom, in H's U.H.W., 6.

٢٠٦ Philby, H. St. J.B.; Arabian Days; An Autobiography, London, 1948.

٢٠٧ Procopius; Persian Wars. Eng. tr. By H.B. Dewing, London, 1914.

٢٠٨ Rawlinson, J.; The Five Creat Monarchies of the Ancient Eastern World, 2 vols., London, 1870.

٢٠٩ Ragozin, Z.A.; Chaldea from the Earliest Times to the Rise of Assyria, London, 1900.

٢١٠ Ramsay, W.M.; The Historical Geography of Asia Minor, in Royal Geographical Society, Supplementary Papers, vol. IV, London, 1890.

٢١١ Robinson, T.H.; Israel in the Light of History, in H's. U.H.W., 7 & 8.

٢١٢ Rostovtzeff, M.; A History of Ancient World, vol. 1 (The Orient and Greece, translated from Russian by J.D. Duff) Oxford, at the Clarendon Press, 1936.

٢١٣ Rostontzeff, M.; The Social and Economic History of the Hellenistic World, 3 vols. Oxford, 1941.

٢١٤ Rostovtzeff, M.; Rhodes, Delos and Hellenistic Commerce, in the C.A.H., vol. VIII.

٢١٥ Rostovtzeff, M.; The Sarmatae and Parthians, in the C.A.H., vol. XI.

٢١٦ Safrastian, A.; Kurds and Kurdistan, London, 1948.

٢١٧ Salisbury, R.D.; Physiography, London, 1909.

٢١٨ Salisbury, R.D.; Physiography for High Schools, London, 1930.

٢١٩ Sayce, A.H.; The Kingdom of Van (Urartu) in the C.A.H., vol. III.

٢٢٠ Schneider, H.; The History of World Civilization from Prehistoric Times to the Middle Ages, 2 vols. (translated from the German original of 1927 by M. Green) London, 1931.

٢٢١ Searson, V.F.; The Physical Basis of Geography, London, 1937.

٢٢٢ Seeman, A.L.; Physical Geography, New York, 1942.

٢٢٣ Scott, H.; In the High Yemen, London, 1947.

٢٢٤ Semple, E.C.; The Geography of the Mediterranian Region, Its Relation to Ancient History, London, 1932.

٢٢٥ Smith, S.; Ashurbanipal and the Fall of Assyria, in the C.A.H., vol. III.

٢٢٦ Smith, S.; Early History of Assyria to 1000 B.C., London, 1928.

٢٢٧ Smith, S.; The Age of Ashurbanipal, in the C.A.H., vol. III.

٢٢٨ Smith, S.; Sennacherib and Esarhaddon, in the C.A.H.; vol. III.

٢٢٩ Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire, in the C.A.H.; vol III.

٢٣٠ Smith, S.; The Supermacy of Assyria, in the C.A.H.; vol. III.

٢٣١ Spilhaus, M.W.; The Background of Geography, London, 1935.

٢٣٢ Stamp, L.D.; Asia, London, 1946.

٢٣٣ Stark, F.; The Southern Gates of Arabia, A Journey in the Hadhramaut, London, 1944.

٢٣٤ Stevenson, G.H.; The Army and Navy, in the C.A.H., vol. X.

٢٣٥ Suess, E.; The Face of the Earth, vol. I (translated by H.R.C. Sollas.), Oxford, at the Clarendon Press, 1904.

٢٣٦ Sykes, Sir P.; A History of Exploration from the Earliest Times to the Present Day, London, 1949.

٢٣٧ Swanton, J.R.; The Primary Centers of Civilization, Smith Sonian Institution, washington, 1948.

٢٣٨ Sykes, Brigadier General Sir P.; Afghanistan, in Islam today, edited by A.J. Arberry and Rum Landau, London, 1942.

٢٣٩ Tarn, W.W.; Alexander : The conquest of the far East, in the C.A.H.; vol. VI.

٢٤٠ Tarn, W.W.; Alexander : The Conquest of Persia, in the C.A.H., vol. VI.

٢٤١ Tarn, W.W.; Parthia, in the C.A.H.; vol. IX.

٢٤٢ Tarn, W.W.; Persia from Xerxes to Alexander, in the C.A.H., vol. VI.

٢٤٣ Tarn, W.W.; The Triumvirs, in the C.A.H., vol. X.

٢٤٤ Thesiger, W.; Desert Border Lands of Oman, in the Geographical Journal, vol. CXVI, No. 4-6 Oct. - Dec., 1950.

٢٤٥ Thomson, R.C.; Assyria, in the C.A.H.; vol II.

٢٤٦ Thomson, R.C.; Babylonia in the Days of Hammurabi, in H's. U.H.W., 5.

٢٤٧ Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon, in the C.A.H.; vol. I.

٢٤٨ Thomson, R.C.; The Golden Age of Hammurabi, in the C.A.H., vol. I.

٢٤٩ Thomson, R.C.; The Influence of Babylonia, in the C.A.H., vol. III.

٢٥٠ Thomson, R.C.; The Kassite Conquest, in the C.A.H., vol. I.

٢٥١ Thomson, R.C.; TThe Life of Imprial Nineveh and Babylon, in H's. U.H.W., 9.

٢٥٢ Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire, in the C.A.H., vol. III.

٢٥٣ Turner, R.; The Great Culture Traditions, vol. I, New York, 1941.

٢٥٤ Valkenburg, S.D.; Elements of Political Geography, New York, 1946.

٢٥٥ Wace, A.J.B.; Troy : Its place in literature and History, in H's. U.H.W., 8.

٢٥٦ Weech, W.N. (Editor); History of the World, London, Adam's Press (date is not indicated).

٢٥٧ Wigram, W.A. and Sir E.T.A.; The Craddle of Mankind, Life in Eastern Kurdistan, London, 1936.

٢٥٨ Willcocks, Sir W.; The Irrigation of Mesopotamia, London,1917 (with 46 plates in portfolio).

٢٥٩ Williams, H.S.; (Editor), The Historian's History of the World, vols. 2-8. London, 1926.

٢٦٠ Wilson, Lt. Col., Sir A.T.; The Persian Gulf, An Historical Sketch from at the Earliest Times to the Beginning of the 20th. Century, Oxford at the Clarendon Press, 1928.

٢٦١ Wilson, Lt. Col. Sir A.T.; The Suez Canal, Its Past, Present and Future, Oxford University Press, 1939.

٢٦٢ Windle, Sir B.; Europe in the Ages of Stone and Bronze, in H's. U.H.W., 6.

٢٦٣ Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States Before the Rise of Babylon, in H's. U.H.W., 5.

٢٦٤ Woolley, C.L.; The Summerians, Oxford University Press, 1930.

٢٦٥ Woolley, Sir L.; Ur of the Chaldees, A Record of Seven Years of Excavation, (in Penguin Books) 1950.

٢٦٦ Woolley, Sir L.; A Forgotten Ringdom. In a Pellican Book, A 261, 1953.